مناهج البحث
فى
الأدب واللغة والتربية

الأستاذ الدكتور
السيد محمد الديب

كلمة إهداء، ولمسة وفاء(*)

سبقني أخي محمود إلى الدنيا، وجئت بعده، فضحكنا معا وبكينا معا.. ودعا ربه أن يموت قبلي، لأشهد ساعة الوداع.. واستجاب الله له، فانتقل إلى الآخرة شهيدا غريبا، وصواما قواما، وطاهرا نقيا.

وسوف أحيا ما بقى لي من عمر، داعيا له، ومترحما عليه، ومهديا هذا الكتاب ومايمكن أن يتحقق به من ثواب وأجر إلى روحه الراضية المطمئنة في عالم البرزخ الرحيب.

د. السيد محمد الديب

(*) استشهد أخي محمود في أعقاب حادث مروري حوالي الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الخميس الثامن من رمضان سنة ١٤٢٠هـ الموافق السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين..

أما بعد:

فقد صدرت بواكير هذا الكتاب فى مجموعة من البحوث التى نُشر بعضها بمجلات أدبية وعلمية مختلفة، أو دار الحديث عنها فى برامج إذاعية شهيرة مثل قضية للبحث وعالم الإنسانيات، أو شاركت بها فى مناهج التربية العملية بكليات إعداد المعلمين، وأضفت إليها بعض القضايا الجديدة مثل تحقيق المخطوطات العربية وطبعها، حيث رجعت إلى مناهج المحققين العظام، والذين لهم جهود جبارة فى الكتابة والبحث والتحقيق.

وكثرت القضايا والبحوث المثارة هنا، ولذلك تتوارى هذه المقدمة أمام استكمال التعريف بهذه الأمور، لكن بعض الثوابت كانت تدفعنى إلى التجديد، اختلافا عن المسارات التى تحرك عليها أساتذتنا الكبار الذين علمونا ألا نكون نسخا مكررة منهم، وإنما ينبغى أن نرسم صورا لأنفسنا، جديدة ومبتكرة وخاصة بنا، رأسرت إلى مؤلفاتهم وبحوثهم القيمة فى المواضع المتصلة بما كتبوه، وقطعوا فيه أشواطا كبيرة.

واقتضى المنهج الذى اتبعته أن أجمع بين النظرية والتطبيق، لما فى ذلك من أهمية بالغة فى حقل الدراسات الأدبية واللغوية والتربوية.

وجاء الباب الأول بعنوان: «معالم البحث والتقرير والتحقيق» فى خمسة فصول مختلفة، تطرقت فيها للحديث عن طبائع الدراسة فى مناهج البحث وجهود العلماء العرب فى ذلك، وكيفية إعداد البحوث، وكتابة التقرير، وتحقيق المخطوطات وطبعها.

أما الباب الثانى فعنوانه: «قضايا وبحوث تطبيقية»، وجاء فى خمسة فصول أيضا، امتد الحديث فيها إلى قضايا الاستشراق، والمجلات الثقافية، وتعليم القراءة للمبتدئين، ودور المدرسة فى تنمية الجانب الخلقى للتلميذ، والضعف فى الإملاء، مؤكدا فى كل ما ذكرت على أهمية الربط بين القضايا المختارة والبحوث التطبيقية التى يدار الحديث عنها فى اللقاءات العلمية، والمنتديات الثقافية بالكليات الجامعية المختصة، ويستنير بها الباحثون والطلاب فى الأدب واللغة وسائر العلوم الإنسانية، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل.

الخميس { ١٩ من شوال سنة ١٤٢٠هـ
٢٧ من يناير سنة ٢٠٠٠م }

دكتور/ السيد محمد الديب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
بجامعة الأزهر – الزقازيق

الباب الأول
معالم البحث والتقرير والتحقيق

الفصل الأول

طبائع الدراسة فى مناهج البحث

كثرت الكتابات عن مناهج إعداد البحوث الأدبية والعلمية، وبيان طرق إعداد الرسائل والأطروحات الجامعية فى السنوات الأخيرة، التى زادت عناية الناس فيها بدراسة علوم المكتبات والفهرسة والتحقيق وحفظ المستندات والمذكرات على شرائح مصورة (على نظام الميكروفيلم) أو على شرائط الحاسوب (ديسكات الكمبيوتر)، ولم يعد إعداد البحوث والدراسات والتقارير خاضعا لاجتهاد الباحث وميوله، بمثل ما كان القدماء يسيرون فى تآليفهم وإعداد رسائلهم المترجمة للأعلام والمشاهير منهم. وقد كان كتاب الدكتور أحمد شلبى «كيف تكتب بحثا أو رسالة» من بواكير الدراسات المنهجية الجادة التى تكشف للطلاب والباحثين فى الدراسات العليا مناهج كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه قال: «وقد لاحظت أن كثيرا من طلاب (الليسانس) فى أبحاثهم، وطلاب الدراسات العليا فى رسائلهم لا يهتدون للمنهاج القويم الذى ينبغى أن يتبع فى هذا اللون من الدراسة، ولما حادثتهم فى ذلك التمست لهم العذر؛ لأنه ليس فى اللغة العربية - فيما أعرف ويعرف هؤلاء - كتاب واحد يضم ما وصل إليه العلماء والباحثون فى هذا الشأن...».

وقال: «من أجل هذا كتبت هذه الرسالة القصيرة لتحوى أهم ما وصل إليه الباحثون فى هذا الموضوع، وإنى آمل أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد المتواضع فى خدمة أصدقائى الطلاب، وخدمة الثقافة العربية بوجه عام»[١]

---

(١) كيف تكتب بحثا أو رسالة د. أحمد شلبى ص٤ الطبعة١٦ سنة ١٩٨٣م، النهضة المصرية.

وقد طبع هذا الكتاب أول مرة عام ١٩٥٢م.، ثم توالت طبعاته بعد ذلك.

ولا شك فى أن الأديب المتعقب لتطور مناهج البحث لا يغفل الفرق بين طرق التفكير الخاصة بعلوم المنطق عند الأثينيين ومناهج البحث التى تطورت عند الأوربيين فى العصور الوسطى، تلك المناهج التى اختلفت بين جماعة وأخرى إلى أن خرجت من عباءتها، أو تمخضت عنها بعد مئات السنين بعض الكتب التى تنير للباحثين مناهج البحث الحديثة التى قال عنها الدكتور أحمد شلبى فى كتابه السالف الذكر: «وأخيرا فإننى أعترف أن هذا جهد متواضع، حاولت به أن أملأ فراغا فى المكتبة العربية، التى خلت – فيما أعرف – من أى بحث كهذا، بينما ازدحمت المكتبة الإنجليزية بعشرات الكتب فى هذا الموضوع»[١] .

لكن هل البحث الأدبى فى صورته الحاضرة يعتمد إعتمادا كليا على المراجع الأوربية وحدها؟ بمعنى أن يكون هذا العلم أوربى المنشأ والمنبت أو تلقفنا أصوله فأضفنا إليها أو حذفنا منها؟

والثابت أن العرب قد اهتدوا إلى طرائق ومناهج اعتمد للبحث استفادوا بها فى ترقية الجوانب الهامة والمتعددة للحياة الفكرية عندهم.

قال الدكتور يوسف خليف: «لقد استطاع العلماء العرب أن يحققوا فى كثير من جوانب المعرفة الإنسانية، وفى كثير من مجالات الفكر الإنسانى مستويات

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.

علمية على قدر كبير من النضج، وأن يصلوا فيها إلى مناهج علمية على درجة كبيرة من الدقة»[١] .

وتعددت مناحي التأليف والبحث لديهم، وليرجع من شاء إلى كتاب زميلنا الدكتور/ السيد تقي الدين (أصول البحث الأدبي ومناهجه) لكن الجوانب التطبيقية عند العرب كانت مقدمة على برامج ونظريات مناهجهم، بمعنى أنهم حرصوا على الالتزام بأصول البحث المنهجي قبل أي شيء آخر خاصة في بحوث اللغة والبلاغة والنقد الأدبي، ناهيك عن بحوث الفكر والمنطق وسائر العلوم التطبيقية .

وفي العصر الحديث أفاد العرب من مناهج البحث العلمي أيا كانت منابعه وروافده، وبقيت مناهج إعداد البحوث والرسائل الجامعية خاضعة لما يحصل عليه طلاب العلم من تراث الشرق القديم أو ازدهار الغرب الحديث في المجالات المتعددة للعلوم التطبيقية والدراسات الإنسانية .

فمنهج البحث الأدبي – وهو قرين للبحث العلمي – يحتاج من القديم والحديث، ولذلك من الغفلة أن نستسلم للقول برجوع أصوله إلى الفكر الأوربي وقطع صلته بتاريخ العرب، أو نصل بتشددنا في الحكم على أصوله إلى المناهج العربية القديمـة، لكـن هـذا العلـم وهـو مثل الفنون النثرية المستحدثة كالترجمة للأعلام، والتعريف بالمؤلفات يجمع في مكوناته بين الأصالة والمعاصرة، أو بين الشرق والغرب، وقد كان ذلك محل نزاع وجدل، زاد الصخب فيه بكتاب الدكتور/ طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر) .

---

(١) مناهج البحث الأدبي، ص ٧٠ طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع، عام ١٩٩٧م.

البحث الأدبي :

البحث – كما جاء تعريفه – بالمعجم الوسيط: «بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به إلى غير ذلك من المعاني التي يدل عليها هذا الاصطلاح».

والأدب – «رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي»[1] والأدبي: أي المنسوب إلى الأدب.

فالبحث الأدبي عبارة عن دراسة جادة في موضوع محدد، يصل الباحث لمجموعة من النتائج المفيدة من خلاله.

والبحث في موضوع ما ليس أمراً هيناً يقتصر فيه الجهد على تجميع بعض الأخبار والروايات وإعادة صياغتها، ولكنه بناء صعب يختاره الباحث بعناية، ويرصد له المصادر والمراجع، ويحدد له الخطة الملائمة ويصوغه بأسلوب قويم، حتى يصل إلى مجموعة من النتائج يتجاوز بها الشك إلى اليقين.

ويختلف البحث الأدبي عن البحث العلمي، لأن هذا الأخير يستند لمجموعة من القواعد أو القوانين الصارمة، للوصول إلى النتائج الصائبة البعيدة عن أطر الاحتمالات.

كما يختلف البحث عن المقالة، إذ يشترط في الأول أن يخضع للقواعد المتعارف عليها، ويسفر عن نتائج ملموسة، بعكس المقالة التي يمكن الاعتماد فيها على الخواطر والتخيلات والأماني، فهي أقرب إلى الذاتية منها إلى

---

(١) المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٠، ص ٩.

الموضوعية، وتتقارب أوجه الشبه بين المقالة والبحث كما فى الدراسات النقدية الموجزة ، ويمكن إطلاق اصطلاح البحث على الرسائل أو الأطروحات الجامعية ويتوسع فيه فيطلق على دراسة شخصية أو عصر من العصور أو جنس أدبى أو قضية من القضايا أو فن من الفنون الأدبية المعروفة. وينبغى الحرص على مجموعة من الأسس التى تتطلبها كتابة البحث مثل اختيار الموضوع الذى يجب أن يكون نابعا من الباحث. فنشهد أحوالا متعددة لموضوعات تختار أو تفرض على باحثين، ولم تكن لديهم القناعة التامة بها، فلا يسفر هذا الاختيار عن شيء ذى بال فى حقل المناهج والبحوث الأدبية، ومما يؤسف له أن أكثر الطلاب فى مجال الدراسات العليا يتسرعون فى اختيار موضوعاتهم، ليزيحوا عن صدورهم عبئا ثقيلا أو بدافع الحرص على إتمام دراساتهم فى مدة وجيزة، وتأتى نتيجة الجهد والبحث مخيبة لآمالهم وطموحاتهم، كما أنه لابد من الاطلاع على كل ما كُتب فى الموضوع المحدد للبحث، والاطمئنان إلى النتائج التى تم الوصول إليها، ولا يسرع الباحث فى الكتابة إلا بعد أن يكون قد تشبع بمفردات الخطة التى تم تحديدها والاقتناع بها، ولسنا الآن، بصدد بيان الكيفية أو الطريقة التى تتم بها إعداد البحوث فتلك مجال رحب لم يحن أوان بحثه الآن. ونؤكد أن مجالات البحوث كثيرة ومتسعة، ولايكاد يخلو موضوع أو قضية من صلاحيتها للكتابة شريطة أن تكون مجالا رحباً يتسع للدراسة ولايضيق بها، ولم يسبق أن تم الوصول إلى آخر نقطة للبحث فيها.

ونؤكد على ضرورة سعى الباحث واجتهاده فى أن يسفر عمله – مهما كان موضوعه – على جديد يثرى البحث ويرفع من قيمته، فالمعول عليه منهج

البحث وطريقته والنتائج التى تم الوصول إليها، حتى لو كان الموضوع قد سبقت الكتابة فيه، فليست العبرة بكثرة الصفحات أو قلتها، أو زيادة عدد البحوث أو ندرتها؛ لأن المهم والمطلوب فى كل بحث أو دراسة أن تكون جديدة مبتكرة مفيدة للمجال الذى أُعدت فيه حتى لو كانت شرحا لنص، أو تحقيقا لمخطوط، أو كتابة عن شخصية، أو بحثا فى عصر من العصور، أو تاريخا لحياة أمة من الأمم، أو بحثا نقديا لواحـد مـن الفنون الأدبية، أو غيـر ذلك مما يتسع فيه مجال الدراسة والبحث.

تطور المناهج البحثية :

يرتبط المنهج وهو الطريق الواضح المحدد، يرتبط عند الإغريق بعلم المنطق، وبكتاب أرسطو فيه، حيث كان يتحدث عن الكليات الخمس «الفصل – الجنس – النوع – الخاصة – العرض» والتى كانت تتشكل منها الحدود والتعاريف، وقد ترجمت مؤلفات أرسطو إلى العربية فى القرن الثامن الهجرى وتأثر بها العرب، وبغيرها من المؤلفات اليونانية التى أضافوا إليها إضافات كثيرة فى مجالات التفكير والعلوم دون أن يكون لهذه المؤلفات تأثير بارز ومبكر فى الأدب والفنون.

ولا شك فى أن كثيرا من المناهج البحثية قد انتقلت من الإغريق إلى الكثير من بلدان أوربا، وجاءت العصور الوسطى، وظهرت بها ديانتان هما المسيحية والإسلام ، وبقى أرسطو – خلال هذه القرون – المعلم الذى لا يرقى إلى منزلته معلم آخر فى مجال الفلسفة والمنطق، وبدأ التفكير فى إخضاع البحث للمنهج الذى هو قسم من أقسام المنطق وصارت العلوم التطبيقية محل الاهتمام

من المفكرين والعلماء، وظهر علم مناهج البحث وهو: «طائفة من القواعد والقوانين العامة، تسيطر على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوع من الموضوعات»[١] وقد سارت عملية البحث عن منهج مطور في الدراسة البحثية من حقبة إلى أخرى ومن خلال أعلام متميزين كان الفليسوف الفرنسي (ديكارت ١٥٩٦ – ١٦٥٩) من أبرزهم، والذي سار على درب سابقيه من أمثال فرنسيس بيكون أو جاليليو، فرفض المنطق الأرسطي وبدأ في التمهيد لمنهج جديد.

«لقد شغل ديكارت بالبحث عن منهج يصلح لكل العلوم، مهما تختلف موضوعاتها، انطلاقا من اقتناعه بوحدة العقل الإنساني، وانتهى إلى أن المنهج الرياضي هو أكثر المناهج ثباتا، وأشدها يقينا، وأنه لو طُبق على العلوم الأخرى لبلغت درجة العلوم الرياضية من حيث استقرار النتائج وثباتها، فدعا إلى الأخذ به. وأساس الفلسفة الديكارتية هو الشك المنهجي، وعلى هذا الأساس أقام بناءه الفلسفي، فشك في معارفه جميعا؛ لاحتمال أن يكون مخدوعا فيها إلا حقيقة واحدة رأى أنها لا تقبل الشك وهي حقيقة أنه لا شك، ومن هذه الحقيقة الثابتة انطلق إلى إثبات أنه موجود»[٢] .

فالمنهج الرياضي الذي آمن به ديكارت رأى صلاحيته لكل بحث علمي يرتقي خلاله من الشك إلى اليقين وبناه على أربع قواعد[٣] هي:

---

(١) مناهج البحث الأدبي. د/ يوسف خليف، ص ١٧.

(١) السابق: ص ٢٦، ص ٢٧.

(٢) راجع المنطق الوضعي للدكتور/ زكي نجيب محمود، وكتاب الدكتور/يوسف خليف المذكور مقدما من ص ٣٥ إلى ص ٦٤.

١ - التوثيق فلا يؤمن الباحث بشيء إلا إذا آمن بصدقه وصحته.

٢ - التحليل بحيث يقسم أو يحلل الموضوع إلى مجموعة من العناصر البسيطة، التي يجب إدراكها والتأكد من سلامتها، والكشف عما خفي من جوانبها.

٣ - التركيب وهو أن يعيد الباحث تركيب العناصر التي تمت تجزئتها إلى أفكار جزئية؛ حتى تتكامل عناصرها في ترتيب تصاعدي يصل بعده إلى أصعب العناصر وأشدها تعقيدا.

٤ - المراجعة النهائية وهي ألا يغفل جانبا من المشكلة موضع الدراسة والبحث. وقد أسفرت ثورة ديكارت (ومن سبقه) على المنهج الأرسطي عن ظهور علم مناهج البحث، وتشعب هذا العلم إلى ثلاثة مناهج، بحكم نوعية الدراسة والبحث، فظهر المنهج الاستقرائي للعلوم الطبيعية، والمنهج الاستدلالي للعلوم الرياضية والمنهج الاستردادي للعلوم التاريخية وما شابهها؛ حتى يرجع الباحث إلى الماضي؛ للتعرف على أحداث التاريخ وتفسيرها والحكم عليها.

وأخذ الناس في أوربة يسعون إلى تطبيق المناهج البحثية في مجال العلوم على الدراسات الأدبية، ومن ذلك دعوة «سانت بيف» Sainte Beuve الذي حاول الربط بين علم النبات والأدب، فإذا كانت النباتات ذات فصائل متشابهة، فكذلك الأدباء الذين يمكن تصنيف كل منهم تحت خصائص مشتركة، أو اتجاه معين يجتمعون حوله ويلتفون فيه.

ودعا الناقد (تين) Taine المعاصر «سانت بيف» إلى نقل مناهج التاريخ الطبيعي وتطبيقها على الأدب.

وعلت صيحة «برونتيير» Brunetiere في الدعوة إلى تطبيق نظرية دارون في النشوء والارتقاء على الأدب، باعتبار أن الفنون الأدبية كالكائنات الحية تخضع لنفس القانون في نشوئها وتطور أشكالها، كما دعا برونتيير أيضا إلى تطبيقها على المسرح والشعر الغنائي والنقد الأدبي.

على أن هذه الدعوات لم تلبث أن هدأت مع مطلع القرن العشرين حيث ارتفعت الأصوات التي نادت بضرورة أن يستمد الأدب مناهجه من العلوم الإنسانية وليس من العلوم الطبيعية، وبدأت المناهج المستمدة من العلوم الإنسانية تبرز ويسلط عليها الضوء ، وظهرت محاولات لدراسة الأدب وبحث قضاياه من النواحي التاريخية والنفسية والاجتماعية والجمالية أو الفنية أو بالاعتماد على أكثر من منهج أو تيار من النواحي المذكورة.

مناهج البحث في الأدب واللغة :

لقد تعددت مناهج البحوث في الأدب واللغة، وأنها لا تبعد كثيرا عن مناهج البحوث العلمية، ويمكن القول: إن المناهج المتصلة بالأدب قد تقدمت على نظيرها في العلوم التطبيقية، وإن أمكن التقارب بين هذه وتلك في العصر الحديث، وأن هذه المناهج ليست محل اتفاق بين الباحثين، كما يمكن أن يلتقي فيها اثنان أو أكثر في دراسة شخصية أو ظاهرة أدبية، ومن أبرز هذه المناهج ما يأتي:

١ – المنهج التاريخي :

وهو من أقدم المناهج في دراسة الأدب إذ أن الصلة بينه وبين البحث الأدبي ضرورة وقوية، ولا يخفى أن جزءا كبيرا من الدراسات المتخصصة تندرج تحت ما يسمى بتاريخ الأدب، ويستند الكثيرون إلى المعيار التاريخي، وهم يربطون الأدب بالأحوال السياسية والاجتماعية والدينية، أو يقسمونه إلى عصور تاريخية مشهورة مثل العصر الجاهلي ومانلاه إلى العصر الحديث.

والملاحظ أن الذي يدرس شاعرا أو يعرض لظاهرة أدبية لا يعفي نفسه من التعرف على أحداث التاريخ المرتبطة بالشعر أو المؤثرة في الظاهرة ونشهد العديد من المؤلفات العربية التي أعطت هذا المنهج عناية خاصة وسارت وفق توجهاته مثل كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) لجورجي زيدان، و(تاريخ الأدب العربي) لأحمد حسن الزيات وسلسلة (تاريخ الأدب العربي) للدكتور شوقي ضيف وغيرها.

كما يستعان بهذا المنهج في دراسة الشخصيات الأدبية مثل كتاب (مع المتنبي) للدكتور/ طه حسين و(مجموعة أعلام الشعر) للعقاد، فضلا عن العديد من الروايات التاريخية المتميزة في الأدب العربي وسائر الآداب العالمية.

٢ – المنهج النفسي:

بدأ الاهتمام بهذا المنهج في القرن العشرين، واقترنت المعرفة الحقيقية للشخصية بدراسة أحوالها النفسية ومكوناتها الباطنية، والتعرف على النزعات التي تتجاذب فيها.

واستعان الكثيرون من الباحثين بنظرية «فرويد» Freud الذى «يخضع بعض الميول الإنسانية إلى ما سماه .. الكبت Refoulement ويعلق بها النزعات التى يتمكن فيها الإنسان تمشيا مع المجتمع وتقاليده، وهذا التحكم لا يميت الميول، لأنها ستبقى حية فى وعيه الباطن (عالم الشعور) وقد تجمد، ولكن إلى حين، وهو ما يسميه بالتحليل النفسى، كما اهتم فى تحليله بالأحلام التى تعرض للشخص فى نومه»[١].

لكن لا ينبغى الإسراف فى الاستعانة بهذه النظرية أو بغيرها من نظريات علم النفس عند دراسة أية شخصية، أو تحليل عمل من الأعمال الأدبية؛ خوفا من التحول عن فنية البحث وجماله وتمثل التذوق فيه إلى دراسات علمية مليئة بالجفاف.

ولقد ظهرت بحوث عربية عديدة مقرونة بعلم النفس والدراسات الإنسانية، ومما طُبع فى المكتبة العربية، معنيا بهذا الجانب، كتاب «من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده» للأستاذ/ محمد خلف الله أحمد وكتاب «التفسير النفسى للأدب» للدكتور/ عز الدين إسماعيل وكتابا العقاد عن ابن الرومى وأبى نواس، وغير ذلك كثير.

٣ – المنهج الاجتماعى:

يوجه هذا المنهج لدراسة الظواهر الاجتماعية المتصلة بالفنون الأدبية ومدى تأثير البيئة فى الأدب.

---

(١) معالم النقد الأدبى: د. عبد الرحمن عثمان، ص ٤٣.

وتكشف أحداث التاريخ عن جوانب الصلة الوثيقة بين الأدب، والمجتمع، ففى الشعر اليونانى على اختلاف مراحله تبرز العلاقة بينه وبين متطلبات الجماعة سواء أكان الشعر غنائيا أم تمثيليا أم قصصيا، كما وضح ذلك من خلال الشعر الجاهلى، الذى كان حيويا معبرا عن القبيلة، فيفتخر بها أو يتحدث عن أبطالها ويشيد بانتصاراتها، ويمدح زعماءها، أو يرثى من مات منهم، ويهجو خصومها والمناوئين لها.

وفى العصر الأموى كان الشعر إلى جوار الجماعة، التى اندرجت فى حزب سياسى أو اتجاه دينى كالشيعة والخوارج والزبيريين.

وبرزت الحاجة إلى توجيه الأدب لخدمة المجتمع فى العصر الحديث، وتجلى ذلك فى العديد من القضايا مثل الالتزام والحرية والواقعية وتحولت البطولة فى العديد من الروايات من الفرد إلى الجماعة.

وعُولجت ظواهر أدبية اجتماعية متعددة فى الأدب العربى عن الشعر القبلى والصعلكة وشعر الحرب فى العصر الجاهلى، كما نُوقشت من خلال الدراسات الجادة – قضايا ذات صلة وثيقة بالمجتمع، مثل شعر النقائض والغزل العذرى فى العصر الأموى، ومثل شعر الجهاد وغيره فى العصور التالية.

٤ – المنهج الفنى (منهج الجمال الفنى)

هو ذلك المنهج الذى يُعتنى فيه بالقيم الفنية المحققة للجمال عند دراسة الأدب، للتعرف على الشخصيات، أو بحث الظواهر المتميزة، وهو أشد المناهج ذيوعا وانتشارا بين الباحثين؛ لما فيه من عناية بالصياغة الأدبية والتأكيد على

عناصرها وأسرار جمالها وتحقيق المتعة الذاتية لدى المتلقى، وربما لا يقصد رواد هذا الاتجاه إلى تحقيق شيء سوى الإحساس بالجمال.

واشتد الصراع (في أوربة) بين القائلين بأن الفن للفن، والذين يقولون إن الفن للحياة. واتسعت مجالات البحوث - من خلال هذا الاتجاه- للعديد من العناصرالمحققة للتوجه الفنى مثل الموضوع والعاطفة التى ينظر إليها باعتبارات متعددة مثل الصدق والعمق والقوة.

وبالنظر إلى كل هذه الاعتبارات لا نظن أن عملا أدبيا يمكن أن يتجاهل الجمال الفنى والعناصر المكونة له، ولكن المعول عليه عند تصنيف النص هو مقدار ما يغلب عليه من ملامح وسمات؛ ونجد بحوثا عديدة ممثلة لهذا الاتجاه، مثل كتابات ابن المقفع والجاحظ وأبى حيان التوحيدى والقاضى عبد العزيز الجرجانى ومثل «كتاب حافظ وشوقى» و«الأيام» للدكتور طه حسين والكثير من كتب مصطفى صادق الرافعى.

٥ - المنهج التكاملى:

هو ذلك المنهج الذى تتم الاستفادة فيه من كل المناهج السابقة، أو من معظمها حسب ما تتطلبه طبيعة البحث، ذلك لأن البحوث ذات الخصائص الإنسانية تحتاج إلى الأخذ من سائر المناهج الأخرى، وربما يغلب منهج على آخر ولكن لا بأس فى ذلك ما دامت متطلبات البحث لا تتعارض مع هذا التوجه، كما أن طبيعة الموضوع هى التى تفرض أو توجه الباحث إلى المنهج أو المناهج التى يستعين بها؛ فدراسة الأثر يتطلب لها النظرالفاحص الدقيق والبحث الشمولى الكامل.

يقول الدكتور/ شوقي ضيف: «وكان البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين أو قل إنه لا يمكن أن يحتويه منهج بعينه، ولذلك كان من الواجب على الباحث أن يفيد من هذه المناهج والدراسات جميعا وهو ما نسميه بالمنهج التكاملي، حتى تتكشف له جميع الأبعاد في الأديب، وفي الآثار الأدبية، ونستطيع أن نستعرضها، ونرى مقدار ما يصيبه كل منها على حدة ومدى ما يمكن أن ينتفع بكل منها في بحثه الأدبي»[١] .

فالإفادة من المناهج والدراسات السابقة ضرورية جدا؛ للوصول بالبحث إلى درجة متكاملة متوازنة، ولا فرق في التعامل مع هذا المنهج المتكامل بين الغرب والشرق، أو بين الحديث والمعاصر أو بين دراسة شخصية أو دراسة ظاهرة أدبية مثلا، والمعول عليه هو الحرص على توضيح العمل وتقويمه والوصول به إلى مجموعة من النتائج الصحيحة، وليرجع القارئ إلى كتاب مثل «مع المتنبي» للدكتور/ طه حسين وسوف يرى الاعتماد على مجموعة من المناهج (التاريخي – الجمالي «الفني» – الاجتماعي).

أما المنهج العلمي فهو رئيسي ولا يمكن التخلي عنه في بحث العلوم الإنسانية، ولا تتوقف العلوم على النواحي الطبيعية، لكنها تمتد فتشمل جوانب أخرى من البحوث في مجالات محددة مثل النقد والنحو والصرف والعروض والفقه وغيرها.

---

(١) البحث الأدبي: ص ١٣٩.

والمناهج المتصلة بالعلوم كثيرة، ولربما اتصل بعضها بالزمان أو المكان أو بنظريات معينة أو بالحرص على الملاحظة وإجراء التجارب (البحث التجريبي) أو المنهج العقلي أو المنطقي أو المنهج الطبيعي، وهو منهج قديم ظهر في أوربة في القرن التاسع عشر، ولابد من الالتزام وتحديد الخطة والمعالم الواضحة للبحث فقد قيل: «ليس من المنهج أن تخرج من المنهج».

* * *

الفصل الثاني

مناهج البحث عند العلماء العرب

اهتم العرب اهتماما كبيرا بتدوين تاريخهم وتسجيل حضارتهم، وكتبوا عن أخبار الملوك والخلفاء والأمراء، كما حافظوا على اللغة العربية، ووضعوا الأصول والقواعد المنظمة لها والكاشفة عن أسرارها، كما دونوا الشعر بكل فنونه، وترجموا للعديد من الأدباء والعلماء.

وترجع نشأة الترجمة للأعلام إلى السيرة النبوية التى أولاهاالمؤرخون جل اهتمامهم، وسجلوا حياة الرسول ﷺ، ومواقف عديدة من حيوات أصحابه مثلما فعل ابن هشام فى كتابه الشهير عن السيرة النبوية، ونشأت بجانب الكتابة فى حياة الرسول عناية أخرى اتجه الحرص فيها إلى تدوين أقوال الرسول ﷺ، والترجمة للرواة تراجم مختصرة، كان القصد منها بيان قيمة المحدث ومكانته فى الرواية والإسناد، وكانت كتب البخارى ومسلم، وغيرها من أمهات كتب الحديث النبوى، من بواكير المؤلفات التى نبهت الأذهان إلى وضع تراجم لطبقات أخرى من الرجال كالصحابة والفقهاء والنحويين واللغويين والشعراء والأدباء والصوفية والقضاة والأعيان والحكماء والأطباء وغيرهم.

وكان انصراف الرسول وأصحابه إلى القرآن الكريم إعجابا به وتقديرا له وحرصا وخوفا عليه، ولم يعطوا الحديث النبوى – خاصة بعد وفاة الرسول – ما أعطوه للقرآن، فدخل فى الحديث الشريف ماليس منه، واختلف الحكم على الرواة بسبب درجة الحفظ ومدى الأمانة فى الرواية، ولذلك أدرك المسلمون –

في مرحلة تالية – مدى الخطورة التي تهدد الحديث فالتفتوا إليه واهتموا به، وحرصوا على الارتحال للثقات من الحفاظ تمهيدا لتدوينه وبيان الصحيح منه من الدخيل ومما جاء في مقدمة ابن الصلاح: «ومن مناهج استخلاص صحيح الحديث من سقيمه ما أطلق عليه «نقد المرويات» وذلك بعرض الحديث على نصوص الدين وقواعده، فإن وجد مخالفا لشيء منها رد الحديث ولم يعمل به – فمن ذلك أن أم المؤمنين عائشة سمعت حديث عمر وابنه عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله أن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهلهي عليه، وقالت: حسبكم القرآن ﴿ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾[1] .

وانتقلت الكتابة من الحديث والسيرة – كما سبق – إلى الكتابة في الأدب واللغة، اللذين كان اتصال التأليف بينهما وثيقا في المراحل المتقدمة من نشأة الكتابة الأدبية التي ظهرت مصاحبة لاختيار قصائد الشعر ومقطوعاته وتدوينها في منتصف القرن الثاني من الهجرة، وتُعد المفضليات أقدم المجموعات الشعرية المختارة وهي للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي الراوية الكوفي الشهير، والذي توفي سنة ١٦٨هـ وقد تتابعت هذه المجموعات التي اختلفت أنماطها، وعدد القصائد والمقطوعات فيها.

---

(١) من مقدمة (علوم الحديث) لابن الصلاح.

أولاً: تراجم الأدباء:

١ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (١٣٩هـ – ٢٣١هـ).

يُذكر كتاب (طبقات فحول الشعراء) في مقدمة الكتب الأدبية والنقدية التي وصلت إلينا من بدايات التأليف والبحث الأدبي، حيث لم يسبق هذا الكتاب – في مدى علمنا – إلا بكتيب للأصمعي يسمى (فحولة الشعراء).

واشتمل كتاب الطبقات لابن سلام على مقدمة ضافية، اعتمد عليها الكثيرون في الحكم على منهج الرجل في البحث والأدب والنقد والتأليف.

أما موضوع الكتاب فهو الحديث عن الشعراء الجاهليين والإسلاميين من خلال منهج لم يكن غريبا بصورة عامة على البيئة الأدبية في نهاية القرن الثاني للهجرة، حيث قسم المؤلف الشعراء المشهورين إلى طبقات، بعد تحري الأشعار التي نسبت لهم، والروايات التي تحدثت عنهم؛ ليكون حكمه صائبا ونقده عادلا، وجعل الجمحي من كثرة الشعر وجودته أساسا أو معيارا لاختياره للشعراء وترتيبه لهم، مع استعانته بأقوال الرواة والأخباريين في تقرير مبدأ الشهرة الذي جرى عليه تقسيم الشعراء إلى طبقات[١].

وقد كان ابن سلام من أقدم المؤلفين الذين اختطوا لأنفسهم منهجا وطريقة في البحث سار عليها بعض المتأخرين عنه في الزمن والمنزلة، وبلغ مجموع من اختارهم مائة وأربعة عشر شـاعرا على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم وعقائدهم ومنزلتهم في قول الشعر والحكم عليه.

---

(١) انظر كتاب (امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين) المؤلف.

ويؤخذ عليه إغفاله لبعض معاصريه مثل مروان بن أبي حفصة ومسلم بن الوليد وبشار بن برد وغيرهم، وليس هناك من سبب مباشر لذلك إلا أن يكون ابن سلام قد وقع في شرك التعصب للقديم، أو أنه خشي الضيق والحرج من نقده لشعر من أغفلهم، أو ربما خفيت علينا الأسباب الحقيقية لهذا المنزع المريب.

وقد سبق أن ناقشت منهج ابن سلام في البحث والكتابة من خلال نقد ما عرض له عن امرىء القيس، وذلك في كتاب لي بعنوان «امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين» طبع عام ١٩٨٩م.

٢ – الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٣هـ – ٢٧٦هـ) :

الشعر والشعراء لابن قتيبة واحد من أمهات كتب الأدب والنقد والتراجم التي لا يستغني عنها أديب أو باحث فيما يتعلق بنشأة البحث الأدبي عند العرب.

بدأ ابن قتيبة كتابه بمقدمة ضافية انطلاقا من حرص أكثر القدماء على العناية بالمقدمات التي يعقدونها لمؤلفاتهم البحثية. بل إن هذه المقدمة قد طالت عند البعض، وبلغت حجم كتاب مستقل كما هو الشأن في مقدمة ابن خلدون.

وقد شرح ابن قتيبة منهجه في التعريف بالشعراء وعرض القضايا الأدبية والنقدية، ثم ترجم في أصول كتابه للمشهورين من الشعراء قال: «هذا كتاب ألفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم، وعما

يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وماسبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون...»[١] .

وترجم لستة ومائتين من الشعراء بين جاهلي ومخضرم وإسلامي وعباسي مع الاستشهاد بالمأثور من أقوالهم وأشعارهم.

وحرص ابن قتيبة على التدليل على سلامة منهجه في البحث والاختيار، وإن كان بعض من ترجم لهم ولم يصلوا إلى مرتبة الشهرة التي عناها إلا إذا سلم ابضياع الكثير من الشعر، ومن هنا تهتز، شهرة الأديب، فيسلك في عداد المغمورين بعد أن كان مشهورا ذائع الصيت.

وقد وضح مدى اختلاف كتاب ابن قتيبة عن كتاب ابن سلام، فهذا يجعل كل مجموعة في طائفة أو طبقة معينة، أو يجمع بين شعراء كل مدينة أو منطقة في طبقة مميزة، بعكس ابن قتيبة الذي كانت نظرته لكل شاعر نظرة مستقلة يطول الحديث فيها أو يقتصر حسب مكانة الشاعر وغزارة نتاجه ومستوى شعره.

«والمتصفح لكتاب ابن قتيبة يرى أن المؤلف قد حرص فيه على إيراد تراجم الشعراء مراعيا في تتاليها (تتابعها) الترتيب الزمني لاعلى وجه الدقة والضبط ولكن في خطوطه العامة»[٢] .

---

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ٦٥ تحقيق أحمد شاكر.

(٢) أصول البحث الأدبي ومناهجه، للدكتور/ السيد تقي الدين ص ٨٠.

فقد بدأ بالجاهليين والمخضرمين ثم بالإسلاميين وانتهى الكتاب بتراجم المحدثين وإن لم يلتزم بهذا المعيار التزاما دقيقا، ولم يكن منهجا جازما انضوى الرجل تحت لوائه، وهو على كل حال باحث ناقد مؤلف يمثل اتجاها مختلفا عن سلفه ابن سلام ومعاصره الجاحظ وخلفه أبو الفرج الأصبهاني.

٣ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٢٨٤هـ - ٣٥٦هـ):

كتاب الأغاني من أوسع الكتب العربية، التي ترجمت للشعراء والمغنيين والمغنيات في العصر العباسي وما قبله، وهو حصيلة ضخمة لمجهود أبي الفرج في خمسين عاما قضاها في جمع مادته الإخبارية والأدبية والنقدية وتنسيقها وضمها إلى أوراق الكتاب.

ولقد حرص القدماء والمحدثون على اقتناء الأغاني والاستفادة منه، ونقده وتمحيصه، وانطلق البعض إلى اختصاره وتجريده من الأسانيد، ومن كل ما لا يحسن ذكره، ولكن ذلك لم يثن طلاب العلم والمعرفة عن إعجابهم بأصل الكتاب.

ابتدأ أبو الفرج الكتاب بمقدمة مختصره بالنظر إلى مقدمات الكتب الأخرى في ذلك الوقت، وبالنظر إيضاً إلى مقدمتي ابن سلام وابن قتيبة في كتابيهما (طبقات فحول الشعراء) و(الشعر والشعراء) ولكن أبا الفرج لم يشغل نفسه في صفحاتها القليلة إلا بالحديث عن منهجه في تأليف الكتاب وطريقته في ترتيب من ترجم لهم من الشعراء وأهل الغناء وبيان الباعث على تأليف الأغاني.

ومن الواضح لكل من طالع الكتاب أن أبا الفرج بنى الكتاب على ثلاثة جوانب متصلة وهى الأصوات (الألحان) والمغنون والمغنيات، والشعراء، وهذه الجوانب الثلاثة متصلة ومترابطة، ثم تأتى بعدها فى الأهمية بعض الموضوعات المتصلة بها مثل أيام العرب وأحداث التاريخ والعقائد والملل والنحل وغيرها.

وقد جعل الأصوات أساسا لترتيب الكتاب وهى الأصوات المائة التى أمر هارون الرشيد إبراهيم الموصلى وإسماعيل بن جامع وفليح بن عوراء باختيارها له، ولكن هذه الأصوات لم تكن الوحيدة بين دفتى الكتاب، فقد أضاف إليها الأصوات التى تغنى بها المتقدمون من أهل الغناء، وكان اختيار الشعراء على أساس الغناء، فلابد أن يكون الشاعر الذى سلكه فى الكتاب ممن غنى شعره بصرف النظر عن كونه جاهليا أو إسلاميا أو عباسيا، ولم يخضع فى ترتيب الشعراء على أساس زمنى أو طبقى أو مكانى.

ولأبى الفرج فضيلة الاستيعاب والشمول والربط بين الواقع والشعر، والحرص على نقل الكثير من النصوص من شعر وأخبار وروايات، كما عول على العديد من الكتب التى أُلفت قبله مثل كتاب الفهرست لابن النديم وغيره، وتتأكد أهمية الأغانى من إثباته لبعض الأصول من المصنفات التى ضاعت ضمن ماضاع من تراث العرب، ويكفى ما بذله من جهد طوال خمسين عاما أنفقها فى جمع المادة الأدبية والإخبارية لهذا الكتاب الذى لا يستغنى عنه باحث جاد فى الحياة الأدبية القديمة والمعاصرة.

٤ – **الموشح للمرزباني (٢٩٦هـ – ٣٨٤هـ) :**

الموشح ثمرة من ثمار التأليف فى القرن الرابع الهجرى، وكتاب فى النقد التطبيقى للقواعد التى اهتدى إليها النقاد حتى عصر المرزبانى، ومستودع لكثير من النصوص والأخبار التى أتت على أصولها يد الحدثان، وامتدت إلى أوراقها عوادى الزمان.

يعرض الموشح لثلاثة جوانب متصلة بالشعر، وهى فى مجموعها لا تحمل جديدا لم يذكره القدماء، وإن تميزت بالجمع والاستقصاء والتبويب من خلال النقل عن مؤلفات السابقين أو الأخذ عن الرواة المعاصرين للمرزبانى الذى تحدث فى مقدمة الكتاب عن عيوب الشعر والقافية مثل السناد والإقواء والإكفاء والإيطاء – ومثل لها معرفاً بأجزاء القافية وحركات حروفها، ثم ترجم لأربعة وستين شاعراً جاهليا وإسلاميا وعباسيا، فضلا عن جماعة أخرى من الشعراء الذين ترجم لهم مجتمعين لا منفردين، وبدأ بالجاهليين ثم بالإسلاميين ثم بالمحدثين، وختم الكتاب بما جاء فى ذم الشعر الردىء، وذكر الهدف من تأليف الكتاب فقال: «سألت.... أن أذكر لك طرفا مما أنكر على الشعراء فى أشعارهم من العيوب التى سبيل أهل عصرنا هذا ومن بعدهم أن يجتنبوها، ويعدلوا عنها فأجبتك إلى ما سألت»[1] .

فليس من منهجه إذن أن يتعقب حياة الشاعر كما فعل ابن قتيبة أو أبو الفرج، وإنما ينحصر هدفه فى بيان المآخذ والعيوب التى أنكرها علماء النقد على

(١) الموشح: للمرزبانى، ص ١١ .

الشعراء، ثم بين منهاجه وخطته فى التأليف فقال: «وابتدأنا بباب أبنا فيه عن حال السناد والإيطاء والإقواء، والإكفاء – وإن لم يكن هذا الكتاب مفتقرا إلى ذكره، وإنما أوردنا، لما جاء فيه من الأشعار المعيبة..... وختمنا الكتاب بباب أتينا فيه بما روى من ذم ردىء الشعر وسفسافه، وعلى أن كثيرا مما أنكر فى الأشعار قد أصبح له جماعة من النحويين وأهل العلم بلغات العرب وأوجبوا العذر للشاعر فيما أورده منه وردوا قول عائبه والطاعن عليه، وضربوا لذلك أمثلة قاسوا عليها ونظائر اقتدوا بها ، ونسبه بعضهم إلى ما يحتمله الشعر أو يضطر إليه الشاعر[1] .

وسار المرزبانى على رؤية كثير من القدماء فى تقديم امرىء القيس، الذى كان أول المترجم له فى كتاب الموشح.

ولا شك فى أن هذا الكتاب يختلف عن كتاب آخر للمرزبانى وهو معجم الشعراء الذى رتبه على نظام ترتيب الحروف الهجائية بالنظر إلى أوائل الأسماء دون النظر إلى الألقاب والكنى، ولا يتسنى لنا الحكم النهائى على معجم الشعراء، لأنه لم يصل إلينا تاما، فقد ضاع منه قسم كبير يتناول التعريف والترجمة للشعراء الذين تبتدأ أسماؤهم بالهمزة حتى حرف العين، فالمترجم لهم من حرف العين إلى آخر الحروف،

وقد تحدث عنه معاصره ابن النديم فى كتابه «الفهرست»، وذكر أن اسمه (أخبار الشعراء) وأن عدد أوراقه عشرة آلاف[2] .

---

(١) السابق: ص ١١، ص ١٢.

(٢) انظر الفهرست، ص ١٩٠، طبع دار المعرفة – بيروت.

٥ – معجم الأدباء لياقوت الحموى (٥٧٤ – ٦٢٦هـ) :

أشار ياقوت الحموى فى كتبه أن له مؤلفا بعنوان (معجم الشعراء) وهو من الكتب التى ضاعت من التراث العربى القديم، وقد تحدث فى هذا الكتاب عن الشعراء الذين غلب عليهم قول الشعر، ولم يشتهروا برواية الكتب وتأليفها، وجعله معجما لهم متبعا منهج الحروف الهجائية فى ترتيبه للشعراء – وانتهى من إعداده قبل أن يفرغ من كتابة معجميه الشهيرين معجم البلدان ومعجم الأدباء، وكان الكتاب يضم بين دفتيه قطعا شعرية رائعة فى موضوعات متعددة تتصل بالكتابة عن الشعراء.

أما معجم الأدباء فهو موسوعة ضخمة يستطيع أى باحث (الآن) أن يطلع عليه، ويتعرف على منهاج صاحبه فى الكتابة عن الأدباء والتعريف بهم والترجمة لهم، وكان اسمه فى بداية الأمر (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ويبدو أن صاحبه وجد فيه إطالة وثقلا فغيره إلى الاسم الجديد الذى اشتهر به وهو (معجم الأدباء).

وقد استمر ياقوت مدة طويلة يضيف تراجم وأخبارا جديدة لمن سلكهم فى هذا الكتاب الذى طبع آخر مرة سنة ١٩٣٦ فى عشرين جزءا، وتعد مقدمته من أطول ما كتب من المقدمات فى كتب التراجم والطبقات حيث حدد فيها منهاجه فى البحث وطريقته فى تأليف هذا الكتاب – فهو يجمع كل الطبقات المتصلة بالأدب واللغة والتأليف مع ذكر مواليد المترجم لهم وتواريخ وفياتهم. وإذا تحدث عن شخص ذكر تصانيفه ومستحسن أخباره وبعض المختار من شعره مع إثبات

مواضع النقل ومواطن الأخذ، مرتبا الكتاب على نظام حروف الهجاء، متناولا في الترجمة رجال كل الأقاليم فهو يذكر اسم ونسب من ترجم له وشيئا من أخباره وأشعاره، ويذكر تصانيفه والفنون التي برع فيها وشيوخه، وأساتذته ومن تتلمذ على يديه ثم يذكر سنة وفاته، ومن خلال الترجمة والكتابة عن أديب تبدو موهبته في اختيار الأشعار التي ينقدها ويحكم عليها بالجودة أو الرداءة فالكتاب معجم عام للأدباء من أهل العلم والأدب واللغة والنحو والكتابة وغيرها[1] .

قال: «وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع لى من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف فى الأدب تصنيفا أو جمع فى فنه تأليفا»[2] .

ولعل اهتمام ياقوت بالترجمة للوراقين أصحاب الخطوط هو نوع من الألفة لقديم المهنة، فلقد اشتغل فى مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة، فحصل فوائد كثيرة من مطالعة ما يقع له من الكتب، واستفاد من هذا التحصيل فى تأليف كتبه، ومنها هذا المعجم.

ولقد رتب الأشخاص المترجم لهم على نظام حروف الهجاء، وسلك فى كتابه طريق الإيجاز، وإن لم يلتزم بهذا الشرط، فلقد تنوعت التراجم بين الطول والإيجاز، مما يوحى بأن المعجم كتب فى مدى طويل وعلى أزمان متباعدة كما

(١) راجع كتاب «ياقوت الحموى أديبا وناقدا» ص ١٣٧ للمؤلف.

(٢) معجم الأدباء جـ١ ص ٤٨ .

اهتم بتواريخ المواليد والوفيات لمن ترجم لهم، واعتمد على عدة طرق فى جمع مادته العلمية مثل الرسائل الخاصة، والسماع من العلماء الذين التقى بهم فى البلاد التى أقام فيها أو ارتحل إليها والكتب، المؤلفات التى أشار إليها فى مقدمة الكتاب وفى أجزائه العشرين، وقد كان يختار بعض النماذج الشعرية ممن يكتب عنهم، واعتنى برواية أنساب من يترجم لهم، وذكر بعض الروايات والقصص والحكايات التى ينتقدها ويحكم عليها، ولم يغفل الحديث عن كثير من معاصريه

- وكان حريصا على السفر والارتحال إلى من كتب عنهم.

فمعجم الأدباء دائرة كبيرة للمعارف، وموسوعة عامة فى الأدب، وتراث ضخم فى اللغة، وديوان زاخر بكل فنون الشعر.

وقد تحدث ياقوت عن ألف وسبعين من رجالات الأدب واللغة فضلا عن ترجمات عديدة ضاعت ولم تصل إلينا ليكتمل منها جميعا أصل الكتاب.

ومن كتب البحوث والتراجم الأخرى:

- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء: لعبد الرحمن بن محمد الأنبارى.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان.
- فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبى.
- الوافى بالوفيات: للصفدى.
- بغية الوعاة: للسيوطى.
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلى.
- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع: للسخاوى.

ثانياً: من كتب الأدب والنقد والتاريخ عند القدماء:

- الحيوان – والبخلاء – والبيان والتبيين: للجاحظ.
- الكامل: للمبرد – والمعارف – وأدب الكاتب – وعيون الأخبار: لابن قتيبة.
- الإمتاع والمؤانسة – والمقابسات – ومثالب الوزيرين: لأبى حيان التوحيدى.
- الفهرست: لابن النديم.
- حسن المحاضرة – وبغية الوعاة: للسيوطى.
- يتيمة الدهر: للثعالبى.
- الموازنة بين أبي تمام والبحترى: للآمدى.
- الوساطة بين المتنبى وخصومه: للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى.
- زهر الآداب وثمر الألباب: للحصرى القيروانى.
- مروج الذهب: للمسعودي.
- الأمالى: لأبى على القالى.
- أمالـــى: المرتضى.
- أمالـــى: الزجاجي.
- العمـــدة: لابن رشيق القيروانى.
- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام.
- العقد الفريد: لابن عبد ربه.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب: للنويرى
- نقد النثر – ونقد الشعر: لقدامة بن جعفر.
- سر الفصاحة: لابن سنان الخاجى.

- كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري.
- عيار الشعر: لابن طباطبا.

ولا شك في أن الكثير من خصائص البحث وملامحه التي تعرفنا عليها في المؤلفات التي تحدثنا عنها تنطبق على غالبية الكتب التي ذكرناها تأكيدا على اتساع مجالات البحث عند القدماء فضلا عن ذخائر المكتبة العربية التي يضيق المقام عن حصرها.

وقد اتسعت مجالات البحوث العلمية والأدبية منذ أواخر القرن التاسع عشر، ووضعت كتب ودراسات عديدة خضع المؤلفون في إعدادها للمناهج البحثية المختلفة يستوي في ذلك ما تأثر فيه العرب بتراثهم الزاخر وما نقلوه عن الأمم الأخرى مثل كتاب منهج البحث في الأدب واللغة لـ «لانسون» و«ما ييه» والذي ترجمه الدكتور/ محمد مندور، وألحقه بكتابه «النقد المنهجي عند العرب» وغيره كثير.

وهذه طائفة من المؤلفات التي تتجلى فيها مناهج البحث في الآداب والعلوم:

- الوسيلة الأدبية: لحسين المرصفي
- تاريخ آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان.
- تاريخ آداب العرب: لمصطفى صادق الرافعي
- تحت راية القرآن: لمصطفى صادق الرافعي.
- ابن الرومي حياته من شعره: لعباس العقاد.

- مع المتنبى – الأدب الجاهلى: د. طه حسين.
- النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز.
- من هدى القرآن: لأمين الخولى.
- الإعجاز البيانى للقرآن: د. عائشة عبد الرحمن.
- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى – والفن ومذاهب فى النثر العربى: د. شوقى ضيف.
- تاريخ الأدب العربى: لكارل بروكلمان.
- الأعلام: لخير الدين الزركلى.

فالمكتبة العربية حافلة بالآلاف من الكتب التى تسجل وترصد حركة الإبداع فى الأدب الحديث.

* * *

الفصل الثالث

كتابــــــة البحــــث

يتمنى كل باحث أن يوفق في الموضوع الذي يسعى للكتابة فيه لكن التمني شيء والحرص على الثقافة وزيادة المعلومات لنجاح البحث شيء آخر، وما أكثر الذين نهضوا بإعداد البحوث والرسائل الجامعية، ولكن المفيد النافع الذي يتحدث الناس معجبين به قليل جدا إذا أخذنا في الاعتبار الكم الهائل من رسائل الماجستير والدكتوراة في الجامعات المختلفة، والقليل منها قد طُبع في كتب متداولة، والكثير لا يعلم الناس عنه شيئا إذ تمتلىء به أرفف المكتبات ويعلوه التراب، أو أنه في طريقه إلى النفاد بسبب العوامل الطبيعية والتخزين في الأماكن المختلفة، ونعود إلى التأكيد على أهمية هذه الثروة المهملة، فإذا كان الكثير منها تنتهي العناية به بمجرد، الحصول على الدرجة العلمية، فإن القليل يمكن أن يستثمر وينتفع به كثير من الباحثين، ولا زلت أذكر مقدار ما استفدته من معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية منذ أكثر من عشرين عاما حيث تم تصوير المخطوطات التي ضاع الكثير منها في مكتبات الشرق والغرب على شريط صغير (ميكروفيلم) وبهذا يمكن الحفاظ على عدة الآف من الكتب في (دولاب) صغير.

وأعتقد أن الطموح مشروع، وأن الأمل كبير في اقتراب اليوم الذي تُصوّر فيه الرسائل والبحوث الجامعية وسائر كتب التراث وجميع المصادر على أمثال هذه الشرائط، وأن ترصد وتسجل قوائمها على شبكات الاتصال العالمية مثل (الأنترنيت) أو غيرها.

ذلك لأن البحث الجيد مهم جدا وهو ثمرة جهد متواصل وعمل دؤوب وإشراف من الأساتذة وإنفاق من هيئات علمية معترف بها، ومن هنا كان التهاون أو التساهل في الإشراف على الرسائل الجامعية وما شابهها سلوكا ذميما، وما أبشع تفسير هذا المنزع على أنه رحمة وأخذ بيد الباحثين دون مراعاة للعدالة عند الحكم على هذه البحوث، فالباحث أو الأديب أن يكتب مقالة أو كتابا يحكى فيه ذكرياته، أو يمدح شاعرا أو روائيا أو ناقدا معينا، ويلتزم فيه بالعدل والنصفة وبذل الجهد وتحرى الحقيقة وإثراء الفكر والثقافة والأدب، كل ذلك وغيره جائز في مجال المقالات والكتب المؤلفة.

لكن البحث الجاد الذى كُلِّف به باحث أو طالب جامعى فى جهة علمية أو بحثية – يستدعى الحرص الزائد من الطالب والمشرف ولجنة الحكم والمناقشة ومن مجالس الأقسام والكليات والجامعات وهى تتابع البحث من بدايته إلى منتهاه؛ لأن لكلٍ دورا فى إثراء البحوث والرقى بها.

أولاً: اختيار موضوع البحث:

نعلم أن منهاج كتابة البحث الأدبى لا يختلف كثيرا عن غيره من التخصصات المتصلة باللغة والعلوم الإنسانية وغيرها، إلا من حيث الصياغة والعرض، أما طريقة الإعداد، ومراجعة المصادر والوصول إلى النتائج وغير ذلك من الخطوات، فلا يختلف إلا بمقدار الاختلاف بين موضوع وآخر فى العلم أو الفن الواحد.

واختيار موضوع البحث ليس شيئا هيّنا يمر عليه ويتجاوزه الطالب سريعا؛ لأنه مسألة صعبة وقضية شائكة ومتشابكة؛ لأن النجاح وإتمام البحث بالصورة

المثلى، وغير ذلك يمكن أن يكون سهلا إذا نهض به شخص أو باحث لا يعوّل كثيرا على عمله ولا ينتظر أن يظفر به على منحة أو براءة جامعية وما أبعد المسافة بين بحث يتطوع به شخص لنفسه دون أن يتقدم به لجهة محكمة وبحث فى شكل رسالة أو أطروحة جامعية يعين لها أستاذ مشرف، ويشاركه آخرون فى تقويم البحث والحكم عليه تمهيدا للظفر به على درجة أو شهادة، ونحن فى هذه الدراسة لا نعول إلا على هذا النوع من البحوث الذى سرنا عليه، وحكم علينا من خلاله وها نحن نكلف به طلابنا ودارسينا فى سنوات النقل الجامعية وفى المراحل المختلفة من الدراسات العليا.

ومهما كان الموضوع الذى سيتم النهوض به فلابد أن يتسلح الطالب له بالقراءة الجادة الفاحصة، وأن يحرص على أن يتعلم كيف يقرأ مستفيدا بالرواد والمفكرين وأهل الخبرة فى مجال تخصصه الدقيق.

والفروق كبيرة جداً بين هذه الدراسات والبحث الجامعى الذى يعده الطالب المبتدىء فى إحدى سنوات الدراسة وهو ما يسمى بالبحث (الصفى) أو (الفصلى)، ومن الممكن أن يختار الأستاذ لطلابه الموضوع الذى سيكتبون فيه؛ لأنهم من الوجهة العلمية فى بدايات الطريق، ومن الأفضل أن يحدد لهم الحقبة الزمنية التى يختارون الموضوع منها دون أن يحدد موضوعا معينا، بحيث ينتقى كل طالب ما يميل إليه، ويجد لديه من المصادر ما يعينه على اتمام الموضوع بصورة جيدة.

وتبقى الأفضلية لأهمية أن يعتمد الطالب فى هذه المرحلة على نفسه فى اختيار البحث، فلربما كان ذلك باعثا له على الإجادة والتحدى وإثبات التميز والمقدرة والشجاعة الأدبية.

ونوصى – مع ذلك – بضرورة أن يستشير الباحث من هم أكثر منه خبرة وألا يلجأ إلى التواكل والاعتماد على الآخرين، ويستسلم لليأس والخوف والخنوع، فيسعى لأن يتولى غيره ماهو مكلف به وواجب عليه... «ولما كان اختيار البحث، وتحديد الموضوع مسئولية الباحث وحده فعليه أن يسلك كل مسلك لتأمين سلامة موضوعه، وفحصه فحصا دقيقا، وكل جهد يبذل فى سبيل ذلك سيؤمن سلامة المسيرة ويحقق النتائج المرجوة»[١].

فإذا جاز لطالب مبتدىء – أن يعينه أستاذه على اختيار موضوع بحثه فإن الأمر جد خطير فى اتجاه الباحثين نحو الاعتماد على أساتذتهم فى اختيار موضوعات بحوثهم، والأخطر من ذلك هو عجز بعض أعضاء هيئة التدريس الجامعى عن اختيار موضوعات بحوثهم التى يعدونها للترقى بها إلى درجات أعلى فى السلم الوظيفى.

ونعود للتأكيد على أهمية أن يختار كل باحث موضوعه بنفسه حتى لو كان ذلك صعبا وشاقا لما تتطلبه دواعى الاختيار من ثقافة واسعة يهتدى بها إلى موضوع طريف وبحث فريد، ولا تتحقق هذه الثقافة إلا بالقراءة الواسعة والمتابعة الجادة لكل ما ينشر ويذاع حول البحوث الأدبية التى تثير الشهية لدى

---

(١) الدليل إلى منهج البحث العلمى: د/ أحمد سيد محمد ص ٤٧، دار المعارف بمصر ١٩٨٥.

الباحثين فى اكتشاف الموضوعات التى تتلاءم معهم، فالقراءة سلاح فعال يحتمي به كل باحث قبل أن يلج المجال الرحب الفسيح لمعالم البحث، ولا يتوقف تأثيرها على اتساع أفق الباحث عند اختياره لموضوعه، ولكنها تسهم فى ولادة العديد من الأفكار والخواطر التى تثرى العرض وتميزه عن غيره... «ومن أجل ذلك كان ينبغى ألا يهجم ناشيء على البحث فى الأدب قبل أن يتسلم له بقراءات كثيرة فيه وفى مباحثه حتى يجد نفسه، وحتى تتكون شخصيته تكونا أوليا»[١] .

وإذا كان الأساتذة يوجهون طلابهم ويتركون لهم حرية الاختيار، فعلى الباحث أن يحرص على متابعة أساتذته فى محاضراتهم وندواتهم وأن يكون وثيق الصلة بهم، ليتمكن من التعرف على بعض الجوانب التى تستحق البحث، متحاشيا تلك التى كثر الوقوع عيها كأنها (مرافق عامة) يبتغيها وينهل منها كل عابر السبيل.

فمن المهم جدا تعرف الباحثين على الموضوعات التى لم يهتم بها الدارسون، فليس من مصلحة الباحث أن يتسع الموضوع فلا يقدر على جمع أجزائه ومناقشة كل أفكاره، ومن الخطأ أن يبالغ فى تضييق الموضوع فلا يجد من المصادر ما يعينه على بحثه واستقصائه بحثا موضوعيا جادا يطرح فيه جزئيات القضايا ويعرف بها ويناقشها ويحكم عليها. وينطبق ذلك أيضا على الأعلام والشخصيات والقضايا والمواقع والأزمان.

(١) البحث الأدبى: د/ شوقى ضيف، ص ١٨ .

ومن الخطأ محاولة كثير من الباحثين جمع النقول التى ربما تكون متناقضة أحيانا دون أن يتدخل فيها بالرأى فى القبول أو الرفض، وأن يتأكد من عدم بحث الموضوع؛ لأن سبق دراسته سوف يضعه فى حرج وضيق من عدم القدرة على إتمامه، إما لأن الباحث المتقدم قد أعطى الموضوع حقه ولم يعد فيه ما يشجع على دراسته؛ أو أن بعض الأجزاء منه لم تستوف حقها ولكنها ضيقة جدا ولا تستحق أن يبذل من أجلها الجهد الذى يسعى الباحث من ورائه؛ للحصول على نتائج علمية أو مادية أو معنوية، فالكتابة فى موضوع سبق بحثه جهد غير مأمون النتائج، ومنطقه خطيرة ينبغى الحذر منها، ونقول ذلك ونؤكد عليه – وفى أذهاننا الفروق الكثيرة بين البحث المقدم فى صورة أطروحة جامعية، وغيره من البحوث الصغيرة أو المقالات والكتب.

وذكر الدكتور/ أحمد شلبى بعض الأسئلة التى يجب على الطالب أن يسأل نفسه بها قبل تسجيل موضوعه والتقيد به وهى:

١ – هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد؟

٢ – أفمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟

٣ – أفى طاقتى أنا أن أقوم بهذا العمل؟

٤ – هل أحب هذا الموضوع فأميل إليه؟

فإذا كانت الإجابة بالنفى فى أى من هذه الأسئلة، فليحاول موضوعا آخر دون أن يضيع وقته ونشاطه فى دراسة لن تكتمل له فيها عناصر النجاح[1].

---

(١) كيف تكتب بحثا أو رسالة: ص ٣٦ (النهضة المصرية ١٩٨٣).

ومع ذلك لابد من توافر ما أشرنا إليه من حيث وجود المصادر، والمراجع واقتناع الطالب بالموضوع ومناسبته لنوع، تخصصه ودراسته الجامعية، وموافقة المشرف الأكاديمي على موضوع البحث وخطته التفصيلية ثم إن التسرع في الاختيار غالبا ما تتولد عنه مشكلات كثيرة فيكتشف الطالب أن الموضوع قد سبق بحثه، أو أن مصادره قليلة أو أنه ضيق لا يصلح، أو متسع متشعب فيلجأ إلى تغيير الموضوع أو تعديله توسيعا أو تضييقا، وليس ذلك عيبا، وإن كان أثرا من آثار التسرع في الاختيار، ولابد في النهاية أن يكون عنوان البحث طريقا جذابا يفتخر صاحبه به طوال حياته.

ثانيا: خطـــة البحث:

لابد أن يحرص الباحث على القراءة الجادة المتصلة بالموضوع الذى اختاره ورضى به، مع ضرورة أن يأخذ فى اعتباره أهمية الاطلاع على بعض الرسائل والبحوث التى تقترب فى موضوعها مع ما سوف يقوم ببحثه ودراسته متى تتوافر له الخبرة والمعرفة للوصول إلى بحث متكامل مفيد.

فالتخطيط لأى عمل أو بحث أو مشروع ضرورى وهام، فيوجد ما يسمى بوزارة التخطيط، والتخطيط العمرانى، والخطة والموازنة وما شابه ذلك. ويعنينا هنا أن نؤكد على أهمية التنظيم والتخطيط فى كل بحث أدبى أو علمى يسهم فى إثراء الحياة الفكرية والنقدية. ولذلك فأول ما يتقدم به الطالب إلى الجهة التى يدرس بها بعد اختياره لموضوع بحثه هو الخطة والنُبذة (بفتح النون وضمها) وهذه عبارة عن بيان موجز للموضوع، وإشعار بأهميته وضرورة البحث فيه.

أما الخطة فهي رسم للخطوط التي سيسير الباحث عليها، وبيان للمنهج الذي سوف يسلكه، بحيث تبدو أجزاء الموضوع مترتبة ترتيبا طبيعيا ومترابطة ومتماسكة ببعضها تماسكا يشبه الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية، والخطة إماموجزة مجملة أو مفصلة موسّعة وهذه أهم وأفضل؛ لأنها تشعر أن الباحث قد ألمّ بالجزئيات المطالب ببحثها، ويحدد مدى صلته بالموضوع، مع العلم بأن أية خطة قابلة للتعديل، لكن ثبات الخطة وانتظامها يسهم في السير الطبيعي عند البحث وقد أوجز الدكتور/ أحمد شلبي مراحل إعداد الخطة في أربعة نقاط على النحو التالي:

١ – التعرف على نماذج من التخطيط لرسائل قريبة الشبه برسالة الطالب.

٢ – القراءة حول موضوع رسالته؛ للتعرف عليه والتعمق فيه دون تقييد شيء.

٣ – اقتراح تخطيط لرسالته في ضوء النقطتين السابقتين.

٤ – القراءة العامة حول الموضوع مدة شهر أو شهرين، مع قرب الصلة بالتخطيط؛ لإمكان أن يُدث به بعض التعديلات قبل أن يبدأ مرحلة إعداد البطاقات وإعداد المراجع[1] إن الخطط البحثية ليست قوانين أو أحكاما نهائية لا تُمَسّ بل هي مجموعة من الأفكارالمنظمة التي تسهم في استكمال البحث لجميع جزئياته، ولذا يجوز إعادة النظر فيها وتغييرها بالاضافة أو الحذف، كما أنها تخضع لقدرات الباحث وتكشف مدى طموحه في ضوء المعطيات التي يعالج الموضوع من خلالها، وإلا فلكل بحث طبيعة خاصة تفرض الخطة التي تتلاءم معه،، فالاختلاف بيّن

---

(١) كيف تكتب بحثا أو رسالة، ص ٤٦.

بين التخطيط لموضوع ادبى أو نقدى، والتخطيط لدراسة شاعر أو عصر أو حقبة أدبية متميزة أو دورية مـن الدوريـات، فتحديد الخطة وثيق الصلة بطبيعة الموضوع وشخصية الباحث ورؤية الأستاذ المشرف على إعـداد البحث.

ويقسم البحث الصغير إلى فقرات، تأخذ كل فقرة رقما مسلسلا، ويمكن أن يقسم إلى مجموعة من الفصول.

وترسم الخطة في البحوث الكبيرة مثل رسائل الماجستير والدكتوراة على أساس الأبـواب، ويقسم كل باب إلـى مجموعـة من الفصول، وتعد الأبواب بفصولها المختلفة والمتوازنة صلب البحث وهيكله، وإذا اتسعت أجزاؤه، وتعددت جوانبه وكبر حجمه. يمكن تقسيمه إلى أجزاء ليكون على الصورة الآتية (مثلا):

الجزءالأول - الباب الأول - وتذكر فصوله والباب الثانى وتذكر فصوله وهكذا يمكن أن تزيد الأبواب وتصل إلى ثلاثة أو أربعة، ثم يأتى الجزء الثانى ويذكر معه ماذكر مع الجزء الأول أو قريبا منه، وربما يستعمل اصطلاح «القسم» بدلاً من «الجزء» فطبيعة الموضوع هى التى تحدد بصفة أساسية بقية تبويب البحث، مع ضرورة الحرص على التقارب النسبى فى الحجم بين المتشابهات «الأجزاء» أو «الأبواب» أو «الفصول».

ولابد أن تستكمل دراسة الموضوع فى صلب البحث، وتكون البداية بالمقدمة، وبعدها التمهيد أحيانا، ثم تلى الأبواب والفصول «هيكل البحث» مادتان أخريان هما: الخاتمة والفهارس.

المقدمـــــة:

وتسمى خطبة البحث، وهى آخر ما يكتب فى الموضوع غالبا مع ضرورة الإعداد لها أثناء الكتابة؛ لأهميتها؛ ولأنها أول ما يلقاه القارىء، حيث يتضح فيها سبب اختيار الموضوع أو القضية أو المشكلة التى يسعى لدراستها وإيجاد الحلول لها فى ضوء التطور التاريخى للأحداث وبيان أهمية البحث والهدف منه وذكر الخطة أو المنهج الذى سار الباحث عليه والتزام به، ويحدد فيها أهم المراجع التى استفاد بها أو سبقته إلى بحث جوانب من الموضوع وترقم أحيانا بالحروف (أ، ب، جـ، د، هـ...) لأنها تكتب فى النهاية وتذيل غالبا باسم الباحث وعنوانه وتاريخ الكتابة، ويكون ذلك بإيجاز من غير استطراد.

التمهيـــــد:

إذا كان موضوع البحث عن شاعر أو قضية معينة مرتبطة بزمن أو منطقة مثلا فنبحث فيه أحوال العصر. بلا إطالة؛ لأنها أمور ليست من صميم الموضوع وإن كانت متصلة به، ولذا يسمى التمهيد أحيانا «المدخل» أو التوطئة فتدرس فيه الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والحالة الثقافية، وقد صار الأساتذة المشرفون يضجون من هذه الأمور لتكرارها وطول الحديث فيها ولعدم دخولها فى صلب البحث أحيانا؛ ولانشغال الطلاب بها على حساب الموضوع الأساسى.

الخاتمـــــة:

وتضم خلاصة لمجموع ما تم بحثه فى صلب البحث، وتتأكد أهميتها من تعلق ذهن القارىء بما جاء فيها من نقاط أساسية ونتائج أمكن الوصول إليها،

وعقبات تم التصدى لها والتغلب عليها، وتكون الكتابة فيها حسب تسلسل عرض الموضوعات بالبحث، أو وفق منهج جديد يعرض فيه للأهم فالمهم من القضايا، أو يذكر بعض المعلومات الجديدة التى لم تسبق الإشارة إليها بلا إطالة، واستطراد وتكرار.

الفهـــــارس:

وهى مهمة جدا للقارىء؛ لأنها ليله ومصباحه الذى يكشف له مفردات البحث، وقد صار أكثر الباحثين والكتاب يركزون فيها على شقين هما:

فهرس المصادر والمراجع: وفهرس الموضوعات

وقد يضاف بعدهما ملحق أو أكثر للبحث.

أما فهرس المصادر والمراجع فهو مهم جدا ويذكر أحيانا فى أول الكتاب، وغالبا ما يذكر فى آخره ولابد من الفصل فيه بين المصادر «مؤلفات القدماء» «والمراجع» «مؤلفات المحدثين» وتتقارب المصادر والمراجع فى الإطلاق العام وإلا فيمكن أن يضاف إلى قائمة المصادر كل مؤلف محدث تجد فيه مالا تجده فى كتاب متقدم، كما يرقى إلى قائمة المصادر أيضا نتاج الأديب من شعر أو نثر أو نقد إذا كان الموضوع عن شخصية، أو نتاج جميع الأدباء الذين يكونون المادة الأولى للبحث.

أما المؤلفات الحديثة عن موضوعات قديمة فهى التى يطلق عليها اصطلاح المراجع.

«وخلاصة القول فى المراجع أنها ألفت للقراء أولا ، أماالمصادر فهى للمؤلفين أولا . إن المراجع لعامة طالبى المعرفة أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصادر– أو المنبع إن شئت»[١] .

فالمراجع ثانوية والمصادر أساسية ومهمة جدا، وبعض المؤلفين يستخدم الكلمة مكان الأخرى، أو لا يرى فرقا بينهما، أو يذكر اصطلاحا ويريد ما تشتمل عليه الكلمتان، ولا داعى لهذا التفريق الذى لم يتفق عليه الكثيرون.

ويكون البيان شاملا عن المخطوطات – والكتب العربية – والكتب الأجنبية – ودوائر المعارف – والمجلات «الدوريات» – والصحف – والوثائق – والأحكام – والخطابات.

وتذكر المصادروالمراجع مرتبة على حروف المعجم بالنظر إلى عنوان الكتاب لتسهيل المراجعة أو بالنظر إلى اسم المؤلف أو اللقب الذى اشتهر به أو يكون الترتيب الهجائى حسب اسم العائلة ثم يذكر بعده الاسم كاملا.

وميزة الترتيب حسب المؤلف أن الأسماء لا تكرر مع كل شخص له أكثر من كتاب، أما ميزة الترتيب الهجائى حسب اسم الكتاب فهى السهولة واليسر؛ لأن شهرة الكتاب غالبا ما تكون أكبر من شهرة صاحبه، وقد سرت على هذه الطريقة فى كل ما كتبت باستثناء كتاب واحد جاء الترتيب فيه حسب عائلة المؤلف[٢] ويذكر بعد اسم الكتاب اسم المحقق أو الشارح «إن وجد» ومكان الطبع

---

(١) منهج البحث الأدبى: د/ على جواد الطاهر ص ٨٠.

(٢) هو كتاب «امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين».

واسم المطبعة ودار النشر وتاريخ الطبع ورقم الطبعة، وتذكر المراجع والمصادر في هوامش الكتاب أو البحث مع البيانات أول مرة ثم يتخلى عنها إذا تكرر ذكرها، أو تذكر بدونها مادام سينص عليها في القائمة التي تأتي مع الفهارس في آخر البحث.

ويلجأ بعض الباحثين إلى زيادة عدد مصادره ومراجعه بذكر مؤلفات لم يستعن بها بهدف المباهاة والوجاهة العلمية التي لا طائل منها، وتعد خطأ علميا لا مبرر له.

وتأتي أهمية فهرس الموضوعات من كونه بيانا أخيرا للقضايا والأفكار التي تم بحثها فعلاً خاصة إذا ذكر مقرونا بأرقام الصفحات.

أما بقية الفهارس فهي مهمة أيضا ولكن عزيمة الباحثين لم تسعفهم بالالتزام بما كان المؤلفون وكبار المحققين الكبار يحرصون عليه من ذكر للعديد من الفهارس مثل: فهرس الآيات القرآنية - فهرس الأحاديث القدسية والنبوية - فهرس القوافي والبحوروالأرجاز - فهرس الأعلام من الأشخاص والبلدان - فهرس الخرائط والمصورات، وفهارس أخرى للأمثال واللغة والقبائل والأمم والطوائف والكتب التي وردت في متن البحث، وليرجع من شاء إلى منهج المحققين لأمهات الكتب مثل البيان والتبيين للجاحظ - والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ومعجم الأدباء لياقوت وغيرها.

ثالثا: إعداد البحث:

إن جمع المادة العلمية مهم جدا فى إعداد البحوث، ويلزم أن ننسب كل فكرة أو رؤية إلى مصدرها، وتسجل أولا فى قصاصات أو بطاقات مرتبة قبل التأليف بينها وصياغتها والحكم عليها مع ضرورة المراجعة المستمرة لكل جزئية أو فقرة أو فصل أعده الباحث فى التجارب الأولى.

ويجب تنسيق المعارف والمعلومات والأفكار التى يتشكل منها الموضوع المطروح للدراسة، وحول هذا التنسيق قال الدكتور/ شوقى ضيف: «قد يبدو لأول وهلة أن تنسيق مواد البحث الأدبى لا يحتاج إلى أكثر من جمعها، ثم وضعها فى فصول متناسقة، وهذا صحيح، غير أنه حين يخرج إلى التطبيق يبدو ما فيه من عسر شديد، فإن المواد التى يجمعها الباحث -- وبخاصة إذا كان مبتدئا – قد تحمل فى تضاعيفها أشياء كثيرة يظن أنها ذات صلة بالبحث، فحين يحاول سردها جميعا يتخلخل الموضوع ويصبح مليئا باستطرادات لا حصر لها، ولذلك كان ينبغى أن يحدد موقفه وموقف بحثه من المواد التى يجمعها، ليس كل ما يجمعه جديرا بأن يسرد فى البحث...»[١] .

ونلاحظ أن بعض الباحثين يسرفون فى النقول، فتغيب الرؤية الخاصة بهم، ولا يحكمون على ما نقلوه من اعتدال أو تجاوز، أو أنه يتفق مع أحكامهم أو يختلف عنها، فلابد من الحرص على دقة تفسير الأحكام وتحليل النتائج، وعرض الآراء، والأخذ بالقواعد اللغوية عند الكتابة والتأليف، وتحاشى الغرور والتعالى والثقة الزائدة بالنفس.

---

(١) البحث الأدبى: د/ شوقى ضيف، ص ٣٦.

وبعض الباحثين لا يحرصون على المراجعة ولا يبالون بعلامات الترقيم على بساطتها، وهذا خطأ بيّن، كما يهملون توجيهات المشرف، ويتعصبون لما توصلوا إليه من نتائج، أو يذكرون أمورا ليست لهم، وينسبونها لأنفسهم، وبهذا يصبح مشروع البحث في مهب الريح.

وإذا انتهى صاحب البحث من الكتابة عاد إلى المراجعة، وحذف منه ما تأكد من عدم صوابه، وأضاف إليه ما رأى أنه جدير بالإثبات ثم يقدمه إلى المشرف ليعيد مراجعته، والحكم عليه قبل دفعه إلى الطبع وإخراجه إلى النور والضياء.

ولا ينتهي البحث الجامعي إلا بمناقشته والحكم عليه وتقرير مدى صلاحيته وأهليته لمنح صاحبه الدرجة التي يسعى إليها ويطمح فيها.

إن اتمام البحث وكتابته والحكم عليه يختلف من كلية جامعية إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر، وإن مستوى البحث يختلف أيضا من شخص إلى آخر، فالكتابة عن عصر أو فن أو قضية أو شخصية ليست كدراسة مجلة دورية أو مجموعة من الكتب لشخص معين، كما أن كل ذلك ليس كتحقيق المخطوط الذي ينبغي أن يكون العمل فيه مختلفا من حيث مراجعة النصوص قبل اختيارها، والاعتماد على أكثر من نسخة للمخطوط الواحدة، وتحديد واحدة لتكون الأصل مع بيان الفروق بين نسخة وأخرى، وتحقيق الآيات والأحاديث والأشعار ودراسة كل جزئية دراسة جديدة، والتعريف بالمؤلف تعريفا شاملا.

لقد قام المستشرقون بجهود كبيرة فى تحقيق التراث وتسهيل سبل الانتفاع به، وإعداد الفهارس العلمية النافعة، ونضرب مثالا على ذلك بما قام به المستشرق الألمانى «هالوارد» من وضع الفهارس للمخطوطات العربية فى مكتبة «برلين» فى عشرة مجلدات جمع فيها عشرة آلاف مخطوط.

فلابد إذن من اتمام ما قام به العرب والأجانب من تحقيق وطبع لمصادرنا التراثية التى ترصد بعض الجوانب لمعالم الحضارة العربية والإسلامية.

* * *

الفصل الرابع

التقريـــــــر

التقرير صورة من صور الكتابة الحديثة التي لم يكن لها تواجد بهذا المعنى في القديم. والمقصود من التقرير هو تقديم قدر من المعلومات الصحيحة حول أمر من الأمور المختلفة، أو عرض مجموعة من المعلومات الصحيحة حول أمر من الأمور المختلفة، أو عرض مجموعة من المقدمات والنتائج حول دراسة معينة؛ وذلك استجابة لطلب أو تكليف من فرد أو من مجموعة أفراد أو من جهة خاصة أو حكومية.

وقد زادت أهمية التقرير في السنوات الأخيرة بعد التقدم العلمي الذي يشهده العالم ، وصار التقرير مقرونا بدراسة المناهج والبحوث العلمية. فضلا عن تدريسه في أقسام اللغة العربية بالكليات الجامعية، ليتسنى لكل مكلف بكتابة التقارير معرفة الخطوات المتبعة في الكتابة ، وتحديد الإطار أو الخطة التي يعتمد عليها في بناء التقرير وبيان اللغة التي يكتب بها، ولذا كان من الضروري أن يكون كاتب التقارير ملما بقدر كبير من الثقافات المتنوعة سواء أكان التقرير عن بحث تم إعداده أم عن عمل تم القيام به، أو عن مشروع مقترح للتنفيذ والإنشاء. وعندما يكون الغرض من التقرير تقديم صورة عن بحث تم إعداده والانتهاء منه يأتي الهدف من التقرير من خلال عرض صورة لنشاطات الباحث سواء أكانت ذهنية أم عملية مع عرض الخطوات التي اتبعها أثناء القيام بالبحث، وشرح الوسائل التي اعتمد عليها في تقديم المشكلة المنوطة بالبحث، وبيان

الكيفية التى اتبعها لحل المشكلة، وشرح النتائج التى تم التوصل إليها بعد الدراسة .

ففى حقل الدراسات الجامعية ينهض الأساتذة بتقديم تقرير سنوى عن الجهود البحثية لطلاب الدراسات العليا، وعن نشاطات الأقسام التى ينضمون إليها أو يشرفون عليها، وعن الرسائل التى يشاركون فى مناقشتها، والكتب والمؤلفات التى يكلفون بالفصل فيها وتقرير، مدى قيمتها العلمية .

ومن الواضح أن للتقرير أهمية كبيرة مهما اختلفت أنواعه، إذ بواسطته تتخذ القرارات التى تهم الفرد والمجتمع، ولابد أن يعلم القارىء مدى أهمية التقرير الذى يعد عن مشكلة من المشكلات، أو عن ظاهرة من المظاهر الاجتماعية، أو عن واحد من الأمراض العضوية أو النفسية أو الاجتماعية. وليس الهدف من التقرير هو الفائدة والمتعة كما يتجلى ذلك فى بعض الألوان الكتابية، وإنما تنحصر أهميته فى الفائدة التى تعود على الجميع.

وللتقارير أنواع متعددة منها التقرير النهائى الذى يوضع بعد نهاية عمل أو نشاط معين مثل التقرير الذى يعد فى نهاية دورة تدريبية معينة، أو التقرير الذى يقدم بعد دراسة التربة الزراعية فى منطقة ما، أو الذى يقدم بعد معالجة مريض فى إحدى المستشفيات، والذى يقدم بعد عمل بحث ميدانى عن ظاهرة من الظواهر.

ومن هذه الأنواع التقرير المتتابع الذى يقدم عن عمل قائم فعلا، أو الذى يقدم أثناء دراسة تجرى فى مجال معين، ومثل التقرير الذى يقدم عن موظف

أثناء قيامـه بالعمـل، أو عـن تجربـة مازالت تحت الإجراء، أو عن آلة فنية أثناء تشغيلها.

ومن الأنواع المذكورة التقرير الميدانى، مثل التقرير الذى يقدم إلى فرد من أجل إنشاء محل تجارى، أو التقرير الذى يقدم إلى الدولة من أجل إنشاء مستشفى أو مدرسة أو مؤسسة صناعية إلى غير ذلك من الأمثلة.

وهكذا تتعدد أنواع التقارير، وتتعدد أيضا – بدرجة أكبر – المجالات التى تطرقها وتعالجها؛ إذ أن واحدا من الأنواع السابقة مثل التقرير النهائى يشمل معظم مجالات الحياة كالتعليم، والصحة، والزراعة، والطب، والمحاسبة، والإدارة والصناعة كما يشمل سائر العلوم الإنسانية وغيرها.

الخطوات المتبعة فى كتابة التقرير:

(١) لابد أن يحرص كاتب التقرير على معرفة الفرق بين الأنواع السابقة للتقرير، إذ أن لكل واحد منها متطلبات معينة فى الإعداد والتنفيذ.

(٢) معرفة الهدف من التقرير إذ أن تحديد الهدف يؤدى دورا كبيرا فى نجاح التقرير...، وهنا يجب على كاتب التقرير أن ينتبه إلى مسألة فى غاية الأهمية هى أن تحديد الهدف من التقرير لا يقوم به الكاتب نفسه كما يراه بل يأتى التحديد من طالب التقرير..."[1].

(٣) جمع البيانات والخرائط (إذا وجدت) والمعلومات والاستبيانات والحقائق من المصادر المختلفة، ويشترط أن تكون هذه البيانات صحيحة،

---

(١) التحرير العربى للدكتورين: أحمد شوقى وعثمان الصالح، نشر جامعة الملك سعود بالرياض، ص ٢٠٠.

ومستقاة من مصادر موثوق بها، علما بأن هذه المصادر تختلف من تقرير إلى آخر، وينبغي للكاتب أن يتعرف على مراكز المعلومات والمكتبات ودور الصحف، فضلا عن مشاهداته ومقابلاته؛ إذ أن لكل هذه المعلومات التي تتعدد مصادرها دورا كبيرا في الوصول بالتقرير إلى المستوى المطلوب.

(٤) الاتجاه في الكتابة نحو النقاط الأساسية في التقرير، ومن الأفضل أن يبتعد الكاتب عن التعليقات المطولة التي لا تتصل بموضوع الدراسة، وأن يتجنب التأثير على القارىء على حساب الحقائق، ومن الأفضل أن يوجه كل جهده نحو النقاط الأساسية، ولا يليق بالكاتب أن يتخذ من أعداد الأوراق المكتوبة معيارا لجودة التقرير، فليست العبرة في عدد الصفحات، وإنما تأتي المعالجة الجيدة، وبسط الحلول العملية في المرتبة الأولى عند الحكم على التقرير... «إن الاتجاه المباشر نحو النقاط الأساسية في الدراسة هو القاعدة الأولى في الكتابة.. دون مقدمات وحواش، وتعليقات بعيدة عن صلب الموضوع.. ومن المفروغ منه أن الباحث الذي انتهى من دراسته الدقيقة الناجحة يعرف عن موضوعه ومشكلة بحثه كل شيء تقريبا.. فعقله مليء بالمعلومات. لقد وضع الفرض، ووجد الدليل الذي يؤيده.. فهو يعرف بالضبط لماذا يؤمن بأن هذا الفرض صحيح؟... أي أن الباحث يعرف ماذا فعل في مراحل بحثه ودراسته، وهو الدليل الذي يؤيد نتائجه. وبالتالي فينبغي أن يكون قادرا على كتابة وتدوين ما يعرفه في كلمات»[1] .

---

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه: د. أحمد بدر، الكويت وكالة المطبوعات ١٩٧٧م، ص ٣٢٠، ص ٣٢١.

(٥) وضع الاطار أو الخطة التى تسهم فى تحديد النقاط المهمة فى تقرير، وتنظيم المعلومات المتصلة بالموضوع، وترتيب الحيثيات التى تعد ضرورية ومهمة فى اتخاذ القرارات وبسط النتائج، ويجب أن يدرك الكاتب أن الخطة التى سبق وضعها قابلة للتغير فى ضوء الدراسات التى قام بها، والنتائج الأولية التى توصل إليها.

إطـــار التقريـــر:

يشبه التقرير المقال من نواح متعددة، ومن هذه النواحى بناء كل منهما على ثلاثة أجزاء، ولهذا ينقسم إطار التقرير إلى مقدمة، وصلب التقرير، وخاتمة، ويختلف الإطارعن هذه الصورة أحيانا كأن يسبق ببعض المواد التمهيدية مثل قوائم المحتويات والجداول والأشكال والخرائط وغيرها، وإن كانت هذه الأمور ليست داخلة فى صلب التقرير أو لا يتعدى دورها حدود التمهيد الذى يسبق كل بحث أو دراسة.

أ – المقدمـــة:

تأتى المقدمة أحيانا مسبوقة بالجزء التمهيدى الذى تتضح من خلاله المشكلة التى يراد بحثها، مع بيان كيفية مواجهتها، والنتائج السابقة التى تم التوصل إليها، وربما رأى الكاتب أن يعرض لهذه الأموروماعلى شاكلتها فى المقدمة، مثل بيان الغرض من الدراسة، وبيان المصطلحات التى سيتم عرضها أثناء بحث الموضوع أو المشكلة، ويحسن أن يكون الأسلوب فى هذا الجزء دقيقا واضحا محددا، ويأخذ الكاتب من المقدمة مجالا للتعريف بالموضوع وبيان الهدف منه، وشرح جوانب المشكلة أو القضية التى يطرحها للبحث، وإيضاح

المنهج الذى اتبعه، أو الذى سوف يتبعه أثناء الكتابة، على أن المقدمة – إذ سبقت بتمهيد – يمكن توجهها إلى التعريف بالمشكلة المنوطة بالتقرير، وتكون آنذاك متصلة بصلب التقرير، علما بأن اختيار الخطة يرجع أولا إلى الكاتب نفسه حيث يسلك المنهج المتوافق مع ميوله ورغباته.

وتشمل مقدمة التقرير المعد حول البحوث الجامعية[١] على الأقسام الآتية: «خلفية الدراسة، مشكلة البحث، التعريفات والافتراضات، والفروض»[٢].

وقد وضح لنا أن المقدمة ذات أهمية فى التقرير مهما اختلفت أنواعه؛ إذ ينهض الكاتب بإعطاء فكرة عن المشكلة وبيان المعلومات المبحوث عنها، وذكر الدراسات السابقة – إذا وجدت – وربط الدراسة الحاضرة بتلك الدراسات السابقة. «ويجب أن يصف الباحث مشكلته موضوع الدراسة فى وضوح واكتمال، حتى لا يكون هناك أى لبس فيما يتعلق بالموضوع المحدد للدراسة.. وفيما يتعلق بالسؤال الذى تحاول الدراسة الإجابة عنه»[٣].

ب – صلب التقرير:

يعد صلب التقرير القسم الأكثر أهمية، «إذ أنه يتضمن كل المعلومات المطلوبة والمتعلقة بموضوع التقرير.... إن هذا القسم من التقرير هو بمثابة شهادة يدلى بها الكاتب إجابة عن الأسئلة المطروحة يتطلب ما تتطلبه الشهادة من نزاهة وموضوعية»[٤].

---

(١) مثل رسائل الماجستير والدكتوراه.
(٢) المنهج وكتابة تقرير البحث: د. عبد الله محمود سليمان، الأنجلو المصرية، عام ١٩٧٣م.
(٣) أصـول البحـث العلمـى ومناهجـه: د. أحمد بدر، مكتبـة غريـب بالقـاهرة، ط٣ عام ١٩٧٣، ص ٣٢٤.
(٤) التحرير العربى: ص ٢٠٢.

وهذا القسم هو الأساس الرئيسي في التقرير، ومن الأفضل تقسيمه إلى عدة عناصر أو أجزاء يتم من خلالها بحث الحيثيات والمناقشات المختلفة، وتقديم كل حيثية مشفوعة بعنوان جانبي خاصة في التقارير التي تكثر عدد صفحاتها عن الحد المألوف.

ويقسم بعض العلماء هذا الجزء إلى عدة أقسام وهي:

«المقدمة، وطريقة المعالجة، وعرض الأدلة، وتحليلها، والخلاصة، والنتائج»[١] ونعتقد أن ما يتوافق مع صلب التقرير من هذه الأجزاء التي ذكرت هو طريقة المعالجة وعرض الأدلة وتحليلها؛ لأن هذين الجزءين يتوافقان تماما مع صلب التقرير – أما المقدمة فقد سبق الكلام عنها، وسيأتي الحديث عن الخلاصة والنتائج من خلال الخاتمة.

إن طريقة المعالجة كجزء من صلب التقرير تتوقف على طبيعة الدراسة وعلى حجم المعلومات التي تم الحصول عليها، وتنحصر نتائجها على الكاتب نفسه من حيث ثقافته وخبرته في كتابة الأبحاث والتقارير ومدى قناعته بالمشكلة التي يعرض لها.

ويعتبر عرض الأدلة وتحليلها جزءا من المعالجة على ألا يهمل بيانا أو دليلا مما بين يديه، استجابة لتفسيراته الأولية، بصرف النظر عن اتفاق هذه الأدلة مع الدراسات السابقة أو اختلافها معها.

(١) مناهج البحث في التربية وعلم النفس: ديو بولد فان دالين، ترجمة د. محمد نبيل نوفل وآخرين.

فالتسرع في الاستنتاجات، والقفز إلى النتائج بدون بسط للأدلة خطأ كبير، حتى لو كانت النتائج صحيحة.

جـ - الخاتمـــــة:

ينهض كاتب التقرير بتلخيص النتائج التي توصل إليها في الخاتمة، وهي الجزء الأخير من التقرير الذي يشكل أهمية كبيرة لكثير من القراء؛ «لأنه يتضمن المعلومات المتقدمة في الفصول (أو الأجزاء) السابقة في صورة مختصرة ويمد القارىء بأهم تفاصيل الدراسة وإنجازاتها. لذلك يلجأ معظم القراء إلى القراءة السريعة لخلاصة التقرير أولاً؛ لكي يحصلوا على نظرة إجمالية للمشكلة، ويحددوا فائدتها بالنسبة لهم، فإذا ناسبت الدراسة هدفهم، انتقلوا إلى فحص بقية الفصول قبل قبول نتائج البحث»[1].

ومن المعروف لدى المشتغلين بكتابة الأبحاث والتقارير أن الخاتمة لا تشتمل على معلومات جديدة، ولا تعرض للتفصيلات المتصلة بالموضوع؛ ولذا كان من الأفضل ألا تتجاوزالخاتمة حدود الملخص الموجز للدراسة المقدّمة.

ومن الجائز أن يُدخل الكاتب النتيجة في صلب التقرير وعند ذلك يقتصر دور الخاتمة على تلخيص ما جاء في التقرير، ابتداء من طرح المشكلة وانتهاء بتقديم الحلول العلمية السليمة، على أن مسألة تنظيم التقرير وتقسيمه إلى أجزاء تختلف من باحث إلى آخر، ولكن المعول عليه هو النتائج التي أمكن الوصول إليها بعد عرض المشكلة عرضا سليما واضحا.

---

(١) السابق، ص ٥٨٣.

المبادىء العامة فى كتابة التقرير:

(١) الحرص على استخدام الأسلوب السهل الواضح مع الالتزام بالدقة الكاملة فى عرض البيانات، ولذا يحسن ترك التفاصيل غير اللازمة والاكتفاء بإيضاح النتائج.

(٢) إعداد التقرير فى مسوّدة أولية؛ حتى يأخذ قدرا من التنقيح وما يتبعه من إضافة أو حذف.

(٣) العناية بجمع كل ما يتصل بالموضوع من بيانات، مع التنويه بالجهود السابقة، وبيان مدى اسهاماتها فى المشكلة المطروحة للبحث.

(٤) العناية بالهوامش والمصادر والمراجع والدوريات وغيرها.

(٥) من الأفضل أن يقدم كاتب التقرير مسودة التقرير إلى من يعيد قراءتها؛ لكشف ما في التقرير من فجوات أو ثغرات، أو نقاط ضعف، أو أفكار غير واضحة؛ حتى يمكن تلافيها قبل الكتابة النهائية.

الأخطاء فى كتابة التقرير:

(١) عدم اتباع الخطوات المقررة فى الكتابة بصرف النظر عن الأسباب، ولذلك تأتى النتائج غير صحيحة.

(٢) التسرع فى الاستنتاجات دون تقديم البيانات والمعلومات الكافية.

(٣) إغفال الدراسات السابقة.

(٤) تقديم الأدلة والقرائن بدون تحليل ومعالجة.

(٥) كثرة التعليقات الشخصية، التى تعبر عن وجهة نظر الكتاب أثناء عرضهم للمعلومات: س،مما يجعل القارىء مضطربا فى التمييز بين المعلومة

والرأي الشخصي..»[١] على أنه من الممكن إرجاء الآراء الشخصية إلى الخاتمة، حيث يتحتم على الكاتب أن يكشف عن رؤيته الشخصية شريطة أن تكون هذه الرؤية مقرونة بالأدلة والبراهين.

التقارير المختصرة:

تأخذ بعض التقارير صورة مختصرة خاصة إذا كان التقرير موجها إلى موظف أو عامل، إذ يقدم التقرير إلى الموظف في صورة نموذج سبق إعداده من الجهة التي ينتسب إليها، وليس عليه إلا أن يملأ هذه النموذج بالإجابة على الأسئلة والاختيارات الموجودة في التقرير – وهذه صورة من تقرير كفاية موظف[٢] :

(١) التحرير العربي: ص ٢٠٢.

(٢) نقلا عن كتاب التحرير العربي.

تقرير كفاية موظف أو عامل

اسم الموظف: قسم:

الوظيفة: المرتبة الحالية:

تاريخ آخر ترقية:

عدد مرات الغياب بعذر: بدون عذر: مرات التأخير:

قدرته على الإنتاج	أكثر مما هو متوقع	ماهو متوقع	الحد الأدنى	لا ينتج الحد الأدنى
نوعية انتاجه	ممتاز	جيـــد	متوسط	أقل من المتوسط
إلمامه بالعمل	تـــام	جـــيد	متوسط	أقل من المتوسط
إقباله على العمل	متحمس	يميل إلى عمله	سلبى	ينقصه الاهتمام
القدرة على الإبداع	معين لا ينفذ	أحيانا كثيرة	يحاول أحيانا	قليل جدا
الاعتماد على النفس	ممتاز	جيد	متوسط	قليل
الشخصية القيادية	يثير الثقة	واثق من نفسه	ليس على درجة كبيرة	تنقصه الثقة بالنفس
السلوك الشخصى	فوق المؤاخذة	يؤخذ أحيانا	يؤاخذ كثيرا	يؤاخذ دائما

- هل هو سعيد بعمله؟ إذا لم يكن، فلماذا؟
- هل يرغب في النقل؟ إذا كان يرغب، فإلى أي قسم؟
- هل هو مؤهل لوظيفة أعلى؟ أيـــــن؟
- هل تنصح بنقله؟ هل تنصح بفصله؟
- هل تقترح له علاوة؟

ملوحظـــات:

اسم مقدم التقرير توقيعه التاريـخ

إن هذا التقرير ليس إلا صورة واحدة يمكن القياس عليها بالعديد من النماذج والأشكال، استجابة لرؤية الجهة التى تطلب التقرير وتعبيرا عن رغبتها تجاه الموظفين والعاملين بها.

ونؤكد أن النماذج المختلفة للتقارير يمكن أن تختلف فى السنوات القادمة عن الصورة التى هى عليه الآن، حيث يشهد العالم ثورة علمية رهيبة وبخاصة فى مجال الحاسب الآلى (الكمبيوتر) وإذا ما دخل هذا الجهاز فى الدوائر الحكومية، وانتشر استخدامه فى المجالات المختلفة، فلا نستبعد عند ذلك أن يأخذ التقرير صورة مصغرة عما هو عليه الآن إذ يمكن لمديرإحدى المدارس أو إحدى المستشفيات من الضغط على طرف بسيط فى الجهاز لتخرج النتيجة الفعلية لكفاءة الموظف من واقع ملف خدمته فى الجهة التى يعمل بها، أو يسخر لأغراض أخرى فى الجهات التى تطلب كتابة التقارير.

* * *

الفصل الخامس

تحقيق المخطوطات العربية وطبعها

شهدت بدايات العصر العباسي الأول نهضة أدبية وعلمية فريدة غير مسبوقة، كان مرجعها إلى عدة أمور واضحة ومعروفة، لعل من أهم أسبابها رغبة الخلفاء في الحفاظ على التراث العربي، وإحياء الثقافة الإسلامية، وتمثل ذلك في القيام بجهود جبارة؛ لتدوين هذا التراث، والانتقال به من عصر الرواية إلى مرحلة جديدة زاد فيها الحرص على التسجيل والحفظ، وكتابة كل ما ينقله الرواة عن سابقيهم.

ولقد أسهم في نجاحات هذا الأمر ظهور مجموعة من الرواة الحفظة الثقات، مثل أبي عمرو بن العلاء، والمفضل الضبي، وحماد الراوية، والأصمعي وغيرهم، وجعل الحكام والعلماء جزءا من رسالتهم نحو دينهم ودنياهم العمل على نقل حضارات الأمم الأخرى، فنهضت حركة الترجمة من الفارسية والهندية واليونانية الرومانية إلى العربية ،وبذلك صار لدى العرب والمسلمين آنذاك تراث ضخم من المرويات والمترجمات، والذي بدأ في النمو والازدهار بجهود أخرى في التأليف والإبداع.

ولم يعد كل هذا التراث – على اختلاف علومه وآدابه – قاصرا على موطنه القديم في الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، وإنما امتد خارج هذه الدائرة إلى أراض جديدة في جنوب آسيا ووسطها وشمالها، وإلى الشمال والغرب الأفريقي والأندلس وإلى أصقاع جديدة لم تخطر على قلب بشر.

واستمر هذا النشاط في التكاثر والازدياد؛ لحرص العلماء على نشر المؤلفات وجمعها واقتنائها في المكتبات الخاصة والعامة، وظهرت طوائف عديدة من أصحاب الخطوط الذين يستأجرون للكتابة بالأجرة، وانتشرت الوراقة، وهي نسخ الكتب والتجارة فيها، وبقي الرواة الثقات على إخلاصهم للعلم ورغبتهم في الحفاظ عليه، فكانوا يستقبلون الراغبين فيه الذين يأخذون عنهم، ويستفيدون بهم، وكان هؤلاء الطلاب يجمعون في تحصيلهم بين الصحائف والأوراق والسماع عن الشيوخ الذين يرحلون إليهم، وانتشرت معاهد العلم في أماكن كثيرة خاصة في المدينة ومصروالمغرب.

ولعل القارىء في رغبة لطرح سؤال عن مصير كل هذه المخطوطات التي يشهد بها القرن الرابع الهجري وما تلاه..

والإجابة فيها شيء من المرارة والأسى؛ لأن معظم البلدان العربية والإسلامية قد وقعت أسيرة لخصومها وأعدائها، ودخلت في حروب طويلة مع الأسبان والرومان ثم مع الصليبيين والتتار في مرحلة تالية، ومن بدء الصراع الذي امتد قرونا تمّ الإستيلاء على قدر كبير من التراث العربي بخاصة، وأودع معظمه في مكتبات أوربية عديدة وغير أوربية كذلك. وضاع قدر آخر لا يستهان به ما بين حرق وإبادة واتلاف، ولنرجع بالذاكرة إلى ما حدث أثناء حروب التتار وكيف كانت مكتبة بغداد إحدى الضحايا لهمجية هؤلاء المغيرين الذين ألقوا – بلا رحمة – بالتراث العربي ونتاج الفكر الإنساني في نهر دجلة؛ ليبقى الحدث عارا على من أغاروا وعلى الذين تقهقروا أمامهم في ذلة وانكسار.

أما ما تبقى من كل ما سبق، وما أضيف إليه من مستحدثات، فقد بقى محفوظا فى مكتبات عديدة عامة وخاصة ببلدان العالم الإسلامى.

وتقتضى الأمانة العلمية القول بأن الأوربيين - فيمابعد - كانوا الأسبق والأكثر وعيا بقيمة هذا التراث الغالى، فحرصوا على جمعه وتخزينه، وأنشأوا أقساما للدراسات الشرقية فى عدد من الجامعات الأوربية، أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على هذه المخطوطات، وفهرستها وإلقاء الأضواء عليها، وأسندت تلك التبعة إلى جماعات من المستشرين الذين جعلوا تحقيق التراث العربى ونشره جزءا من رسالتهم، وقاموا بجهود رائعة فى هذا المجال، وقد قلت ذلك منذ سنوات فى أكثر من لقاء، وكتبته ونشرته فى مجلات وصحف عربية*.

وكان البعض يتعجب من هذا الكلام قائلا: كيف تشهد بالفضل للمستشرقين، وهم الذين أسهموا فى تفريغ الحضارة العربية والإسلامية من بعض مكوناتها؟.. كيف تقول ذلك، ولا تدين الغزو الثقافى؟، وقلت لهم ولغيرهم إن المستشرقين ليسواسواء، وقرأت لهم يومها جزءا مما كتبه الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كتابه (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع

---

* فى مجلة الطائف جزء من دراسة لى عن الاستشراق العدد (٤٨) شعبان ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م.

كما نشرت لى دراسة عن الموضوع نفسه بمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد السابع عشر ١٤١٧هـ ١٩٩٧م. كماحاضرت عن الموضوع نفسه فى كلية إعداد المعلمين بالطائف وكلية اللغة العربية بالزقازيق، وتحدثت عنه فى بعض البرامج الإذاعية. وفى هذا الكتاب فصل خاص بهذا الموضوع.

الحضارى) ولا أود – هنا – أن أدمى القلوب، وأبكى العيون على هذه المأساة التى لازالت حية متجسدة فى ذاكرة الكثيرين.

قال الدكتور محمود زقزوق: «اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان فى بلاد الشرق الإسلامى، وكان هذا العمل مبنيا على وعى تام بقيمة هذه المخطوطات التى تحمل تراثا غنيا فى شتى مجالات العلوم. وكان بعض الحكام فى أوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات. وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية فى أوربا وتنشيطها. ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوربا فى الشرق، وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات»[1].

إذن فقد كان المستشرقون الأسبق إلى حفظ المخطوطات وصنع الفهارس لها، مما سهل من المرحلة التالية وهى التحقيق والنشر.

تحقيق المخطوطات ونشرها:

ابتدأ المستشرقون هذا الاتجاه فى ظل ظهور الطباعة وتطور آلاتها، وكانت مصر – بخاصة – من أوائل دول الشرق التى انتقلت إليها آلات الطباعة، فظهرت فيها الصحف، ثم شرعت مع غيرها من الدول الإسلامية فى طبع الكتب بوسائل تقل عما كان لدى الغرب من مطابع وآلات، وتلك خدمة جليلة أخرى نقرها لطائفة من المستشرين الحريصين على العلم، الأمناء على

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، د. محمود حمدى زقزوق ص ٦١.

الكلمة الذين يخلعون عباءات التعصب، ويجردون أنفسهم للمعانى الإنسانية السامية النبيلة، ومما كتبه الدكتور زقزوق عن ذلك أيضا قوله: «ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر. فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة؛ ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها فى أواخر الكتب التى نشروها، وقاموا فى بعض الأحيان بشرح الكتب شرحا مفيدا.

وهكذا استطاعوا أن ينشروا عددا كبيرا جدا من المؤلفات العربية، كانت عونا كبيرا للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق»[1] .

ومن أشهر الكتب التى سبقوا إلى تحقيقها ونشرها: الشعر والشعراء، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والفهرست لابن النديم، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، والمقتضب لابن جنى، ومعجم الأدباء، ومعجم البلدان لياقوت الحموى، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والوافى بالوفيات للصفدى.

كما أسهموا بخدمات أخرى فى التأليف والترجمة، وذلك باللغات الأوربية الحية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية والإيطالية والهولندية، وترجمت معظم هذه الأعمال إلى اللغة العربية فى مرحلة تالية، واتصل بعض العرب والمسلمين بهؤلاء المستشرقين فأخذوا عنهم، وتتلمذوا على أيديهم، وكشف بعض أهل الشرق كثيرا من إساءات نفر من

---

(١) السابق: ص ٦٣.

المستشرقين للدين الإسلامي. مما يؤكد أهمية أن تؤخذ كتابات الكثيرين منهم في الدين الإسلامي - خاصة - بشيء من الحذر.

وقد قام الباحث التركي المعاصر فؤاد سيزكين - والذين كان تلميذا للمستشرق الألماني (هيلموت ريتر) بإكمال كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ذلك الكتاب الذي اعتنى برصد المصنفات العربية المخطوط منها والمطبوع إذ كان بروكلمان يضيف - دوما - إلى كتابه كل ما يكتشف من مخطوطات، فنهض فؤاد سيزكين بتأليف كتاب (تاريخ التراث العربي) بالألمانية، وترجم بعضه إلى العربية، وظفر عنه بجائزة الملك فيصل العالمية.

وأعود فأقول إن الاهتمام بتحقيق التراث ونشره قد انتقل إلى الساحة العربية والإسلامية، وتقدم تقدما ملحوظا بفضل المرعيات التي سار عليها المستشرقون، وبفضل وسائل الرصد والتسجيل والطبع من خلال مجموعة أتقنت هذا الفن، وأخلصت له، وكرّست لنفسها مناهج صارت قواعد ودعائم في تحقيق التراث، ونذكر منهم بكل إعزاز وتقدير الأساتذة أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر والسيد صقر وعبد السلام هارون وعلي محمد البجاوي ومحمد أبا الفضل إبراهيم وأحمد أمين.. ومحمد كرد علي (من الشام) وحمد الجاسر (من السعودية)... وكان الأستاذ عبد السلام محمد هارون أسبق الذين جمعوا في تحقيق التراث بين النظرية والتطبيق إذ كان كل من ينهض بتحقيق كتاب يبدؤه بمقدمة يشرح فيها خطته ومنهجه في التحقيق، وكان الأستاذ عبد السلام يسلك الشيء نفسه في مستهل مقدماته للنص المحقق، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى جمع كل خبرته وتجربته في تحقيق التراث، ثم طرحها في كتاب بعنوان «تحقيق

النصوص ونشرها، وأعقب العنوان بقوله: «أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته»، وسوف اعتمد عليه كثيرا في صفحات تالية... أما هنا فأحب أن أشير إلى جهود أخرى ليست على مستوى الأفراد، وإنما يجرى العمل فيها من خلال المؤسسات، وأقصد بذلك معهد المخطوطات العربية الذى تجرى نشاطاته ضمن أعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، وقد تابعت إصداراته من يوم أن كانت القاهرة مقرا له، وخلال رحلته إلى تونس ومنها إلى الكويت، وبعد عودته إلى القاهرة، ذلك المعهد الذى لم تقتصر أعماله على المخطوطات الأدبية واللغوية والدينية، بل امتدت لتشمل العديد من الجوانب الأخرى مثل التراث العلمي، وكانت آخر الجوائز التى قدمها عن تحقيق كتاب «مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء» لمحمد بن أحمد التميمي المقدسي، وهو من رجال القرن الرابع الهجرى» وقام بتحقيقه المحقق التراثي «يحيى شعار» وهو مهندس مدني سورى، وكان المعهد قد نشر تحقيقا للمخطوطات في الرياضيات والجيولوجيا والبيئة؛ للتأكيد على أن التراث العربي لا يقتصر على الأدب واللغة والدين والفلسفة، بل يشمل كل ما تركه الأوائل من علوم وطب وهندسة وفلك وكيمياء وجبر، وفي فعاليات الندوة[١] التى عقدها المعهد أخيرا، ذكر أن نسبة التراث العلمي تتراوح ما بين ستمائة ألف إلى مليون مخطوطة علمية، ويتميز هذا التراث بأنه موسوعي، فتختلط فيه العلوم بالمعارف، ففي كتب الأدب نجد الطب، وفي كتب العلوم نجد الشعر، وهكذا.

---

(١) وردت كلمة عنها في حركة الأدب بجريدة الأهرام يوم الجمعة ٢١/٦/٢٠٠٠م.

وقد كانت مكتبة العزيز بالله الفاطمي بها ستة آلاف وخمسمائة كتاب في النجوم والهندسة والفلسفة، وليرجع من شاء إلى كتاب «دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية» لابن سينا وكتاب القولنج للرازي[٢] ، وكتاب الموجز في الطب لابن النفيس[٢].

إذن فلابد من العناية الفائقة بالتراث، وذلك بنشر أخباره، والإحاطة الكاملة بأماكن وجوده، وعمل الفهارس الكاملة له وتصويره على (ديسكات كمبيوتر) وعلى شرائط (ميكروفيلم) ونشره على شبكات الأنترنيت كإجراء (وقائي) ونشره مطبوعا محققا.

ولابد من التنسيق الكامل بين الأجهزة المختلفة في سائر الدول التي تتواجد بها المخطوطات العربية.

وقد عجبت ذات يوم عند لقائي بباحثة عربية مغتربة في سويسرا عاشت جزءا من حياتها بألمانيا، وكانت بيدها نسخة مخطوطة ترغب في تقديم أطروحة جامعية عنها بالجامعة السويسرية في (برن) قسم الدراسات الشرقية على ما اعتقد، والمخطوطة ليست قديمة جدا وهي عن قصة سيدنا يوسف أضيفت إليها بعض المقاطع الشعبية لزوم الحبكة القصصية التي تمت صياغتها باللغة العربية التي اختلطت بها بقايا لهجة شعبية ترجع إلى بعض ما يتحدث به

---

(١) طبعا بمعهد المخطوطات العربية.

(٢) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م). والطبعة الثانية بالمجلس أيضا عام ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).

قومنا فى صعيد مصر – قلت: من الذى ذهب إلى سويسرا بهذه المخطوطة بلغتها العربية ولهجتها الصعيدية وموضوعها الدينى المغموس فى الوجدان الشعبى؟

لكن التعجب بلغ مداه – وأنا أتلقى بعض مطبوعات معهد المخطوطات، والتى قام بإعدادها باحثون يعملون فيه، سافروا إلى أماكن متعددة، وهذه بعض قوائم المخطوطات:

* فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة ستراسبورج الوطنية والجامعية بباريس – إعداد الدكتور نزيه كسيبى.
* فهــرس مكتبــة الســيد محمــد باقر الطبطبائى بكربلاء – إعداد سليمان هادى الطعمة.
* مجموعات مخطوطة فى مكتبة استانبول – إعداد الدكتور/ طه محسن.
* فهرس الخزانة الصبيحية بسلا فى المغرب – إعداد الدكتور/ محمد حجى.

وتحت يدى قوائم ببعض المخطوطات المطبوعة بالمعهد أيضا والتى ترصد تراثنا العربى منها:

- المخطوطات العربية فى يوغسلافيا. (تقرير عن المخطوطات العربية فى مدينة سراييفو خاصة، وضعه عصام محمد الشنطى.
- المخطوطات العربية فى نيجيريا الاتحادية : تقرير أعده الطيب عبد الرحيم محمد، راجعه واختصره د. خالد عبد الكريم جمعة
- المخطوطات العربية فى الهند. تقرير عن المخطوطات العربية فى خمس مدن هندية. وضعه / عصام محمد الشنطى.

كل هذا التراث وغيره الذى شهده الكثيرون – وأنا منهم – فى حاجة إلى توحيد الجهود، واستحداث الوسائل، وتوجيه الدارسين إليه أينما وجد، لكن تلك العناية ينبغى أن تكون رشيدة فاحصة، بحيث لا تنتقل المخطوطة إلى التحقيق والطبع إلا إذا كانت جديرة بما ينفق عليها من جهد ومال.

ونعود إلى كتاب الأستاذ عبد السلام هارون السابق ذكره؛ لتفرده فى بابه، حيث طرح العديد من القضايا المتصلة بالتراث العربى، والتى كانت ثماراً نافعة قطف منها كل محب عاشق لهذا الميراث الضخم، ومن بعده قدم معهد المخطوطات العربية كتيبا بعنوان (أسس تحقيق التراث العربى ومناهجه)، وأسهم الكثيرون فى تأصيل القواعد لهذا الفن الذى يجب بقاؤه وتطوره باستخدام الوسائل الحديثة فى الجمع والحفظ والفهرسة.

خطوات التحقيق

أولاً: اختيار المخطوطة:

يكون التحقيق – غالبا – لمخطوطة مكتوبة باليد، أو سبق تحقيقها واحتاجت إلى من يعيد تحقيقها، وقد تطورت عملية نسخ المخطوطات والأدوات المستعملة فيها من أقلام وأحبار وأوراق، إلى أن غدت على الصورة المشاهدة والمحفوظة فى المكتبات، كما تنوعت الخطوط فمنها الكوفى والأفريقى والأندلسى والمغربى والمصرى، واختلف ترتيب الحروف بين المشرق والمغرب.

وينبغى أن يكون اختيار المخطوطة خاضعاً لتقديم الأهم على المهم، والأصول على الفروع والمختصرات، وتقديم مالم ينشر على ما سبق نشره،

وتؤخذ فى الاعتبار المطبوعات التى لم يراع فى تحقيقها الأصول العلمية[١] .

ويقدم عند الاختيار أصول النصوص، أو أعلاها، وهى كما قال الأستاذ عبد السلام هارون:

«أعلى النصوص هى تلك المخطوطات التى وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها؛ ويكون فى النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو اقراره لها»[٢] .

وتسمى أمثال هذه النسخ بالنسخة الأم، وهى التى تُحدَّد بالمرجعيات السابقة إلى جانب المعرفة الكاملة بأنواع الخطوط والأوراق والتواريخ تجنبا للخلط فى فهم عبارة (كتبه فلان) فقد تكون للمؤلف، أو للناسخ، وكلما زادت أعداد النسخ للمخطوطة كلما كان ذلك أفضل، ويلزم لذلك الاعتماد على قدم التاريخ فى النسخ المعدة للتحقيق.

وفيما يتصل بمنازل النسخ أوضح الأستاذ عبد السلام هارون أن ترتيب أصول المحققات يجعل نسخة المؤلف هى الأولى، وتأتى بعدها المنقولة عنها، وتصير هى الأولى، إذا ضاعت تلك.

ويخضع كل ذلك إلى حذق المحقق خاصة إذا اجتمع لديه عدة نسخ مجهولة النسب، فالأصل أن تقدم النسخة ذات التاريخ الأقدم ثم التى عليها

(١) راجع أسس تحقيق التراث العربى ومناهجه ص١٥ .

(٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٢٧ .

خطوط العلماء،[١] إلا إذا كان الناسخ للأسبق أقل كفاءة، فلا يكون التاريخ فيصلا عند الاختيار والتقديم، ثم إن تجميع الأصول عملية شاقة فقد يفاجيء المحقق بعد الانتهاء من عمله، وطبع الكتاب بوجود نسخة يمكن أن تغير فى النسخة التى اعتمدها تغيرا ملموسا، ووقع هذا فعلا فى أحوال كثيرة منها ما حدث مع عالم كبير هو الأستاذ محمود شاكر فى تحقيقه لكتاب طبقات فحول الشعراء، فإن العنوان المذكور لم يكن بهذه الصورة عند طبع تحقيقه للكتاب فى أول مرة، وليس على الباحث إلا أن يجتهد قدر طاقته بحيث يغلب على ظنه أنه قد وصل إلى الغاية.

وتعود مرجعية فحص النسخ إلى أمور كثيرة، منها معرفة اسم المؤلف، وهذه نقطة مهمة، فبعض المخطوطات لا تحمل أسماء مؤلفيها مثل رسائل إخوان الصفاء وألف ليلة وليلة، فقد طبعت دون تحديد لاسم مؤلفيها، كما أن بعض المخطوطات حمل اسما ليس لمؤلفه، مثل كتاب (نقد النثر) المنسوب إلى قدامة ابن جعفر، و(التاج) المنسوب للجاحظ، و(الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة[٢] .

وطبع فى مصر كتاب بعنوان «أخبار النساء» منسوبا لابن قيم الجوزية، ثم تبين أن مؤلفه الحقيقى هو ابن الجوزى البغدادى[٣] .

(١) راجع ص ٣٥ من الكتاب السابق.
(٢) راجع تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة د. على الخطيب ص ٣٨، هدية مجلة الأزهر (المحرم ١٤٠٤هـ).
(٣) انظر مقدمة صيد الخاطر لابن الجوزى والتى أعدها الأستاذ على الطنطاوى، والكتاب من مطبوعات دار الفكر بدمشق.

فقد يكون الاسم سقط سهوا أو عمدا؛ أو زالت الكتابة مع طول الزمن، أو تلفت الورقة الأولى أو فقدت، ولكن الحقيقة مهما خفيت على الناس سوف تظهر في يوم من الأيام، وهذ قضية شائكة، خاصة إذا كان موضوع الكتاب أو عنوانه مشتركا بين أكثر من شخص. فمعرفة اسم المؤلف مسألة مهمة، حيث يمكن الاهتداء من خلاله للكثير من الحقائق عن العصر والبيئة، والمصادر التي نقل منها واعتمد عليها، وكذلك الكتب التي أخذت عنه إملاء أو سماعا، فالتعامل مع المخطوطة عملية عسيرة، وليست سبيلا معبدة لكل شخص، وإنما تحتاج إلى عنت ومشقة وجهد كبير، يستلزم المعرفة الشاملة لتاريخ الأوراق وخطوط النساخ، وأماناتهم في النقل، وعنوان الكتاب، وأبوابه وفصوله، وسائر المسائل المتصلة بالتحقيق الذي عرّفه شيخنا عبد السلام هارون رحمه الله فقال:

«يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات؛ حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة.

فالكتاب المحقق هو الذي صحّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[١]. فأول ما ينبغي أن يوجه إلى المخطوط عند تحقيقه هو التأكد من صحة العنوان، ومن نسبة الكتاب إلى صاحبه، وتحديد المخطوطة الأم، ومقابلتها بالنسخ الأخرى، وحصر الصفحات، والتعرف على منهج المؤلف؛ خوفا من أن يكون قد دخل في الأوراق ما ليس منها، أو اقتطع بعضها، وكل ذلك؛ للتأكد على سلامة النص من الزيادة والنقصان، ويعد هذا مدخلا أو دراسة للتضاريس المحيطة بتخوم النص.

---

(١) تحقيق النصوص ص ٣٩.

ثانياً: تحقيق النص:

إن تحقيق النص والوصول به إلى المستوى الذى تركه عليه المؤلف أى إلى نسخته يحتاج إلى كثير من الجهد فى عدد من المخطوطات.

ومعنى تحقيق متن الكتاب: «أن يؤدّى الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه كماً وكيفا بقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه، أو تُحلّ كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة، بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها، أو أجمل، أو أوفق، أو ينسب صاحب الكتاب نصا من النصوص إلى قائل وهو مخطئ فى هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب، أو أن يخطئ فى عبارة خطأ نحويا دقيقا فيصحح خطأه فى ذلك، أو أن يوجز عبارته إيجازا مخلا فيبسط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال»[1].

وعلى المحقق أن يتحلى بالأمانة والصبر، فإن النص حكم على المؤلف وعصره وبيئته، ولذا ينبغى احترامه وعدم الاعتداء عليه، أما التنبيه على الأخطاء فيكون فى الهوامش أو الحواشى أوفى آخر الكتاب، أو فى أوله، حرصا على الأمانة العلمية، مع ما يصحب ذلك من عنت ومشقة نفسية عند التفريق بين أخطاء المؤلف وأخطاء الناسخ، ثم بعد ذلك يبقى الأمر فى يد المحقق. ومن بعده الطابع، وتلك مشكلة أخرى.

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٤.

وينبغي أن تضبط الكلمات ضبطا دقيقا، وكان المؤلفون يجمعون في الضبط بين الحركات والحروف في الكلمات المتشابهة التي يقع اللبس فيها، وسار على ذلك سدنة التحقيق، لكن العزائم قد فترت - الآن - وانصرف الكثيرون عـــن هـــذه الرسالة، وقـــد كانت الهمـــة قويـــة يـــوم أن كـــان المؤلفـــون والمحققون من بعدهم يخشون وقوع الألفاظ في متابعة التحريف والتصحيف[1] .

ولابد أن تراعى الدقة الكاملة في ضبط الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار، والحكم والأمثال، والأعلام، والغريب من الألفاظ، وما بينهم من المصطلحات والتراكيب مع الاستعانة بالمصادر الموثوق فيها، والمراجع المتخصصة[2] .

وإذا كان احترام نص المؤلف (المتن) واجبا فإن اصطلاح التحريف القرآني في الآيات الموجودة في النص واجب ينبغي عدم السكوت عليه مهما كانت الأسباب وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون نماذج كثيرة عاينها بنفسه وهو بصدد تحقيق كتاب الحيوان للجاحظ، ولم يملك إلا ردها إلى الصواب

---

(١) في بيان المتداول من هذين الاصطلاحين كلام كثير أثبت الأستاذ عبد السلام هارون معظمه في كتابه السالف الذكر ص ٦٠ وما بعدها والأقرب إلى الأخذ هو أن التحريف تغير في معنى الكلمة ينشأ عن تغير في شكل رسم الحرف كرسم الراء دالا.
والتصحيف: تغير في الكلمة بسبب النقط مع بقاء صورة الحرف أي بسبب الالتباس في نقط الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء.

(٢) انظر (أسس تحقيق التراث) ص١٩.

وإصلاح ما وقع من أخطاء في النص القرآني الذي ورد بمتن الكتاب، وفعل ذلك أيضا في تحقيقه لمخطوطات أخرى انتهى بعدها إلى التنبيه على أمرين قال عنهما: «أما أحدهما فأنه يجب أن يستشعر المحقق الحذر الكامل في تحقيق الآيات القرآنية، وألا يركن إلى أمانة غيره في ذلك مهما بلغ قدره.

وأما الآخر فأن التزمت في إبقاء النص القرآني المحرف في الصلب كما هـو، فيـه مـزلة للأقدام، فإن خطر القرآن الكريم يجل عن أن نجامل فيه مخطئا، أو نحفظ فيه حق مؤلف لم يلتزم الدقة فيما يجب عليه فيه أن يلزم غاية الحذر»[١] . ولا يكتفى في تحقيق هذه المسألة بالمصحف المتداول، وإنما لابد من الرجوع إلى كتب التفسير والقراءات؛ لاحتمال أن يكون النص المذكور محمولا على رواية معينة، أو قراءة شاذة مثلا.

ولا يكون الأمر بهذا الحذر في الحديث؛ لتعدد رواياته، وإمكانية تخريجه على إحداها،وليحمل المؤلف أمانة روايته ونقله.

ولايتعارض مع هذه الأمانة تدخل المحقق لمعالجة خطأ بيّن في نسخة ثانوية، إذافقدت النسخة الأصلية، فإن ترك الخطأ في المتن دون التنبيه عليه سلبية بالغة واتكال أعوج، فالأمانة الحقيقية تكون بإصلاح الخطأ والتنبيه عليه في الهوامش، أما إذا كان الخطأ هينا فيمكن إبقاؤه على حاله، أو وضعه داخل أقواس، والإشارة إليه في الحواشي أيضا، وينبغي إغفال العبارات المقحمة التي تتضح زيادتها من السياق، خاصة عندما توجد في نسخة دون أخرى.

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص٤٦.

فنوع النسخة ومقدار الخطأ وشخص الناسخ، وبيان الزيادات بين نسخة وأخرى، أو بين رواية وأخرى كل ذلك جدير بأن يؤخذ في الاعتبار عند المحققين الثقات.

وقد شاهدت بنفسي كتبا محققة بها كثير من المواضع تركت فيها مسافات بيضاء فارغة، كان المحقق يعقب عليها في الحاشية قائلا: هذا ما وجدته في النسخة الأصلية، أو هكذا وُجدت في سائر النسخ.

فالأمانة في معالجة النصوص تقتضي من المحقق أن يشير في الهامش إلى المداخلات التي قام بها؛ للفصل فيها بين الخطأ والصواب.

ولربما جمع المحقق بين روايتين بالتلفيق بينهما، متى كانت كل واحدة منهما تحمل نصف الصواب ونصف الخطأ[١]، فله أن يثبت ما يراه مع الإشارة إلى الروايات كلها، وقد طالعت شيئا من ذلك في تحقيق أحمد محمد شاكر لكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة فوجدته قد جمع في الترجمة لامرىء القيس بين أكثر من رواية يبدو التعارض ظاهرا بينها، فبدت حنكته ورسوخ قدمه وعدم سطوته على مخطوطة ابن قتيبة التي ارتضاها.

وفي هذه القضية كلام كثير واجتهادات لا بأس بها تخضع لرؤية المحقق والمراجع التي اعتمد عليها، النصوص التي نقل المؤلف منها أو نقلت من كتابه، خاصـــة فيما يتصل بالأشعار التي يختل وزنها، ولا يستند الاضطراب فيها

(١) راجع تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٦٧.

على ضرورة شعرية أو أي مخرج عروضي من زحافات أو علل، أو أية أوزان شاذة أو نادرة.

ثالثاً: التعليق على النص:

من المؤكد أن التعليق على النص من ألزم المهام التي ينهض بها المحقق، شريطة أن يكون ذلك في الحدود التي يضيء بها المتن، متجنبا الإسراف في القول، ومتغلبا على الرغبة في حشد المعلومات والمعارف القريبة والبعيدة من موضوع المخطوط.

وتوجه العناية لاثبات الفوارق بين النسخ، والتعليل عند ترجيح واحدة على أخرى، والإشارة إلى الأدلة في كل قول.

ومن لوازم التعليق الربط بين أجزاء النص قال الأستاذ هارون: «ومما يقتضيه التعليق ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، فقد ترد إشارة لاحقة إلى لفظة سابقة في الكتاب، فمن المستحسن كذلك أن يشير المحقق إلى الصفحات الماضية، وهو إن استطاع التنبيه في الصفحات السابقة إلى ما سيأتي في اللاحقة، جلب بذلك إلى القارىء كثيرا من الفائدة، وأضاء الكتاب بعضه ببعض»[١] ..

وثمة نقطة ينبغي الحرص عليها وهي التعريف بالأعلام والبلدان الغامضة أو المتشابهة بدون استقصاء واستطراد، وتوضيح الإشارات التاريخية والأدبية والدينية وغيرها[٢] .

(١) السابق ص ٧٥، ص ٧٦.
(٢) انظر: السابق ص ٧٨.

ونأتى إلى قضية مهمة سبقت الإشارة إليها وهى تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار، فيذكر اسم السورة ورقم الآية، ويثبت مصادر الأحاديث ومرتبة الإسناد فيها، ويرد الشعر إلى مكانه من الديوان أو إلى المصادر التى أوردته مع الحرص على الربط بين النقول ومواضعها الأصلية، والإشارة إلى الزوائد والنواقص والاختلاف بين النسخ، واثبات الموارد مقرونة باسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة والطبعة إذا كان المصدر أو المورد مطبوعا.

رابعاً: تقديم المحقق للنص:

تأتى مقدمة المحقق فى الصحائف الأولى؛ لتكون مدخلا يلج القارىء منه؛ للوقوف على معظم ما يتصل بالكتاب، فهذه المقدمة مهمة جدا؛ لأن كثيرا من القراء يكتفون بها – ومعها مقدمة المؤلف أحيانا – إلى أن يسعفهم الوقت، وتقتضى الحاجة الرجوع إلى الكتاب أو بعض منه.

ويراعى المحقق فيها مجموعة من الأمور الضرورية التى لا غنى عنها مثل التعريف بالمؤلف تعريفا موجزا، وبيان عصره، ومصنفاته، وتدوين المصادر التى يمكن الرجوع إليها؛ للوقوف على تفاصيل هذا التعريف.

ويلى ذلك تقديم نبذة أو دراسة موجزة عن موضوع الكتاب، وعلاقته بغيره ومكانته بين الكتب المتشابهة، ومن صلب تقديم المحقق للنص الحديث عن النسخ المعتمدة للتحقيق، مقرونة بما يؤكد نسبة الكتاب إلى صاحبه وسلامة متنه، وتسلسل صفحاته، وبيان خطه وخطه وهكذا:

«وجدير بالمحقق أن يشرك القارىء معه بأن يصف له النسخ التى عوّل عليها، وصفا دقيقا يتناول خطها، وورقها، وحجمها، ومدادها، وتاريخها، وما

تحمله من إجازات وتمليكات، ويتناول كذلك كل ما يُلقي الضـوء علـى قيمها التاريخية، وهـو إن قـرن ذلك بتقديم بعض نماذج مصورة لها كان ذلك اجدر به وأولى.

وقد جرت العادة أن يصور في ذلك وجه الكتاب وبعض صفحاته، ولا سيما صفحته الأولى والأخيرة؛ لأنها أدق الصفحات في التعبير عن تقدير المخطوطات»[1].

إن من اليسير على القارىء معرفة كل ذلك بنفسه بعد مراجعته لعشرة كتب مثلا تمّ تحقيقها باشخاص مختلفين أسلوبا ومنهجا، وليسوا في زمن واحد؛ ليقف المتلقى على مراحل التطور بهذا المضمار الذى يرعاه معهد المخطوطاتالعربية بعناية خاصة، كما أن الكثيرين من أمثالى الذين عاشوا شطرا كبيرا من أعمارهم فى التعامل مع كتب التراث المحققة والمخطوطة يستطيع أن يضيف إلى هذا العلم بعض التجارب التي لمسها عند رواد التحقيق الذين كانوا يتمتعون بقدر عظيم من العلم والثقافة والأمانة والموهبة والتوفيق.

خامساً:عمل الفهارس:

إن الهدف الرئيسى من الفهارس هو مساعدة القارىء فى الانتفاع بالكتاب لاقصى حد ممكن، كما أن منهاج كل نص، وخصائص الكتابة فى موضوعه هى التي تفرض إضافة أنواع من الفهارس دون التقيد بالطرق العامة والمتمثلة فى فهرسة كل ما يمكن أن يفهرس كالآيات القرآنية والأحاديث

(١) السابق ص ٧٨.

الشريفة والأشعار والحكم والأمثال والاعلام المشهورة والخطب والرسائل والوصايا والقبائل والبلدان والأيام والمصنفات وألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية فضلا عن الفهارس الخاصة بالموضوعات المبثوثة فى ثنايا النص، ويمكن إضافة فهارس أخرى حسب الموضوعات، ففى كتاب «الحيوان» تمت إضافة فهرس لأنواع الحيوان وفى كتاب «البيان والتبيين» أضيف فهرس للبيان والبلاغة وهكذا.

أما ترتيب الفهارس فيكون على حسب ما جرى به العرف العلمى، فالبداية بالقرآن الكريم ثم بالحديث الشريف، ولا يتوافق محقق مع آخر فى منهاج الفهرسة إذ أنها تخضع – كما سبق القول – إلى رؤى المحققين وطبيعة الكتاب، فما يتبع فى فهرسة كتاب كالشعر والشعراء يختلف عما يتبع فى فهارس ديوان لأحد الشعراء وفى القضية كلام كثير ومناهج جديدة أضافها المستشرقون وأفادت البحث العلمى بدرجة كبيرة، ويستطيع القارىء أن يتعرف على سائر المناهج فى صناعة الفهارس من خلال مطالعته، وتعرفه بنفسه على التطبيق الحادث فى بعض المحققات.

سادساً: الاستدراك والتذييل:

تعبر هاتان الكلمتان عن قضية مهمة بحثها، ونبه إليها الأستاذ عبد السلام هارون الذى كان يحلو للبعض أن يطلق عليه (جواهرجى التراث) قال: «ففى باب الاستدراك والتذييل الذى يلحق غالبا بنهاية الكتاب، مجال واسع لتدارك ما فات محقق الكتاب أو شارحه، أو مازلّ فيه فكره أو قلمه، وبعض

الناشرين لا يُحل هذا الأمر محله من العناية؛ ليسدل ثوب الجلال على كتابه، فيزعم لنفسه بتركه هذا الاستدراك أن كتابه قد سلم من الخطأ فكان بذلك كالنعامة، إذ تخفي رأسها زاعمة أن أحدا لن يراها لأنها لا تراه!.

إن الخطأ في معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعا، لا إثم ولا حوب ولكن كتمان الخطأ فيه الإثم، والتقصير في أداء الأمانة. ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل!»[1] .

ولا يقتصر الاستدراك على الكتب المحققة، وإنما يشمل الدواوين الشعرية المجمعة والكتب المطبوعة بمعرفة أصحابها، فكثير من المؤلفات لا تنتهي صفحاتها ولا تطوى أغلفتها قبل أن تختتم بمجموعة من الاستدراكات التي لا تقلل من المحقق أو المؤلف، وإنما تؤكد مدى الحرص على الأمانة العلمية، فالكمال لله وحده، والنقص عن التمام من خصائص البشر.

سابعاً: الطباعـــة:

إن تحقيق المخطوط مقدمة ضرورية للانتقال به من هيئته التي كان عليها إلى حالة جديدة يتم فيها طبعه؛ ليسهل الانتفاع به، ويكثر تداوله، وتزداد الاستفادة منه، فالطباعة – إذن – ولادة جديدة للمخطوط خاصة إذا كان تحقيقه جيدا ومؤلفه رائدا، فمهمة المحقق في إعداد الكتاب للطبع تتمثل في النقاط التي سبق الحديث عنها.

---

(١) تحقيق النصوص ص ٩٣.

ولا يتوقف الأمر عند ذلك، وإنما لابد من العناية بعلامات الترقيم وتنظيم الفقرات والحواشي، وإثبات الفواصل بين المتن والهامش حسب منهج المحقق وموضوعات الكتاب، كما لابد من ترقيم الصفحات بالصورة الجديدة المصاحبة للطبع، والإشارة إلى أرقام الصفحات السابقة، وليراجع القارىء شيئاً من ذلك في كتاب الأغاني لأبي الفرج «طبعة دار الكتب» حيث أشارت إلى أرقام الصفحات في طبعة (بولاق)، وترقيم الأسطر بحيث تكون خماسية، فيضع المحقق أو الطابع الرقم (٥) مقابل السطر الخامس، ويضع الرقم (١٠) مقابل السطر العاشر، وهكذا، فإذا أراد القارىء إحصاء الأسطر فلا يعدها من أولها، وإنما يكتفي بعد الأسطر التي بين الأرقام وهكذا.

ومن المهم أن تستمر المراجعة بعد تجارب الطبع؛ حتى يغلب على ظن المحقق أن عمله قد وصل إلى درجة يرضى عنها، فإذا أتمّ كل ذلك، واكتمل الطبع كان عليه أن يراجع الكتاب للمرة الأخيرة، ويضيف إلى صفحاته الأخيرة ما أمكن رصده من أخطاء فيذكر صوابها تحت العنوان المشهور (تصويب الخطأ). كما يحسن أن تكون هذه المراجعة من شخص آخر يكون يقظاً لما غفل عنه المحقق، وحتى يمكن استدراكه في الطبعة الجديدة.

وهذه كلمة أخيرة حول القواعد العامة لتحقيق التراث أثبتها هنا، لقناعتي بأهمية أن تولي جامعة الدول العربية من خلال معهد المخطوطات العربية تراثنا عناية خاصة بالتعرف عليه، وجمعه، وفهرسته، وتيسير طبعه، والتعاون مع الهيئات العلمية في سائر دول العالم من أجل الوصول إلى ما تاه منه، وبعث

الحياة فيما لم يحقق منه، وترجمة الكثير من روائعه إلى اللغات الحية المتداولة؛ حتى تزداد معرفة الآخرين بهذا التراث الزاخر.

وهـــذه هـــي القواعد العامـــة التي أقرتهـــا لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه بمعهد المخطوطات العربية في عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م):

١ – أن يكون تحقيق التراث في أيد أمينة، قادرة عليه، فلا يتطال[1] إليه من لم تكتمل أداته اللغوية والعلمية والفنية.

٢ – أن يبنى التحقيق على مناهج منظمة وأولويات مرتبة.

٣ – أن تخضع أعمال حديثي العهد بالتحقيق للتدقيق والمراجعة، على أن يتحمل الأستاذ المراجع التبعة العلمية في ذلك كاملة.

٤ – أن تُصرف عناية خاصة إلى التراث العلمي استجابة للحاجة الحضارية الراهنة، وتحقيقا للتوازن بين التراثين: العلمي والأدبي.

٥ – أن تنشأ في العواصم العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية، يودع في كل فرع منها نسخ من الرقوق المصورة المحفوظة في مقر المعهد.

٦ – أقرت اللجنة أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد، وأن تراعى هذه المقاصد في وضع المناهج والتوصيات:

الأول: تقديم النص صحيحا مطابقا للأصول العلمية.

الثاني: توثيق النص نسبةً ومادة.

---

(١) أي: فلا يتطاول

الثالث: توضيح النص وضبطه،[١] .

وبعـــد .. فماذا تحقق من هذه القواعد؟ وماالذى لم يتحقق؟ ذلك بعض ما يدور فى ذهن المثقف العربى، والباحث العلمى، والأستاذ الأكاديمى، والمحقق الواعى المحب لدينه ولغته وتراثه وقومه.

إن من يطالع كتابا محققا مثل نوادر المخطوطات سيشهد أن المحصول العلمى والفكرى من المطالعة لا يتوقف على ما أثبته المؤلفون لهذه المخطوطات المختارة، وإنما يحصل على وجبة ثقافية دسمة وسهلة الهضم، تشهد بها عظمة هذا التراث وحب العاملين فيه لمهمتهم، ويشهد الشىء نفسه وهو يطالع ما رصده عبد السلام هارون فى البيان والتبيين، وفى الحيوان وهما للجاحظ، أو يشهد جهود محمود شاكر فى طبقات فحول الشعراء للجمحى أو ما قام به أحمد شاكر فى تحقيقه للشعر والشعراء لابن قتيبة ومحمد أبو الفضل إبراهيم فى إخراجه لديوان امرىء القيس وغيرها كثير. أ.هـ.

(١) أسس تحقيق التراث العربى ص ١٣ ويستطيع القارىء - إذا أراد أن يراجع به المنهج والتوصيات العامة ص ١٤ وما بعدها.

الباب الثاني
قضايا وبحوث تطبيقية

الفصل الأول : الاستشراق بين الصراع العقدي والنشاط الأدبي .

الفصل الثاني : المجلات الثقافية ودورها في إثراء الفكر والنقد والإبداع .

الفصل الثالث : تعليم القراءة للمبتدئين .

الفصل الرابع : دور المدرسة في تنمية الجانب الخلقي للتلميذ .

الفصل الخامس : الضعف في الإملاء .. المشكلة والحل (دراسة تطبيقية)

الفصل الأول

الاستشراق بين الصراع العقدي والنشاط الأدبي*

الاستشراق:

الاستشراق في معناه العام: علم الشرق، أو هو علم العالم الشرقي، وفي معناه الخاص «الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته، وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام»[١]. أو هو «انصراف بعض العلماء إلى دراسة الشرق، وأحوال دوله، وتاريخ شعوبه، وأديان أممه ولغاتها، وما لهذه الأمم من آداب وعلوم وعادات وتقاليد في غابر أيامها وحاضرها»[٢].

والمستشرق: كما تقول دوائر المعارف عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه. أو هو «كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه»[٣].

غير أن هذه التعريفات لا تشمل الباحث على الاستشراق، وهو ذو أهمية كبيرة في الحكم على الفكر الاستشراقي، والتعرف على طلائعه ومرتكزاته، فهل ينظر إلى الاستشراق على أنه حقيقة سياسية في المقام الأول، أم أنه اتجاه ثقافي

---

* نشرت في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد السابع عشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٨ كتاب الأمة صفر سنة ١٤٠٤هـ - مطابع الدوحة.

(٢) الأدب العربي الحديث ومدارسه: د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ٣١٨ طبع دار الطباعة المحمدية.

(٣) الاستشراق د/ محمود زقزوق ص ١٨.

ومعرفى، أم أنه سلوك عقدى وهدف تنصيرى؟ وهل يمثل الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضارى بين الشرق والغرب؟؟ ولم لا يكون الرد هنا إيجابيا خاصة أننا نعرف حرص الأوربيين على الاستفادة من الحضارة العربية فى عصور ازدهارها بدءا من القرن الثامن الميلادى، وما صحبه من تحولات فى المد الإسلامى إلى الغرب، وإلى أقصى الشرق أيضاً.

ولقد تناقضت الآراء حول الاستشراق فى العالم العربى بخاصة، فالبعض يؤيده إلى أقصى حد، والبعض يرفضه جملة وتفصيلا.

أما الذين تحمسوا له فكانت نظراتهم مشفوعة بما قام به بعض المستشرقين من جهود طيبة فى مجال اللغة وآدابها من تحقيق للتراث وفهرسة للمخطوطات، وتأليف للكتب ومعالجة للقضايا الأدبية التى شُغل الناس بها أزمانا طويلة، ومن تدريس فى التعليم الجامعى، ومن نشاط مجمعى إلى غير ذلك من جهود وأفعال.

أما الذين رفضوه، وهم الأغلبية، فلأن كثيرا من دراسات المستشرقين فى مجال الإسلام تهدف بقصد وبدون قصد أحيانا – إلى طمس معالم هويتنا الإسلامية، والإساءة إلى عقيدتنا الدينية، ولأن أكثرالمستشرقين لم يستطيعوا التحرر من أفكارهم السابقة التى يغلب عليها اطابع العثمانى، كما أنهم لم يتخلوا عن أهدافهم التنصيرية والاستعمارية عند دراستهم لعلوم الشرق ولغاته وآدابه وعقائده.

أهداف الاستشراق:

يمثل الاستشراق واحدة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب فى الألف سنة الأخيرة، وإن تنوع هذاالصراع حسب الظروف المحيطة به، فنراه مرة صراعا عقديا، ومرة صراعا عسكريا، وفى أخرى صراعا فكريا، وتبعا لذلك تعددت أهداف الاستشراق على النحو التالى:

١ - الهدف الدينى:

يعد الهدف الدينى أهم باعث لنشأة الاستشراق، ثم تكاثرت الأهداف الأُخرى؛ لتحقيق مطامع الدول الغربية، وقد اتضح هذا الهدف إبان الحروب الصليبية وبعدها، إلى أن ظهرت حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر بأوروبا، فهدأت ثورة الحقد والكراهية عن ذى قبل، وظهرت موجة جديدة من الاعتدال فيما يكتبه بعض المستشرقين. وليس معنى ذلك أن الباعث الدينى قد انتهى دوره ... كلا فقد ظل رجال الكنيسة (الكاثوليك) متزعمين لحركة التبشير حتى القرن الثامن عشر الميلادى، وكثرت تدخلاتهم فى شؤون البلاد الإسلامية من خلال الحماية الاستعمارية التى عاشواتحت لوائها.

أما حركة العداء التى قام بها الأسبان ضد المسلمين فكانت أعنف ما شهده التاريخ الإنسانى من أساليب التعصب الدينى، كإكراه المسلمين على التنصر وترك الإسلام، وحرق الكتب، وتحريم الشعائر الإسلامية، ومنع استعمال اللغة العربية إلى غير ذلك من التعصب الدينى البغيض.

ولقد كان هدف الرهبان أن يثبتوا لشعوبهم أن الإسلام «دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على

الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي»[١] وكان الهدف من هذا الهجوم صرف الأوربيين عن عقائدهم وكتبهم المقدسة.

وقد حرص كثير من المستشرقين ممن عملوا في خدمة التنصير على توهين القيم الإسلامية، وبث الفرقة بين الشعوب الإسلامية والعربية.

ولم تكن محاولاتهم مباشرة في الدعوة إلى المسيحية، والردة عن الإسلام بل كان أسلوبهم موجهاً إلى تشويه هذا الدين بكل الوسائل المتاحة لهم حتى تتسع رقعة العالم المسيحي بعد ذلك.

٢ – **الهدف الاستعماري:**

بعد أن انتهت الحروب الصليبية التي كانت دينية في ظاهرها، استعمارية في باطنها، والدول الأوروبية تسعى جاهدة لاحتلال العالم الإسلامي، إلى أن تمّ له ذلك في أواخر القرن التاسع عشر.

ولا شك في أن هذه الدول قد استعانت بجهود المستشرقين، وسخرتهم لخدمة الأغراض الاستعمارية. يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادىء العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة»[٢].

(١) الاستشراق والمستشرقون: د/ مصطفى السباعي ص ١٦، طبع المكتب الإسلامي ببيروت.
(٢) السابق ص ١٧

ومن المستشرقين الذين انحرفوا عن أخلاقيات الباحث إلى الأهواء الاستعمارية المستشرق الإنجليزي (بالمر)، (١٨٤٠م – ١٨٨٢م) الذى كان فى هيئة الاستكشاف فى فلسطين، وارتاد صحراء سيناء، وسافر إلى لبنان ودمشق وإستانبول. والمستشرق الألمانى «بيكر»، (١٨٧٦ – ١٩٣٣) الذى اشتغل بمسائل السياسة الشرقية. والمستشرق الإيطالى «روسي»، (١٨٩٤–١٩٥٥م) الذى سافر إلى ليبيا ضمن الجيش الإيطالى، وتعلم اللغة العربية، وأسهم فى تحرير مجلة (الشرق الحديث) التى كانت تهتم بأحوال العالم الإسلامى[1]، وغيرهم كثيرون.

وليس معنى ذلك أن كل المستشرقين قد غرقوا فى حمأة الاستعمار الغربى فإن منهم من تخلى عن التبعية السياسية كالمستشرق المجرى عبد الكريم جرمانيوس (١٨٨٤م – ....) والمستشرق الإيطالى (روسيتى) (١٨٢٧–١٩١٢م) والمستشرق الفرنسى (ماسه)، (١٨٨٦م –١٩٦٩) وغيرهم. ولقد أحصت بعض المؤلفات[2] أسماء المستشرقين الذين اتجهوا فى بعض أنشطتهم إلى السياسة والاستعمار مع التفاوت بطبيعة الحال فى هذه الأنشطة ووصلت بأعدادهم إلى ما فوق المائة، وهو عدد لا يستهان به، حتى لو لم تظهر السمة السياسية لبعضهم، أو أنها لم تكن فى خدمة الاستعمار بطريقة مباشرة.

---

(١) انظر الكتاب (مستشرقون) لنذير حمدان ص٨ طبع دار راسم، جدة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) السابق ص ٥٥ وما بعدها.

ولننظر إلى حملة نابليون، وما صحبته من المستشرقين، ولننظر أيضاً إلى ما قيل عن «إيدن»[١] . الذى لم يكن يتخذ قراراً فيما يخص الشرق الأوسط إلا بعد الرجوع إلى عدد من المستشرقين، على أن دور هذه الطائفة يمثل أهمية كبير، لدى رجال الحرب المستعمرين، إذ يهمهم أن يتعرفوا على طبيعة البلاد التى سيحتلونها، وفهم عقلية شعوبها وعاداتها وتقاليدها، قبل أن يدخلوها مستعمرين ومستعبدين.

٣ – الهدف العلمى:

يمثل الهدف العلمى بعضا من جوانب الصورة المقبولة عند المستشرقين، فقد نهض فريق منهم بتقديم الدراسات المطولة عن الحضارة القديمة، ونشط آخرون فى تجميع المخطوطات العربية والإسلامية – بصرف النظر عن الوسيلة – وقاموا بنشرها، ووضع الفهارس لها.

وقام آخرون بالمشاركة فى التدريس الجامعى ببعض البلدان الشرقية، وعقد المؤتمرات العلمية عن الاستشراق، وكتابة الدراسات المطولة حول اللغة العربية وآدابها، وتأليف العديد من الكتب فى التاريخ الأدبى، كما شارك عدد كبير منهم فى الأنشطة المجمعية مثل المستشرق الأنجلو أمريكى «جب Gibb» مدير مركز دراسات الشرق الأوسط، والمستشرق الإيطالى «كارللو نللينو» (١٨٧٢م – ١٩٣٨م) والمستشرق الإنجليزى دافيد صمويل مرجليوث. على أن الهدف العلمى لم يكن قديما قدم الاستشراق، ولا يمكن أن يرجع فى بدايته على أقصى تقدير إلى القرن السادس عشر الميلادى.

---

(١) إيدن هو وزير الحرب البريطانى، والذى صار بعد ذلك رئيساً للوزراء.

غير أن هذا قد ظهر فى أتم صورة مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، وهى المرحلة التى بلغ فيها ضعف البلدان الإسلامية والعربية حداً كبيرا، وكانت بطبيعة الحال هدفا للأطماع الاستعمارية.

لم يكن هذا الباعث العلمى فى درجة واحدة عند المستشرقين الذين نشطوا فى بحوثهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم العلمية، حيث وجد نفرمنهم تحاشوا الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمى السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته[1].

إن هذه الفئة المنصفة لا يتيسر لها السير على هذا المنهج إلا حين يكون لها من الموارد المالية، وما يمكنها من متابعة بحوثها الاستشراقية بعدل وإنصاف، لأن مثل هذه البحوث لا تلقى رواجا عند رجال الدين ورجال السياسة وعامة الباحثين، وهى لذلك لا تدر عليهم ربحا ولا يعتمد عليها كمورد ممول للبحوث والمؤلفات.

٤ – أهداف أخرى:

سبق أن ذكرنا ثلاثة أهداف للاستشراق، وهى على أهميتها لا تشكل مجموع الدوافع الاستشراقية، فهناك بعض الأهداف الأخرى مثل الهدف التجارى الذى يمثل رغبة الأوربيين فى ترويج بضاعتهم، وشراء الموارد من البلاد الإسلامية بأبخس الأثمان، وربما يعود هذا الهدف التجارى إلى المستشرق نفسه الذى يروج أبحاثه ومؤلفاته فى العالم الإسلامى.

(١) الاستشراق والمستشرقون لمصطفى السباعى ص ١٩.

ونؤكد على تضارب أقوال العرب والمسلمين خلال مواقفهم من الاستشراق، كمظهر من مظاهر الصراع الحضارى بين الأمم والشعوب، فكثير من الكتاب يعممون فى أحكامهم على المستشرقين، ويقولون إنهم أعداء للإسلام، وحاسدون له، وحاقدون عليه، وعلى النقيض من ذلك تماما ما نقرأه لبعض الأعلام العرب المشهورين الذين يحمدون كل صنيع للمستشرين، ويحبذون التبعية للغرب فى مناهج الفكر وأساليب التطور.

وليست وجهتنا متفقة مع أحد الفريقين، بل إنها كما قلت تقر بأن المستشرقين ليسوا سواء.

إن التواصل بين الأمم والشعوب، وتبادل الخبرات والمعارف هدف نبيل، واتجاه حميد، فلا يخفى علينا أثر التواصل بين الإغريق والرومان فى القرون القديمة، بما فى هذا التلاقى بين تأثير وتأثر فى جوانب متعددة من الآداب والفنون والعلوم واللغات.

كما أننا لا ننسى ما أحدثته حركة الترجمة فى العصر العباسى من تأثير على اللغة والأدب، إذ استفاد العرب بالنشاط الفكرى لدى الإغريق والهند والفرس والصين، ولعل أقرب الأمثلة على ذلك كتاب كليلة ودمنة لبيدبا وكتابا أرسطو «فن الشعر» و«فن النثر»، ولكن هذا الاتصال يصير ممقوتا بدرجة كبيرة جدا لو صحبته نظرة استعلائية، أو أهداف تنصيرية بعيدة – بالطبع – عن روح العلم وحقيقة البحث.

وعندما نجلس إلى طلابنا في قاعات الدرس، ونحدثهم عن أسباب النهضة الأدبية الحديثة نذكر منها جهود المستشرقين في دراسة اللغة والأدب، وإرساء تاريخ العصور الأدبية التي تسير عليها كليات الآداب واللغة العربية والتربية في الجامعات العربية، ثم إذا حدثناهم عن ظهور بعض الفنون الأدبية كالمسرحية مثلا قلنا لهم: إن هذا الشكل الأدبي أوربي المولد، وقد نقل إلينا في مرحلة زمنية معينة، ثم نستمع إليهم وهم يتساءلون: هل قام المستشرقون بكل ذلك؟ فنقول لهم: نعم، وبأكثر من ذلك.

ويردفون بعد ذلك قائلين: إذن لماذا يهاجم المستشرقون في الكتب التي أرخت للاستشراق، أو تحدثت عن الغزو الفكري وحملات التعريب وغيرها مما تناول الصراع بين الشرق والغرب؟ فنقول لهم: إن المستشرقين ليسوا سواء.

فطائفة منهم: «انصفت الإسلام وكتابه ونبيه، وتحدثت عن ذلك كله بصدق واقناع»[1] .

أما الطائفة الثانية فممتلئة بالحقد والكراهية على الإسلام والمسلمين، وهذه أكبر عدداً، وأمكن نفوذا وأكثراتصالا بحملات التنصير والاستعمار حيث كانت دراساتهم في الغالب موجهة لأغراض معينة، وأهداف خبيثة، كإشعارالعرب والمسلمين بالذلة والتبعية، وفقدان القدرة على الابتكار، والنظر إلى القضايا نظرة كلية عامة، وأسهم في كل ذلك استعداد العرب والمسلمين لهذا الغزو

(١) جريدة الشرق الأوسط في ٢٢/٨/١٤٠٧هـ ٢٠/٤/١٩٨٧م من كلمة للأستاذ/ أحمد محمد جمال.

كنتيجة طبيعية لحياة الضعف والركود التي عمت أقطارهم عشرات السنين ولهذا لابد أن ننطلق في دراستنا لأعمال المستشرقين من خلال الآية الكريمة التي تقول: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾[1] .

كما أنه لا ينبغي أن نهمل ما كتبه المستشرقون وتلاميذهم من نصارى العرب، فلابد أن نتعامل مع هذه الكتابات بوعي وحذر شديدين، فما كان منها صالحا ومفيدا للمسلمين والإسلام أشدنا به، وتحدثنا عنه، وفتحنا له صحفنا ومجلاتنا إذ أن مثل هذه الكتابات – إذا تحقق فيها الصدق والالتزام – يمكن أن تخدم الإسلام واللغة العربية والآداب بأكثر مما تخدمه كتابات الكثيرين من علماء الإسلام. وأظن أن أغلب الذين لا يعرفون شيئا عن ديننا إلا أنه يقيم الحدود من قصاص وقطع وغيرها، هؤلاء يمكن أن يكون اقتناعهم به كبيرا قرأوه مكتوبابأقلام هؤلاء المستشرقين.

ونعود إلى الجانب الثاني من كتابة المستشرقين التي تقطر بالحقد والكراهية، والعداء الشديد للإسلام، وهذه ذات خطر كبير على المد الإسلامي بالشرق والغرب على السواء، كما لا ينبغي أن نخدع بلون أخطر من هذا، حيث يبدو الإنصاف في ظاهر المعالجة الفكرية ويختفي في ثناياها السم القاتل، ولذلك لابد من اليقظة التامة لكل ما يكتبه هؤلاء، وبخاصة ما اتصل منها بالدوائر الاستعمارية، والمراكز التنصيرية في شتى بلدان الغرب.

---

(١) سورة آل عمران (٧٣).

بدايات الاستشراق:

لا يتفق الدارسون للاستشراق حول بدايته ونشأته، فيذكر البعض أنه بدأ في أوائل القرن الثامن عشر الميلادى، حيث تجسدت الأطماع الأوربية في العالم الإسلامى، وما صحب ذلك من ضعف في دول المشرق، وكانت الحملة الفرنسية على مصروالشام من مظاهر هذه الأطماع، وتأكد ذلك بمن جاء مع الحملة من مستشرقين قاموا بدراسات مختلفة ومتنوعة في اللغة والتاريخ والحضارة والفكر.

ويرجع البعض بتاريخ الاستشراق إلى ما قبل القرن العاشر، لأنه «من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات... ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسى «جربرت Jerbert» الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده...»[١]

ويقول البعض: إن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادى، حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين، فدعا «ألفونس» ملك قشتالة «ميشيل سكوت» ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم فجمع «سكوت» طائفة من الرهبان في إحدى الأديرة، وشرعوا في ترجمة بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة، ثم قدمها «سكوت» لملك صقلية الذى أمر باستنساخ نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس[٢].

(١) الاستشراق والمستشرقون لمصطفى السباعى ص ١٣، ١٤.

(٢) أساليب الغزو الفكرى: على جريشة وأخر ص ١٨ دارالاعتصام بالقاهرة.

وفى ضوء ما سبق، ومن خلال التعرف على تاريخ الصراع بين الغرب والشرق نستطيع أن نقف على جذور الاستشراق وبدايته الأولى إلى أن ظهر بصورته المعروفة فى القرن العشرين

المرحلة الأولى:

يمكن أن تبدأ هذه المرحلة فى القرن (الثانى الهجرى) وتمتد إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) عند انتهاء الحروب الصليبية[١] حيث زاد العداء بين الغرب والشرق، عندما امتدت موجة الإسلام إلى أسبانيا، واقتطعت من الدولة الرومانية أفضل ممتلكاتها فى البلاد الشرقية . ثم كانت الحروب الصليبية أكبر نكبة للنصارى والمسلمين على السواء، كما اقتنع الغربيون فى نهايتها على أن الحروب المسلحة لا تعود على المسيحية بشىء، فلذلك تغيرت أساليبهم مع انطفاء نيران هذه الحروب.

ولا شك فى أن انتشار الإسلام فى القرون الأولى قد أذهل رجال اللاهوت النصرانى، فبدءوا يتعرفون على هذا الدين، واهتموا بدراسته، ثم زاد حرصهم على معرفته بعد أن أخذت الحضارة الإسلامية تشع بنورها على أجزاء كثير من العالم، فى الوقت الذى كان فيه الغربيون يغطون فى نوم عميق، ويعيشون فى جهالات القرون الوسطى، وإن لم يتوقف النشاط الكنسى عن تتبع الإسلام ودراسة أسرار قوته، والتعرف على مظاهر عظمته، فكان أن تجاوب بعض العرب النصارى مع رجال اللاهوت، وقدموا لهم بعض مصنفاتهم حول هذا

(١) بدأت الحروب الصليبية عام ٤٩٠هـ – ١٠٩٧م وانتهت فى ٦٩٠هـ – ١٢٩١م.

الدين الجديد، ومن هؤلاء الرجال العالم النصراني يوحنا الدمشقي (٦٧٦م – ٧٤٩م) الذي قدم لنصارى الغرب كتابه (محاورة مع مسلم) وكتابه (إرشادات النصارى في جدل المسلمين)، وربماكان هذا النصراني من أوائل الذين حملوا رايات التضليل في مرحلة متقدمة من عمر الصراع بين الشرق والغرب، وإن كانت دراسته لا تدخل في صميم الاستشراق؛ لأن الرجل من أهل الشرق، وقد عاش في أحضان الدولة الأموية، ولكن نشاطه في الدس على الإسلام يؤكد عناية رجال الكنيسة الغربية بأتباعهم من نصارى العرب، وكان هؤلاء دائما أكبر عون للمستشرقين في التغلغل داخل الدائرة العربية، والتي حرص العثمانيون الأتراك – فيما بعد – على إغلاقها في وجه الاتصالات الأوربية.

إن هذه المرحلة لا تظهر فيهاملامح الدراسات الاستشراقية كاملة، وإن كانت تعد حلقة من حلقات الصراع الفكري بين الغرب والشرق، الذي تمخض عنه الصراع الدموي إبان الحروب الصليبية، وإن ظهرت بعض الملامح التي يمكن أن نطلق عليهااسم الاستشراق السلمي أو غير الرسمي حيث حرص الأوربيون على الاستفادة من الحضارة الإسلامية بشتى الطرق: «ففي سنة ١١٣٠م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف «ريمون»، أخذت تنقل جلائل الأسفارالعربية إلى اللاتينية، وعاونهم على ذلك اليهود، فبعثت هذه الترجمة في أوربا الخامدة شعورا لطيفا وروحا طيبة»[1] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات ص ٢٥، طبع دار البحوث العلمية بالكويت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

وأعقب ذلك بوقت قصير ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة عام (١١٤٣م) ثم تلاها ظهور بعض الكتابات الاستشراقية حول الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته، بهدف الطعن في الإسلام، وجذب المسلمين إلى النصرانية. وهكذا اختلف الصراع بين الشرق والغرب في آخر هذه المرحلة عن الصراع الذى بدأت به.

المرحلة الثانية:

تمتد هذه المرحلة من بداية القرن الرابع عشر (أى بعد نهاية الحروب الصليبية) إلى نهاية القرن الثامن عشر (حيث كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام)، وقد تميز الصراع فى هذه الحقبة بالعداء الشديد بين الغرب والشرق، وأسهم فى ذلك العداء ما منى به حملة الصليب من فشل وانكسار فى تلك الحروب التى استمرت قرابة المائتى عام، ولذلك لجأوا إلى أسلوب آخر أطلق عليه البعض اسم الغزو الفكرى.

وقد كشف الاستشراق في هذه المدة عن وجهه منذ أن أصدر مجمع (فيينا) الكنسى قراره فى عام ١٣١٢م «بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية»[١] .

وهكذا لم يقتصر النشاط الاستشراقى على الدين الإسلامى – كما كان من قبل – بل شمل فى هذه الحقبة اللغة العربية وعلومها، وإن كان الهدف الأول من تعلمها «هو تخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين، ويردون عليهم

---

(١) الاستشراق: د/محمود حمدى زقزوق.

ببراهين من الكتب الإسلامية، كذلك لتحقيق الكتاب المقدس، ولتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم فى الأراضى المقدسة»[١].

ثم توسعت عناية الأوربيين باللغة العربية والعادات الاجتماعية للناطقين بها، وسخّروا لذلك جماعة من المتخصصين الذين يقدرون على معرفة الحالة التى عليها أهل الشرق المسلمين، وقد تأكدت هذه العناية بعد فتح السلطان محمد الثانى (الملقب بالفاتح) للقسطنطينية عام ٨٥٧ (١٤٥٣م).

ولا شك فى أن خطط الأوربيين قد تغيرت إبان هذه المرحلة حيث زاد حرصهم على تعلم علوم المسلمين، ليتمكنوا من إحكام السيطرة الفكرية عليهم، وقد سعوا إلى هذه السيطرة بعد انقشاع ظلمات العصور الوسطى عن الغرب وبداية عصر النهضة فى القرن الخامس عشر، وظهور حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر، وصاحب ذلك تقهقر المسلمين بالأندلس.

ولقد نشط المستشرقون فى القرن السابع عشر فى جمع المخطوطات الإسلامية بشتى الطرق، بينما كان ظهور حركة الإصلاح الدينى لدى الغرب فرصة سانحة أمام بعض العقلاء الغربيين، لكى يقفوا على حقيقة الظلم والإجحاف الذى لقيه الإسلام من نصارى الغرب فى القرون الوسطى[٢].

وإذا كان الاستشراق يختلف باختلاف بواعثه وأسبابه، فإن ذلك القرن يمكن أن يكون بداية للاستشراق فى مجال تاريخ الأدب العربى؛ لما تحقق فيه

---

(١) أضواء على الاستشراق: د/ محمد عبد الفتاح ص ٢٥، طبع دار البحوث العلمية بالكويت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) أنظر ما كتبه د/ زقزوق فى كتابه «الاستشراق» بالتعريف ببعض ما كتبه هؤلاء المنصفون.

من منجزات تجاه اللغة العربية سواء من ناحية طباعة الكتب العربية، أو من ناحية إنشاء بعض الكراسي للغة العربية في أماكن مختلفة.

وشهد القرن الثامن عشر ركود البحث العلمي لدى المسلمين لأسباب عديدة، ربما يكون منها ستار العزلة الذي فرضته الدولة العثمانية على رعاياها أنذاك، وبذلك حرموا من الاستفادة بتقدم مناهج البحث العلمي عند الأوربيين، ثم تطرق الضعف والوهن إلى هذه الدولة مع نهاية القرن المذكور حتى طمع فيها الأوربيون الذين استفادوا وقتها بالتقدم العلمي الذي انتشر في كثير من البلدان الأوربية، ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر والشام إلا مظهرا من مظاهر الأطماع الغربية، كما ظهر في نهاية هذا القرن مصطلح (مستشرق) Orintaliste على أن الدراسات الإسلامية والعربية قد سبقت هذا القرن الذي ظهر فيه هذا المصطلح لأول مرة، أما من أرّخ للاستشراق ببداية القرن التاسع عشر فقد بنى وجهته على أساس ظهور مصطلح مستشرق، وإدراج «مفهوم الاستشراق» "Orientalism" في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م[١].

المرحلة الثالثة:

تبدأ هذه المرحلة في أوائل القرن التاسع عشر حتى الآن، حيث بلغ فيها النشاط الاستشراقي حدا كبيرا، وزادت كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوربية، وكثرت بالتالي أعداد المستشرقين، ولم تعد أنشطتهم محصورة على الإسلام واللغة، بل تجاوزتها إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفن العربي والحضارة الإسلامية والحياة الاجتماعية.

---

(١) الاستشراق: د. محمود زقزوق: ص ٢٠ وص ٢١.

وتوافد المستشرقون على بلاد الشرق للتعرف بأنفسهم على هذه البلدان، والتقرب من علمائها وشعوبها، وعندما نقرأ كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقي سوف نعجب لهذا الكم الهائل من المخطوطات التى استولى عليها الأوربيون من العرب والمسلمين، ونقلوها إلى مكتبات بلدانهم، وتعاملوا معها بعناية وحرص، وعقدوا لها الفهارس المطولة، كما أسهم فى جمع المخطوطات النادرة عدد من (قناصل) الدول الأوربية فى بلدان العالم الإسلامى، مما يؤكد تكاتف الجهود بين الاستشراق والاستعمار فى الوقت الذى تخلص فيه الاستشراق من نفوذ اللاهوت، وتشكل كعلم قائم بنفسه، ولذلك زاد عدد المستشرقين الذين تحدثوا عن الإسلام بحرية وإنصاف عن ذى قبل .

كما اتجه الاستشراق الفرنسى نحو العناية باللغة العربية وأدبها بفضل المستشرق دى ساسى "De sacy" (ت١٨٣٨م) «الذى أصبح إمام المستشرقين فى عصره، وإليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزا للدراسات العربية.... وكانت أغلب جهود «دى ساسى» العلمية منصبة على الدراسات العربية فى النحو والأدب شعرا ونثرا، وليست له دراسات حول الإسلام»[١] .

إن تحول كثير من المستشرقين إلى دراسة اللغة العربية وفهمها مع أخواتها الساميات فهما صحيحا صاحبه انعطاف من بعض الشرقيين إلى القناعة بدراسات الاستشراق حول اللغة العربية بخاصة «وهذا هو السبب الذى يظل من أجله المستشرقون العاملون فى الصعيد اللغوى بمنأى عن هجوم الرأى العام

---

(١) السابق: ص ٣٩ .

العربى الإسلامى فى أيامنا هذه، بينما يتهم المستشرقون العاملون فى صعيد الدراسات الإسلامية بسوء النية فى أحوال ليست بالنادرة»[١] .

ولقد ظهرالتخصص فى القرن التاسع عشر بين المستشرقين، فبعضهم اتجه نحو الدراسات الإسلامية كما جمع بعضهم – مثل نولدكه، وفلهاوزن بين الدراسات الإسلامية والعربية .، بينما تخصص دى ساسى وغيره فى اللغة العربية والأدب، وحرص الأوربيون على زيادة النشاط الاستشراقى، وذلك بإنشاء الجمعيات التى تتابع هذا النشاط، وأصدروا النشرات والمطبوعات والمجلات التى تبرز جهود المستشرقين، «وقد شهد القرن التاسع عشر أيضا بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين فى كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق، وتوثيق أواصر التعاون، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم، وتجنب ازدواج العمل حرصا على تجميع الجهود، وعدم تبديدها فى أعمال مكررة»[٢] .

وعقد أول مؤتمر للمستشرقين فى باريس عام ١٨٧٣م، ثم توالى عقد المؤتمرات فيما بعد. وأنشأ الأوربيون العديد من المؤسسات التعليمية فى البلدان الإسلامية والعربية؛ لتوجيه التعليم فى هذه البلاد، ولخدمة الأغراض الاستشراقية والاستعمارية فيها، مثل الجامعة اليسوعية والجامعة الأميركية فى لبنان، والجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعة الأمريكية بإستانبول، والكلية الفرنسية فى لاهور، وكلية غوردون بالخرطوم[٣] .

---

(١) السابق ص ٤٠ نقلاً عن المستشرق «بارت».

(٢) السابق: ص ٢٢.

(٣) غوردون ضابط انجليزى قتل بالسودان أثناء الثورة المهدية عام ١٨٨٥م.

وعندما أنشئت بعض الجامعات العربية والإسلامية شارك فيها المستشرقون بالمحاضرات والتدريس فى اللغات والآداب الإسلامية، ووصلت أعدادهم حسب بعض الإحصائيات[1] إلى ثلاثة وخمسين مستشرقا نهضوا جميعا بالتدريس فى الجامعات والمعاهد العلمية بالمغرب والجزائر وتونس ومصر ولبنان وسورية، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، ولم يكتف هؤلاء المستشرقون على اختلاف جنسياتهم على التدريس والمحاضرات – بطبيعة الحال – بل توسعت أنشطتهم إلى السياسة والتنصير، وإلى الجاسوسية أحيانا.

وعندما أنشئت المجامع اللغوية فى سورية ومصر والعراق شارك فيها المستشرقون بمعارفهم وجهودهم فى التأليف والبحث ، وبلغ عدد المستشرقين بمجمع دمشق ستة وستين فرداء وكانوا يمثلون نصف الأعضاء تقريبا بينما بلغ، عددهم بالمجمع اللغوى بالقاهرة سبعة عشر عضوا، وجمع بعضهم بين عضوية المجمعين مثل «بلاشير» و «هاملتون جب»، وكارل نللينو "Nallino".

(١) انظر: كتاب «مستشرقون» نذير حمدان ص ١٢٠ وما بعدها.

أثر المستشرقين فى الدراسات العربية:

١ – جهود المستشرقين فى جمع التراث العربى وتحقيقه:

عندما نتحدث عن تراثنا العربى نحزن كثيرا لما ضاع وتلف من هذا التراث، إذ لم تكن إغارة المستشرقين على مخطوطاتنا القديمة إلا حلقة من حلقات السطو الفكرى والحضارى فى مرحلة من عمر الزمن، ونتساءل عن كم هذا التراث فلا نجد إجابة شافية، فمن ذا الذى يستطيع أن يحصى ما حرقه الصليبيون فى حملاتهم على البلدان العربية؟ ومن يعرف على وجه الدقة ماحاق بمكتبة بغداد من تخريب إبان الهجوم التترى؟ إلى غير ذلك من حلقات الإبادة الملعونة، ونبحث عن المخطوطات التى سلمت من الحرق والإتلاف فنجدها موزعة على معظم دول العالم، وليست قاصرة على البلدان الأوربية فقط.

ومما يؤسى له أن هذه المخطوطات التى نهبت وجلبت إلى كثير من بلدان العالم الغربى بخاصة قد هيئت لها السلامة والعناية بدرجة تفوق ما عليه حال المخطوطات التى بقيت فى دهاليز المكتبات العربية. لقد كان المستشرقون أول وأكثر من اعتنى بهذه المخطوطات، وها نحن نذكر لك بعض طرقهم فى جمعها... وكان بعض الحكام فى أوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات، وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية فى أوربا وتنشيطها[1].

(١) الاستشراق د/ زقزوق ص ٦١.

ولجأت الجهات المعنية هناك إلى العديد من الوسائل منها إرسال المبعوثين لشراء المخطوطات من الشرق حتى وصلت أعدادها فى الدول الأوربية إلى مئات الألوف، على أن انتقال هذه المخطوطات إلى أوربا - بالطرق المشروعة وغير المشروعة.. «قد هيأ لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة، وعندما أقول هذا أشعر بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة فى كثير من بلادنا العربية والإسلامية، وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل، وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها»[١] .

لقد جمع المستشرقون هذا التراث، وعملوا على حفظه وصيانته، ويسّروا سبل الانتفاع به، وأعدوا له الفهارس العلمية النافعة» التى «تصف المخطوط وصفا دقيقا، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات، وتذكر اسم المؤلف، وتاريخ ميلاده، ووفاته، وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه..»[٢] .

ونضرب مثالاً على ذلك بما قام به المستشرق الألمانى (آلوارد) من وضع الفهارس للمخطوطات العربية فى مكتبة برلين فى عشرة مجلدات جمع فيها عشرة آلاف مخطوط.

ولم تتوقف مجهوداتهم عند حد الجمع والفهرسة، بل تجاوزتها إلى تحقيق المخطوطات ونشرها لتكثر الإفادة منها، وسار منهجهم على أساس الموازنة بين النسخ، وتسجيل ما بينها من فروق، وترجيح ما حسبوه صحيحا، وأعدوا فهارس

---

(١) السابق ص ٦٢.

(٢) السابق ص ٦١.

للموضوعات والأعلام، وجعلوها في آخر الكتب، وقاموا أحيانا بشرح بعض المؤلفات. ونقدم هنا بعضا من أسماء الكتب التي نشروها، وإن لم يتيسر لنا حصر كل ما تم نشره، ولا معرفة نسبة منشوراتهم من الكتب التي تم تحقيقها إلى وقت قريب، كما أنهم لم يفرقوا في نشرهم بين كتاب وآخر، وإذا كان البعض قد غضب من تحقيقهم لكتاب (ألف ليلة وليلة) وكتاب (الأغاني) فأظنه لم يغضب لما قاموا بنشره وتحقيقه من أمهات كتب التراث مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي، والمغازي للواقدي والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، والكتاب لسيبويه، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، ومعجم الأدباء ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والكامل للمبرد، ونقائض جرير والفرزدق، وشرح المفضليات لابن الأنباري.

وحققوا أيضا مجموعة كبيرة من كتب الأصمعي مثل الإبل، والأصمعيات والأضداد وخلق الإنسان، والخيل، والدارات والشاء والنبات والشجر والنخل والكروم والوحوش، وحققوا صحيح البخاري والمقتضب لابن جني، والوافي للصفدي، والأوائل للسيوطي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وأخرجوا كماً هائلا من دواوين الشعر في العصور المختلفة.

ومن غرائب ما يحكى عن صبرهم في البحث ما ذكر حول المستشرق (لامنس) من أنه قرأ «الأغاني» سبع عشرة مرة، ليتمكن، من وضع الفهارس له.

ونتسائل بعد ذلك عن مدى سلامة النية فى جهود هؤلاء المستشرقين، ونجيب قائلين بانتفاء السلامة التامة للنية، وتوفر قدر من سوء القصد، فلا شك أن هؤلاء بشر ويمكن لعواطفهم أن تتغلب أحيانا فيحرف الواحد منهم فى النص، أو يخون فى المنهج، ولكن ذلك قليل على كل حال، حيث كانت روح البحث هى المسيطرة على مناهج الكثيرين منهم، لكن هذه التجاوزات يمكن أن تحتمل إذا قيست بما يوجه من نقد وتصويب حول بعض الكتب التى ينهض بتحقيقها بعض العرب المسلمين. ولنا أن نتأكد من ذلك إذا رجعنا إلى كتاب مثل الشعر والشعراء والذى حققه أحمد محمد شاكر – وهو واحد من الرواد فى تحقيق المخطوطات سوف نرى فى بدايته انتقادا مطولا حول تحقيق الشيخ شاكر من زميله وصديقه السيد محمد صقر، وهما عالمان صاحبا لسانين عربيين. فما بالك بهؤلاء المستشرقين الذين ينشرون عشرات المؤلفات التى كتبت بلغة غير لغتهم، ولا أقصد بذلك أن أبرز التجاوز، أو أتسامح مع الخطأ، ولكننى أقرر حقيقة ملموسة لكل من تعامل مع المخطوطات تحقيقا وفهرسة وشرحا.

٢ – دور المستشرقين فى التأليف اللغوى والأدبى:

لم يقتصر دور المستشرقين على جمع المخطوطات ونشرها، بل أعدوا المؤلفات النافعة المفيدة التى سجلوا فيها كثيرا من ملاحظاتهم القيمة حول لغات الشرق وآدابه، وإن القليل منهم فيما يخص البحوث اللغوية والأدبية قد حاد عن الطريق، أو إنه اتبع فى درسه بعض المناهج التى لم يألفها العرب، أو تعرض فى بحوثه لبعض القضايا الأدبية الحساسة مثل الانتحال فى الشعر الجاهلى، ودراسة الرواية والرواة، ونشأة الشعرالجاهلى وغيرها، ثمّ إن المستشرقين فى

دراستهم لهذه القضايا قد اعتمدوا على كتابات عربية قديمة أو حديثة، وقدموها بصورة جريئة مكشوفة فتقبلها البعض ورفضها الآخرون.

وقد ذكرت بعض الإحصاءات[١] أن المستشرقين قد ألفوا نحوا من ستين ألف كتاب عن الشرق خلال قرن ونصف من الزمان (من أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين) وحتى إذا كانت هذه البيانات صحيحه فإننا لا نستطيع أن نفصل فيها بين كتب اللغة والأدب وغيرها، ولكنها مؤشر يدفعنا إلى التأكيد على عناية المستشرقين بأحوال الشرق بصفة عامة.

أما ما يخص الدراسات اللغوية والأدبية فإننا نراها موزعة بين تأليف الكتب، وإعداد المعاجم، وكتابة المقالات، وعقد المقدمات المطولة فى أوائل بعض الكتب. وقد ظفر تاريخ الأدب العربى بأهمية خاصة، فكتب «كارل بروكلمان» عام ١٩٥٦م مؤلفه الضخم فى خمس مجلدات تم تقسيمها إلى ثمانية عشر جزءا لتعريبها ولم يترجم منها (للأسف) إلا ستة أجزاء على نفقة جامعة الدول العربية.

وقدم «بلاشير» تأريخا شاملا للأدب العربى فى كتابه الذى ترجمه إبراهيم الكيلانى وعنوانه (تاريخ الأدب العربى)، وللمستشرق الإيطالى كارلو نللينو كتاب بعنوان (تاريخ الآداب العربية) كما أعد «هاملتون جب» كتابا بعنوان (دراسات فى الأدب العربى المعاصر)، وألف «مرجليوث» كتابا باسم (منشأ الشعر الجاهلى)، ويعرض الدكتور «أحمد سمايلوفتش»[٢] فى كتابه (فلسفة

(١) راجع: كتاب الاستشراق لأدوارد سعيد ص ٢١٦.

(٢) أحمد سمايلوفتش باحث إسلامى يوغوسلافى من البوسنة حاصل على الدكتوراة من جامعة الأزهر بالقاهرة على أطروحته بالعنوان المذكور وهو «فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر».

الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر) ؛ لاهتمام المستشرقين بالأدب العربى، ويرجع ذلك إلى أسباب منها «صلة الأدب بالإسلام، وأهميته لدراسة الشخصية العربية، وأثره فى آداب الشعوب الأخرى، ومنزلته بين الآداب العالمية، وهذا فيما يتعلق بالأدب القديم. أما المعاصر فيرى الكاتب صعوبة تلمس أثر الاستشراق فيه، وذلك لإن بحوثه – كما يراها حديثة العهد لم تتبلور فكريا وهى مركزة بالتالى حول القضايا السياسية والدينية، وأن الاستعمار مازالت آثاره واضحة فى مجال الثقافة والتوجيه[1] .

كما أن للمستشرقين باعا طويلا فى وضع القواميس اللغوية التى تجمع بين العربية وغيرها من اللغات الأوربية المختلفة.

وهناك مستشرقون ينفقون سنى عمرهم فى إعداد مثل هذه المعاجم، وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قضى «أوجست فيشر» (ت١٩٤٩م) أربعين عاما فى جمعه وتنسيقه، وتعاون معه فيه عدد من المستشرقين. ونخص بالذكر هنا أيضا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذى يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمى، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تم نشره فى سبعة مجلدات ضخمة»[2] .

---

(١) مجلة الفكر العربى ص ٢١ ابريل – يونيو١٩٨٣، العدد الثانى والثلاثون – السنة الخامسة.

(٢) الاستشراق د/ محمود زقزوق ص ٦٩ وص٧٠.

تكشف دائرة المعارف الإسلامية التى أعدها جماعة من المستشرقين عن الجهد والعناية الكبيرة بعلوم الشرق ولغاته وآدابه مع تحفظنا على قيامهم بهذا العمل حتى لو أخرجوها فى طبعة جديدة صوبوا فيها بعض تجاوزاتهم فى الطبعة الأولى، كما تكشف هذه الموسوعة عما بين المستشرقين من تعاون علمى حتى لو اختلفت جنسياتهم. ولقد اعتنوا أيضا بكتابة المقالات الأدبية واللغوية ونشر الأبحاث فى المجالات المتعددة والمتنوعة، وأسهموا أيضا عند إخراجهم للمخطوطات بعقد المقدمات فى أوائل الكتب التى نشروها، وعندما نرجع إلى الشعر والشعراء لابن قتيبة فسوف نطالع مقدمة «دى غويه» التى ابتدأ بها هذا الكتاب وقد تحدث فيها عن مخطوطاته، وكشف بها عن منهجه فى التحقيق، وختم مقالته بقوله: «وقد بذلت مجهودا كبيرا فى إصلاح الأصول ومراجعتها، ولكن الأخطاء لم تفارقها أبدا، فهى إما عن سهو منى، أو من الطابع. فإذا سمح الوقت أعدت طبع هذا الكتاب وتوخيت الدقة فى قراءة الأصول ومراجعتها مرات عديدة»[١] .

وتميز بعض هؤلاء المستشرقين بسعة الجهد وكثرة العطاء، وشدة التفانى، فكان «دى ساسى» المحرك الأول للدراسات العربية فى أوربا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وخلفه بعض تلاميذه الذين تأثروا بها، وأكملوا بعض مشروعاته. أما المستشرق الأسبانى «أسين بلاسيوس» فقد ترك ما يقرب من مائتين وخمسة وأربعين كتابا وبحثا حول موضوعات مختلفة.

وإذا كنا نرفض الكثير مما كتبه المستشرقون عن الإسلام فإننا نقبل الكثير مما كتبوه فى محيط اللغة والأدب فى القرنين الأخيرين بخاصة.

(١) الشعر والشعراء: لابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر. الطبعة الثالثة ص ٣٥.

وإننا لننتظر إلى اليوم الذى نستغنى فيه عن هذه الدراسات حتى تستقل شخصيتنا العربية والإسلامية استقلالا تاما، وليس ذلك على الله ببعيد.

٣ - جوانب أخرى من عناية المستشرقين باللغة والأدب:

لقد تعددت الجوانب التى تكشف عن عناية المستشرقين باللغة والأدب مثل تحرير المجلات، كالمجلة الأسيوية الملكية التى كانت تصدر فى لندن، ونهضوا بهذا الدور فى أمريكا والنمسا وإيطاليا وروسيا. «وأخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر هى مجالة العالم الإسلامى[١] .

وشاركوا جميعا على اختلاف جنسياتهم ومناهجهم فى مجال اللغة والأدب بإلقاء المحاضرات مثل بلاشير وجويدى وكازانوفا..» وكانت مواقفهم من أدبية القرآن وإعجازه متباينة، ونظراتهم فى كثير من شعرائنا كالبحترى والمتنبى والمعرى متعارضة..»[٢] .

كما نقلوا مقدارا كبيرا من تراثنا الأدبى واللغوى إلى لغاتهم الأوربية فمما نقل إلى الفرنسية دواوين امرىء القيس والنابغة وطرفة بن العبد والخنساء، والبردة للبوصيرى، وشعر الفرزدق وبعض أشعار الهذليين، وبعض أشعار الأغانى، وبعض أشعار المتنبى وأبى العلاء ومما نقل إلى الألمانية المعلقات، وديوان لبيد، وتائية ابن الفارض، وشعر ابن قيس الرقيات وبعض ديوان أبى

---

(١) الاستشراق والمستشرقون لمصطفى السباعى، ص ٢٩.

(٢) مستشرقون: نذير حمدان، ص ٢٥٤.

فراس، غير ما نقل إلى اللغات الأخرى، كما نقلوا إلى اللغة الفرنسية واللغة الألمانية عددا كبيرا من كتب اللغة والأدب.

ولا شك في أن ذلك يعود بالنفع على لغتنا وأدبنا، حيث تكثر الدراسات حولهما فتتهيأ لهما الفرصة للانطلاق إلى محيط العالمية الرحبة.

وقد عقد المستشرقون عددا كبيرا من المؤتمرات، ودعوا إليها كثيرا من الباحثين في علوم اللغة العربية وآدابها، وأشاد بعض العرب الذين حضروا هذه المؤتمرات بجهود المستشرقين في خدمة اللغة، وعنايتهم بالأدب العربي، وحرصهم على المخطوطات النادرة. وليس من المقبول – بعد ذلك – أن نرفض المستشرقين جملة، أو أن نسوي بين الكاره منهم للإسلام والمحب له، والمقبل عليه، وماعلينا إلا أن ننظر إلى أعمالهم بيقظة وحرص، ليكون القبول أو الرفض لها صادرا عن هدى وبصيرة.

الفصل الثانى

المجلات الثقافية ودورها في إثراء الفكر والنقد والإبداع*

تنهض المجلات الثقافية في العصر الحديث بدور مهم وبارز فى إرساء القيم الحضارية، وتأصيل الفكر العربى، والانتقال به من مرحلة التأثر بالآخرين إلى مجال التأثير فيهم والارتقاء بهم بالنقد الهادف والأدب الرصين. وقد شُغل الأدباء والمفكرون بالثقافة وقضاياها المختلفة سواء ما اتصل منها بتراثنا العربى أو بغيره من الآداب العالمية التى صارت مجالاً رحباً للعديد من البحوث المقارنة، وصار الفكر العربى – الذى يحتل مكان الصدارة فى الثقافة العربية – صار موضعا لجدل كبير بين العديد من أصحاب التوجهات المختلفة، فكتب الدكتور طه حسين عن مستقبل الثقافة فى مصر من ستين عاما، فقال: «الموضوع الذى أريد أن أدير فيه هذا الحديث هو مستقبل الثقافة فى مصر التى ردت إليها الحرية بإحياء الدستور، وأعيدت إليها الكرامة بتحقيق الاستقلال. فنحن نعيش فى عصر من أخص ما يوصف به أن الحرية والاستقلال فيه ليسا غاية تقصد إليها الشعوب وتسعى إليها الأمم، وإنما هما وسيلة إلى أغراض أرقى منها وأبقى، وأشمل فائدة وأعم نفعاً»[١]. ولسنا بصدد عرض ماقى هذا الكتاب والاختلاف حوله، وإنما نسعى إلى التأكيد على أهمية الثقافة وانشغال المفكرين ورواد التنوير بها من خلال مؤلفاتهم ومقالاتهم فى الصحف والمجلات.

---

* نشر هذا البحث فى مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد (١٨) ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(١) مستقبل الثقافة بمصر – طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٣، ص ٢٣.

وكان أحمد حسن الزيات وأحمد أمين من رواد الثقافة العربية، فأبرزا تاريخها المشرق ورسالتها الحضارية ودورها في إثراء الفكر وتأصيل النقد وتطور الإبداع، وعرضا لمراحل تدهورها، وعصور انحطاطها وارتباطها بالعلوم الإنسانية التى تتميز بها أمة عن أمة.

ويثار – فى الوقت الراهن – نقاش كبير عن بعض القضايا الثقافية مثل: التراث والمعاصرة، والترجمة العربية للآداب العالمية، ومدى التأثر بأفكار المستشرقين، وتنوع الثقافة واختلاف ضروبها بين الأديان واللغات والآداب والعلوم، وإعادة قراءة التراث، والتفريق بين المستوى الإلهى والمستوى البشرى من التراث، والأدب بين الإلزام والالتزام وغيرها.

ولعل كتاب الدكتور يوسف القرضاوى (الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة)[1] آخر المؤلفات التى وصلت إلينا فى هذا الشأن حيث يجيب الكتاب عن الكثير من الأسئلة عن الثقافة العربية، ويوصى بضرورة العودة إلى التراث، والغوص فى خضمه الزاخر؛ لإستخراج جواهره فى الثقافة البناءة. ونؤكد للقارئ أن النقاش فى هذا الموضوع مفتوح وممتد شريطة أن يكون نقاشاً حراً مستنيراً يضيئ آفاقنا الرحبة، ويؤصل فكرنا الحديث، وينمى لدينا الاعتزاز بالماضى والافتخار به، وعدم التخلى عنه فى غمرة الأمية الثقافية التى بدأت تستشرى بين كثير من المتعلمين، مما يجعل الثقافة العربية فى مأزق وأزمة حقيقية، حيث انصرف المتلقى إلى ألوان من الفنـون الهابطة

(١) نشر مكتبة وهبة بالقاهرة عام ١٩٩٤م.

ولما كان عصر إسماعيل (١٨٦٣م – ١٨٧٩م) بعد عهدى عباس وسعيد، ظهرت الصحافة الشعبية (الأهلية)، بالإضافة إلى الصحف الأجنبية التى صاحبت تغلغل الأجانب فى الحياة الثقافية بمصر، وصدرت فى عهده ثلاث وعشرون صحيفة ومجلة منها جريدة الأهرام التى تعد من أقدم الصحف المصرية، وقام بتحريرها بعض الشاميين، وظهر العدد الأول منها فى الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٨٧٥م بمدينة الإسكندرية إلى أن انتقلت إلى القاهرة فى عام ألف وتسعمائة• وكان الشيخ محمد عبده ينشر فيها – وهو طالب بالأزهر – مقالات عن تطوير الفكر وإصلاح اللغة العربية، وتدريس العلوم العصرية، والعناية بالأزهر وتطويره، وتولى الرجل رئاسة تحرير الوقائع، فعمل على تطويرها بنشر المقالات التى تتناول شتى النواحى الإجتماعية والأدبية والسياسية•

وتوالى صدور الصحف والمجلات فى مصر والشام وبقية الدول العربية، وزادت مسمياتها وتوجهاتها فى القرن العشرين بصورة يصعب معها الحصر والاستقصاء خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن الذى تنوعت فيه الموضوعات، وأشكال الطباعة، وأساليب الكتابة، واختفت صحف ومجلات كثيرة كانت لها أصوات عالية ودعوات حرة جريئة، وعاد بعضها للظهور إلى جانب ماصدر جديداً لأول مرة• ويقى مع الزمن ما تصدى للمتغيرات السياسية والفكرية فى كثير من البلدان، قال أحمد شوقى:

لكل زمان مضى آية ••• وآية هذا الزمان الصحف

ثالثا: أبرز المجلات الثقافية:

[أ] المقتطف: واحدة من أقدم المجلات الثقافية العربية، وقد صدر العدد الأول منها في مايو ١٨٧٦م في بيروت، ثم انتقلت في عام ١٨٨٥م إلى القاهرة، واستمرت في الصدور شهريا ستة وسبعين عاما حتى توقفت في عام ١٩٥٢م، وأسسها يعقوب صروف وفارس نمر بعد تخرجهما من الكلية السورية الإنجيلية سنة ١٨٧٤م[1] وحصولهما على شهادتي البكالوريوس في العلوم، وبداية عملهما في سلك التدريس في الكلية ذاتها. وقد ارتأيا إصدار هذه المجلة بهدف نشر الثقافة العلمية والتعريف بعلوم الغرب الحديثة، وتيسيرها لأبناء الشرق، وصار هذا الهدف يتسع شيئا فشيئا حتى راح يشمل الفنون والآداب والديانات والعلوم الاجتماعية وغيرها، كما أن دورها التنويري في مجال الثقافة العلمية جعلها حريصة على التنديد بالمعتقدات الباطلة المبنية على الأوهام والخرافات.

ونعجب لدور هذه المجلة الذي اتسع غاية التوسع خلال رحلتها الطويلة؛ ليشمل العديد من الجوانب الأدبية والثقافية والفكرية، ونتابع عدداً قديما لهذه المجلة صدر في يناير ١٩٣٦م، فنراه قد خرج كاملا عن موضوع واحد هو المتنبي، ولكاتب واحد هو الأستاذ محمود شاكر، وقد نشر العدد كتابا كهيئته التي خرج عليها بالمقتطف يوم أن كتب محرر المجلة في صدر صفحاتها ما يأتي: ﴿هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل عدد صدر منذ ستين سنة إلى يومنا هذا، فهو في موضوع واحد، ولكاتب واحد.

(١) تحولت إلى ما يعرف اليوم بالجامعة الأمريكية في بيروت منذ عام ١٩٢٠م.

على حساب الآداب السامية والإبداعات الراقية مع التقدير الكامل لمحاولات الإحياء والبحث لتراثنا الخالد وثقافتنا الأصيلة الزاخرة.

أولا: جذور الفكر العربى الحديث:

لا ينبغى إغفال دور الأزهر وريادته للثقافة والفكر الدينى قبل مجيئ الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م، غير أن جهداً كبيراً للعلماء آنذاك قد انصرف إلى مقاومة حكم المماليك لما كان يمارسونه من سطوة على الشعب تحت ظلال الخلافة العثمانية. وكانت المناهج الرسمية في الأزهر مقتصرة على العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه، وعلى العلوم اللغوية أو اللسانية مثل النحو والصرف والبلاغة، وكان بعض العلماء يتجاوزون حدود المعارف التقليدية، فيجعلون من بيوتهم منازل لدراسة العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية مثل الشيخ حسن الجبرتى والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى[١]، على أن هذا التوجه لم يصرف العلماء عن دراسة علوم الكلام والعقائد والفلسفة والآداب الشعبية التى تُعْنَى بالقصص الدينى كسير بعض الانبياء ومشاهير الأولياء، وحياة الأبطال التاريخيين مثل عنترة والظاهر بيبرس وغيرهما[٢].

وعرفت مصر الطباعة والصحافة فى أعقاب الحملة الفرنسية، ولم يعط «محمد على» الأزهر حقه من المتابعة والتطوير، إذ حرص على إنشاء مدرسة للهندسة وأخرى للحربية مستعينا بالنموذج العثمانى والحضارة الأوربية، فقد

---

(١) صاحب كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار).

(٢) يراجع كتاب (تاريخ الفكر المصرى الحديث) للدكتور لويس عوض، طبع دار الهلال.

استقدم الباحثين والمتخصصين من الدول الغربية لبعث النهضة في مصر، وأرسل العديد من البعثات العلمية إلى أوربه لكي يتزود المصريون بالعلوم والمعارف من منابعها الأصلية، مع الأخذ في الاعتبار كل ما أحدثته حملة نابليون من تأثير في كافة ميادين الفكر والأدب وسائر نشاطات الحياة. ولم يخفت صوت الأزهر، فقد انصرف تلاميذ (الشيخ حسن العطار والشيخ أحمد الخشاب والشيخ عبد الرحمن الجبرتي) إلى الفكر الجديد، وبخاصة رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١م – ١٨٧٣م) الذي كان واحداً من المثقفين المصريين الذين رأوا أن الثقافة التي يحصلونها في الأزهر تحتاج إلى المزيد الذي يتناسب مع عصرهم، ولذلك لا ينبغي إغفال النشاط الثقافي لرفاعة بصفة خاصة في تاريخ الفكر المصري الحديث[١]، ونما الفكر العربي، وصارت له أغصان وأوراق وثمار عبر رحلته الطويلة مع التطور والتجديد.

ثانيا: بدايات الصحافة العربية:

لم يكن للصحافة دور يذكر في إبراز الفكر فضلا عن تأصيله في عهد (محمد علي) الذي اقتصر نشاطه على إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في ديسمبر ١٨٢٨م والتي كانت بمثابة دعاية له، حيث تنشر فيها الموضوعات الرسمية باللغة العربية واللغة التركية الركيكة (في أول عهدها)، وتوزع على موظفي الحكومة ممن يتقاضون شهرياً ما مقداره عشرة جنيهات فأكثر؛ حتى يدفعوا ثمن الاشتراك فيها.

---

(١) تراجع جهود رفاعة رافع الطهطاوي في التطوير والتمدن من خلال الاطلاع على كتابه (مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية).

أما الموضوع فأبو الطيب المتنبي، وأما الكاتب فالأستاذ محمود محمد شاكر• وقد رأى محرر (المقتطف) في العناية بالاحتفال بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي، وفي طراقة المباحث التي انطوت عليها رسالة الأستاذ شاكر، ما يسوغ له أن يجعل هذا العدد بمثابة كتاب يرفعه: إلى أبي الطيب المتنبي[1] وأذكر القارئ بأن الكتاب المذكور نال به الشيخ شاكر جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٤م•

[٢] الهلال: مجلة ثقافية متميزة، أسسها جورجي زيدان بمصر، وطبع العدد الأول منها في سبتمبر عام ١٨٩٢م، وصدرت لمدة محدودة نصف شهرية إلى أن عادت لسيرتها الأولى، وبدأت بخمسة أبواب في اثنتين وثلاثين صفحة، ثم زادت الأبواب والأوراق والكُتّاب زيادة تشهد على تطورها خلال رحلتها الطويلة التي زادت عن مائة عام•

وقد احتفظت بمكانتها لدى القارئ العربي، ولم تتخلف عن أداء رسالتها واستمرار تدفقها، وتنوع موضوعاتها، وتعدد أنشطتها للصغار والكبار، وللرجال والنساء ما بين كتب مؤلفة مهداة وروايات شهرية عربية، ومترجمة، وكتابات ناقدة لمبدعين ورواد من الشرق والغرب، ومن مصر وخارجها، وقد استهل جورجي زيدان العدد الأول بكلمة لخّص فيها خطة المجلة وغايتها فقال: «لابد للمرء فيما يشرع من فاتحة يستهل بها وخطة يسير عليها، وغاية يسعى إليها ...

(١) المقتطف عدد يناير ١٩٣٦م، وصدر كتاب المتنبي لمحمود محمد شاكر عام ١٩٧٦م عن مطبعة المدني (في سفرين)•

أما الغاية التي نرجو الوصول إليها فإقبال سواء الناس على مطالعة ماتكتبه، ورضاؤهم بما نحتسبه، وإغضاؤهم عما نرتكبه فإذا اتيح لنا ذلك كنا قد استوفينا أجورنا فننشط لما هو أقرب إلى الواجب علينا. أمّا موضوع مجلتنا فمقسوم إلى خمسة أبواب ...»[1] ثم ذكرها وهى باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال وباب المقالات وباب الروايات وباب تاريخ الشهر وباب للمنتخبات من الأخبار والتقريظ والانتقاد وغير ذلك.

وقد أعدت بحوث ودراسات كثيرة عن رسالة الهلال ودوره في التثقيف والتنوير عبر رحلته الطويلة، كما عقدت ثلاث ندوات في مناسبة العيد المئوى لهذه المجلة العملاقة التى تجاوزت المائة عام ولازالت شابة فتية يقبل عليها القراء من كل مكان تصل إليه وتحل به، وقد صدر عدد تذكارى فى أكتوبر عام ١٩٩٢م، ومما جاء فى التقديم له: «يطالعك (الهلال) الذى بين يديك بطائفة مختارة من المقالات والموضوعات التى نشرها فى مائة عام، ويهديها إليك فى عيده المئوى لعلك تعيش معه تلك الأعوام الحافلة بتواصله الفكرى، وتنوعها وتطورها وسيرها دائما إلى الأمام.

إن مقالات هذا العدد الخاص من (الهلال) تبدو لنا الآن كأنها مكتوبة لتوها، فهى تتحدث عن أمور مازلنا نتحدث فى الكثير منها، وهى تتطلع إلى المستقبل وتستشرف آفاقه بنفس اللهفة التى تملأ الأجيال الجديدة»[2].

(١) العدد الأول من الهلال ص٢، ص٣، وكتاب المجلات الأدبية، لعلي شلش ص٢٩، ص٣٠، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٨م.
(٢) الهلال السنة ١٠١ أكتوبر ١٩٩٢م، ص ١٠.

وشاهد القارئ لهذا العدد مقالات حافلة للعقاد وطه حسين وخليل مطران وفريد وجدى وزكى مبارك ومعروف الرصافى وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الباقورى والآنسة مى زيادة وإميل زيدان وكأنهم مازالوا أحياء بأقلامهم على صفحات الهلال.

[٣] المـنـار: يأتى الحديث عن المنار مرتبطا بمجلة العروة الوثقى، التى أصدرها فى باريس جمال الدين الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده، وظهر العدد الأول منها فى منتصف جمادى الأولى عام ١٣٠١هـ (١٨٨٤م)، واستمرت مايقرب من تسعة أشهر، طبع منها ثمانية عشر عدداً، وتحدث عنها عبد القادر المغرى فقال: «كانت العروة الوثقى وأساليبها الكتابية، أساسا لنهضة جديدة فى الإنشاء العربى وتجديد الأساليب الكتابية العربية. أما المطالب والموضوعات الاجتماعية والانتقادية والأخلاقية فحدث عن كثرتها وفائدتها، وأما الشؤونات السياسية فهى بيت القصيد من الأغراض التى أنشئت لأجلها العروة»[١] وكتب عنها الدكتور محمد جابر الأنصارى، فقال: «إنها ظاهرة ولدت فى المنفى بفعل كوارث وهزائم مصيرية فى الوطن وأنها ولدت «ملتزمة» تضع العلم والفكر والبحث فى خدمة الأهداف العامة، وتنتمى لجماعة إصلاحية متعددة الفروع، شمولية الأهداف، تحمل اسمها وتعبر عن رسالتها، وإنها ولدت توحيدية وحدوية المنزع تخاطب الوطن الكبير عربياً كان أم إسلامياً فى أبعد امتداداته وآفاقه»[٢].

---

(١) كتاب العربى يوليو ١٩٨٤م ص٧٤ نقلاً عن كتاب (جمال الدين الأفغانى) لعبد القادر المغربى ص١٣، ص١٤.

(٢) كتاب العربى يوليو ١٩٨٤م ص٧٥ من بحث للدكتور/ محمد جابر الانصارى بعنوان (العروة الوثقى والمنار - التوفيق بين الأصالة والمعاصرة).

ولم تتمكن العروة الوثقى من الاستمرار فقد أجهضت فكرتها لخلاف نشب بين الأفغاني وتلميذه، أو لانصراف الأول عن العمل الفكرى إلى النشاط السياسي فضلا عما أحدثته الأزمة المالية بها.

وكان تأثير العروة الوثقى على الشيخ محمد رشيد رضا كبيرا، إذ صار كالوريث الشرعي لها وتيسرت له السبل فأصدر مجلة المنار بالقاهرة فى منتصف مارس عام ١٨٩٨م والتى كانت تمثل ... «الاستمرار الأقرب الى روح العروة ومنطلقاتها من واقع العلاقة الشخصية والفكرية الحميمة، إلتى نشأت بين الشيخ محمد عبده ورشيد رضا الذى كانت له صلة مبكرة بالأفغانى أيضا وبتطلعاته السياسية غير أنها صلة حجبها التأثير المتزايد لمحمد عبده على صاحب المنار»[١] فالمنار مجلة إسلامية، سلفية، إصلاحية، ذات تأثير فعال فى الحفاظ على وحدة الثقافية العربية والتصدى لتيار العلمانية، وقد استمرت فى الصدور بانتظام شبه كامل إلى أن توفى رشيد رضا فى عام ١٩٣٥م بعد أن طبع منها مايقرب من ثلاثمائة عدد وقد تأثر الرجل - رحمه الله - بابن تيمية بحكم نشأته الحنبلية، وبالدعوة الوهابية فى الجزيرة العربية، لأن شيخها (محمد بن عبد الوهاب) متأثر هو الآخر بابن تيمية كما تأثر حسن البنا برشيد رضا، وعرضت المجلة للعديد من القضايا، وساندت حقوق المرأة التى أثارها قاسم أمين فى كتابه (تحرير المرأة). وقادت الهجوم ضد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق. وقد كتب الشيخ محمد عبدة عن المنار وصاحبها فقال:

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢.

لقد أسهمت الرسالة بكتابها ومفكريها فى إثراء الفكر وتهذيب الوجدان، وتطوير الأدب، والانطلاق بالنقد ومدراسه إلى آفاق واسعة مليئة بالطموحات والآمال.

إن المتصفح لكتاب (وحى الرسالة) للزيات سيصل من خلاله إلى التعرف على رسالة هذه المجلة التى دافعت عن الأزهر واللغة الفصحى وبلاغة الوسول، والنقد الادبى الهادف وغيرها من القضايا التى نعاها وحزن الزيات عليها فى مقالته بالعدد الأخير (الرسالة تحتجب) ونشرت فى الجزء الرابع من كتابه (وحى الرسالة).

«إنها كانت جامعة حرة، عملت على تقريب الأدباء إلى عصرهم بمنجزاته الكبيرة فى العلوم والفنون، كما عملت على تقريبهم إلى بيئتهم بمشكلاتها وتحدياتها الهائلة· وفى جامعة الرسالة الحرة هذه – إذا صح التعبير – اتصلت أجيال الأدباء على مستوى الوطن العربى الكبير· وتفاعلت وعبرت عن همومها، ونقلت آثاراً من اللغات الأخرى، ووصلت القديم بالجديد»[1]·

فمجلة الرسالة التى تحدثت عنها وعرضت لها بعض الأطروحات الجامعية ليس من اليسير بيان دورها في هذا العرض الموجز خاصة أنها كانت متعددة الموضوعات كروضة دانية القطوف فى المقال والنقد والقصة والرواية والمسرحية والقصة القصيرة وأدب الرحلات والسيرة الذاتية والشعر بمختلف ضروبه وألوانه والتعريف بالكتب وعرض اليوميات وتقديم التحقيقات، وطرح

(١) انظر المرجع السابق، ص١٤٧.

الأراء، ونقد المجتمع والدفاع عن المخلصين الأحرار وغير ذلك مما ذكرته كتب الصحافة والمجلات.

[٥] الثقافة : مجلة أسبوعية للإجتماع والآداب والعلوم والفنون، صدر العدد الأول منها فى الثالث من يناير عام ١٩٣٩م، وكان آخر أعدادها فى الخامس من يناير عام ١٩٥٣م، أى أنها صدرت خلال أربعة عشر عاما، وقد أنشأتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بإشراف الأستاذ أحمد أمين، تلك اللجنة التى كونها فى عام ١٩١٤م، أما رئيس تحرير الثقافة فكان الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف، وكان بعض أعضاء اللجنة يشرفون على تحريرها خاصة فى السنوات الأخيرة التى شغل أحمد أمين عنها، مثل محمد فريد أبى حديد وزكى نجيب محمود[١].

أما فيما يتصل بمقالات أحمد أمين فى الرسالة ثم فى الثقافة فتميل إلى اللون الاجتماعى والاتجاه الإصلاحى، وقد تكون من هذه الكتابات رصيد قيم أتم به أجزاء فيض الخاطر، واختار منه ماضمه إلى كتابه تكوّن زعماء الاصلاح فى العصر الحديث وغيره؛ وكان قد استعان بعمله مدرساً فى كلية الآداب فأخرج بعض كتبه وهى فجر الإسلام، وضحى الإسلام (ثلاثة اجزاء) وظهر الإسلام (أربعة أجزاء)، والأجزاء الأولى من فيض الخاطر. وكان الأدباء والنقاد والمفكرون من حملة الأقلام حريصين على جمع مقالاتهم، وتحويلها إلى كتب سواء أكان ذلك مما نشر فى الرسالة والثقافة أم فى غيرهما.

(١) انظر كتاب (دليل المجلات الأدبية) د. على شلش ص ١٢، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٨٥.

«إن الله بعث بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتي ومزيدا من عمرى، وإن فى نفسى أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو اكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلنى عنها وهو يقوم ببيانها الآن كما اعتقد وأريد»[1]، وقد كانت هذه المجلة – عند ما كان محمد عبده مفتيا للديار المصرية –لسان حال حركته الإصلاحية والمعبرة عما يصدر من دار الإفتاء.

وهكذا أسهمت المنار فى الدور التنويرى الإصلاحى الذى نهضت به المجلات الثقافية فى مرحلة كان الصدام فيها عنيفاً بين تيار العلمنة وتيار الفكر السلفى الإصلاحى مع انتماء التيارين لجيل الشيخ محمد عبده، ذلك الرجل الذى اتجه إلى المزج بين الأصالة والمعاصرة.

[٤] الرسالة: مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، أصدرها أحمد حسن الزيات فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٣٣م بمساعدة لجنة التأليف والترجمة والنشر، وتوقفت مع آخر عدد فى الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٣م وبدأت نصف شهرية الى الثانى من ديسمبر عام ١٩٣٣م، ثم استمرت فى الصدور أسبوعية باقى حياتها الطويلة التى استمرت أكثر من عشرين عاما، طبع منها (١٠٢٥) عدداً[2]، وكان الناس يستقبلونها يوم الأحد قبل تاريخ صدورها المحدد وهو يوم الإثنين من كل أسبوع.

---

(١) الكتاب السابق ص ١٢ من تعقيب للدكتور محمد يوسف نجم.

(٢) انظر المجلات الأدبية فى مصر، تطورها ودورها، د. على شلش ص ١٢١.

ولقد شغل الزيات بالرسالة، وتفرغ لها تماما، حيث انفصل بها عن لجنة التأليف والترجمة والنشر، وكان يكتب لها الافتتاحيات والمقالات المختلفة التى كونت كتبه الأساسية مثل (وحى الرسالة) وفى (ضوء الرسالة) و(دفاع عن البلاغة)، وكذلك اتسم معظم انتاجه بشكــل المقالة وهو – كما يقال – (شكل عميق الجذور فى التراث العربى)[1] ومن فرط اهتمامـه بها وتفرغه لها كان يعقد فى مقرها ندوة عصر الاثنين وهو يوم صدورها يشارك فيها كثير من كتابها وقرائها.

وتميزت الرسالة بكثرة كتابها وتنوع موضوعاتها، وإخلاصها للوطن، ودفاعها عن الحق وتصديها للخيانة والزيف، والتقى عليها، وأسهم بالكتابة فيها عمالقة الأدب والنقد والبلاغة والفلسفة والفكر من مصر وخارجها فى مرحلة من عمر الأمة العربية، كان الصراع فيها محتدماً بين أنصار التراث ورواد المعاصرة ممن يتحمسون للأخذ عن الثقافة العربية. وفجر كتابها الكثير من المعارك والخصومات الأدبية والنقدية كتلك التى دارت على صفحاتها حول الأدب المهموس بين الدكتور محمد مندور وعباس العقاد وسيد قطب، وشاركتها مجلة الثقافة فى تناول مثل هذه القضايا إذ عرض أحمد أمين لموضوع اختار له عنوان (جناية الأدب الجاهـلى على الأدب العـربى) وكتب فيه عدة مقالات بالثقافة، فما كان من زكى مبارك إلا أن ردّ عليه بسلسلة أطول من المقالات بالرسالة، جعل عنوانها (جناية احمد امين على الأدب العربى).

(١) المرجع السابق ص ١٠٧.

وتقترب الثقافة من الرسالة فى كثير من التوجهات، وفى طريقة الإخراج، كما أن بعض الكتاب كانوا يشاركون فى الكتابة بالمجلتين، وإن كانت الرسالة لم تتأثر بالحرب العالمية الثانية مثل تأثر الثقافة التى جاهدت لها لجنة التأليف حتى لا تنتقل لها عدوى التوقف الذى شمل كثيراً من المجلات، وإن كانت قد أضيرت بالحرب إذ لم تكن قد استقرت ورسخت مثل الرسالة، وتمثل ذلك فى عدم انتظام أبوابها، وتقلص نصيب الأدب بالنظر إلى الموضوعات الأخرى، لكن الدارس الفاحص يستطيع الوصول الى بعض الخصائص التى تميز كل واحدة من المجلتين عن الأخرى، فما يقال عن الرسالة ينطبق فى الكثرة على الثقافة والعكس صحيح، ولما لا؟ وكان أكثر الكتاب يشاركون فى المجلتين كما سبق القول، فكل واحدة منهما جامعة حرة للأدب والنقد والثقافة والعلوم.

وقد نشر فى الثقافة الشعر لأبرز الشعراء مثل إبراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل وغيرهما ونشر أبو حديد أربع روايات تاريخية مسلسلة وهى المهلهل سيد ربيعة والملك الضليل وزنوبيا وسلامة القس، وكتب طه حسين سلسلة من المقالات النقدية جعل عنوانها (مع أدبائنا المعاصرين)، وشارك سيد قطب بالكتابة عن دلالة الألفاظ على المعانى، كما قدمت فيها مجموعة من السير حسب نظام المنهج التاريخى، وكانت الثقافة تميل بحكم خبرات كتابها إلى التأصيل والتنظير فى ضوء الخبرة والتخصص، ككتاب (نماذج بشرية) وكتاب (فى الميزان الجديد) وغيرهما من مقالات الثقافة تلك المجلة التى كانت تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ثم الاثنين من يناير عام ١٩٤٩م.

ولما توقفت الثقافة ولحقت بها الرسالة، كتب أحمد حسن الزيات ينعى هذا التوقف فى مقالة بعنوان (الرسالة تحتجب) نشر في آخر عدد بالرسالة وطبع في الجزء الرابع من كتاب (وحى الرسالة) وجاء فيه:

«تموت الرسالة اليوم فى ضجة من أناشيد النصر فى مصر، وأهازيج الحرية فى السودان، فلا يفطن إلى نزعها هاتف، ولا يصغى إلى أنينها منشد! ومن قبل ذلك بشهر ماتت أختها (الثقافة) وكان الناس يومئذ فى لهو قاصف من مهرجان التحرير، فلم تبكها عين قارئ، ولم يرثها قلب كاتب! كأن عشرين سنة للرسالة، وست عشرة سنة للثقافة قضتاها فى خدمة الأدب والعلم والفن والإسلام والعروبة لم تهيئ لهما مكانا فى الوجود، ولم تنشئ لهما أثراً فى الخواطر! وكأن هاتين المجلتين أنشأتا فى أدب العصر مدرستين نَشِئ فيهما جيل، وابتدأت بهما نهضة، واجتمعت عليهما وحدة، لم تكونا إلا ورقا مما ينشر فى الطريق للإعلان يجيئ به الموزع وتذهب به الريح[1]».

لقد حركت الثقافة كثيراً من المياه الراكدة فى بحار الأدب والفكر والإبداع بكتابها العظام وشعرائها المتميزين، وقصاصيها المبدعين، ومفكريها الذين أعلوا شأن اللغة العربية الفصحى بمصر وسائر أرجاء الوطن العربى.

(١) وحى الرسالة جـ٤ ص ١٠٢، ١٠٣، طبع دار نهضة مصر – الطبعة الثانية.

[٦] المنهل: مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة، أسسها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وصدر العدد الأول منها في ذي الحجة سنه ١٣٥٥هـ (فبراير ١٩٣٧م)٠وهي أول مجلة أدبية تصدر بالمملكة العربية السعودية (في مدينة جدة) وكانت في بداية صدورها غير شهرية إلى أن انتظمت بعد ذلك٠

ويرأس تحريرها الآن الأستاذ نبيه عبد القدوس الأنصاري، وتنشر العديد من المقالات والبحوث والتحقيقات عن الأدب والنقد والثقافة والفكر وتضم أقساماً عن الإسلاميات والسياحة وفلسطين والشعر والمرأة واللغة وعالم الكتب بالإضافة إلى المتابعات الجادة لما يعرض فيها من قضايا وأراء ومقالات الافتتاح ومسك الختام مما يجعل لهذه المجلة دوراً رائداً ومتميزاً في تنمية الوعي الثقافي عند القارئ العربي٠ وقد رجعت إلى معظم أعدادها وأنا بصدد الكتابة عن فن الرواية في المملكة العربية السعودية، وتأكد لدي أن معظم الرواد والمثقفين العرب قد أسهموا بالكتابة فيها، خاصة في عهد منشئها الأنصاري، كما تحرص المجلة على التغطية الثقافية لكل أرجاء الوطن العربي والإسلامي، وتعرض للعديد من القضايا الفكرية والثقافية والعلمية، وتخصص أعدادا متميزة لبعض الموضوعات مثل الهجرة واللغة والتراث والحضارة (العدد ٤٤٦) والمسرح العربي (العدد ٤٤٧) والدعوة والدعاة (العدد ٤٤٩)٠ والحج (العدد ٥٣١)، كما تنشر في عدد ذي الحجة من كل عام كشافا بالكتاب، والموضوعات التي عرضت المجلة لها على مدار السنة٠

[٧] العربي: مجلة عربية مصورة شهرية جامعة، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت للوطن العربي ولكل قارئ للعربية، في العالم، وهذا هو التعريف الذي يتكرر ذكره مع عنوان المجلة في كل عدد جديد.

وكانت العربي قد ظهرت قبل أن تنال الكويت استقلالها[١]، وصدر العدد الأول من العربي في شهر ديسمبر عام ١٩٥٨م (جمادى الأولى عام ١٣٧٨هـ).

ولقد حرص الكويتيون - قبل إصدار العربي - على التخطيط الدقيق لهذه المجلة حتى لا تبدأ قوية ثم تذوي وتضعف كشأن الكثير من الصحف والمجلات، فاستشاروا أهل الخبرة في ذلك الوقت، وسافر بعض رجالهم إلى عدة بلدان عربية، وإن استقر الرأي على إسناد رئاسة التحرير إلى الأستاذ الدكتور أحمد زكي الذي ترك له الرأي في اختيار مساعديه، فبدأت المجلة بالعديد من الكفاءات المصرية في ذلك الوقت.

وكتب أحمد زكي في العدد الأول، فقال:

«إن مجلة العربي لهذا الوطن العربي من الخليج شرقاً إلى المحيط غرباً ومن حلب شمالا إلى منقلا[٢] وجوبا جنوبا».

---

(١) ظفرت الكويت باستقلالها عام ١٩٦١م.

(٢) وردت في المرجع الذي اعتمدت عليه وهو المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة في في بحث للأستاذ كامل زهيري ص ١٦٩، (نقلا عن العدد الأول للعربي) وردت الكلمة (مكلا) وأظنها (منقلا) كما ذكرت.

وهذه إطلالة عن أول عدد للعربي كشفها كامل زهيري قائلا (وقد نشر (أي هذا العدد) لعباس العقاد عن صلاح الدين الأيوبي، والقومية العربية كما ينبغي أن تفهم لمحمد أحمد خلف الله، والتطور والثورة للدكتور كامل عياد أستاذ كلية التربية بالجامعة السعودية، والتبادل الثقافي بين الشرق والغرب للدكتور جميل صليبا، ويناقش قضية نقل التراث الحضاري، وهل ساهم العرب في الحضارة العالمية أم اقتصروا على التقليد، ويجمع العدد بين العلوم عن الزيت والذرّة وأخبار العلم والعلماء ومرور مائة عام على مولد مكتشف الفيتامينات، وفي الطب عن السرطان وطبيب الأسرة، وأخبار الطب والأطباء، ويجمع بين القصائد الشعرية والقصص، ويضيف الأستطلاعات المصورة – ولوحة الشهر والإذاعة العربية ولغتها لفاروق خورشيد والمسرح ومرآة الرأي العربي، ومرآة الرأي الغربي)[1].

وقد طبع من هذا العدد ثلاثون ألف نسخة نفدت جميعها منذ الأيام الأولى، واستمرت رئاسة أحمد ذكي للتحرير إلى العدد (٢٠٤) تولى بعده الأستاذ أحمد بهاء الدين من العدد (٢٠٥) إلى العدد (٢٨٤) يوليه ١٩٨٢ ونطالع ابواب أحد الأعداد في هذه الحقبة الثانية (عهد بهاء الدين) العدد (٢٥١) أكتوبر ١٩٧٩م ونراها على النحو الآتي:

حديث الشهر، والإسلاميات، وعروبة، وشخصيات، واستطلاعات، والطب، والعلوم والتربية وعلم النفس، والأدب وفيه قصيدة للشاعر صلاح

(١) السجلات الثقافية بحث للأستاذ كامل زهيري، ص ١٧٤ في كتاب العربي المذكور سلفا.

عبد الصبور، وقصة ليوسف القعيد، والفلسفة والتاريخ والفنون، وكتاب الشهر، والمنوعات.

ثم تولى الدكتور محمد الرميحي رئاسة التحرير من العدد (٢٨٥) حتى الآن (أبريل ١٩٩٨).

وقد صدر في عهده العدد (٣٠٢) (يناير ١٩٨٤م) الذي احتفلت فيه المجلة بمرور ربع قرن على صدورها، وجاءت أبرز أبوابها على النحو الآتي: قضايا عامة – عروبة وإسلام – الغذاء – منتدى العربي – طب وعلوم – آداب وفنون – تاريخ وأشخاص – استطلاعات مصورة – اجتماع – أبواب ثابتة.

ونلاحظ أن الملامح العامة للمجلة ثابتة خلال مرحلتها الطويلة التي بلغت أربعين عاما أو ستبلغها في ديسمبر القادم (١٢/١٩٩٨م) دون النظر إلى حقبة التوقف أثناء الغزو العراقي للكويت.

وإن اختلفت الأبواب والقضايا بين رئيس تحرير وآخر وتبعا للمرحلة الزمنية التي عاشتها المجلة، وما حدث فيها من متغيرات في العديد من قضايا الثقافة والفكر والسياسة والإبداع.

وكانت المجلة ولازالت معنية بقضايا الثقافة العامة أكثر من عنايتها بقضايا الإبداع الأدبي والفني.

فالعربي مجلة ثقافية تحرص على طرح الآراء من المنظور الواسع للحرية التي يجب أن تتمتع بها الصحف والمجلات، ولا تعاني من مشكلة

التمويل التى تتوقف بسببها الكثير من المجلات، فبدون المال ماكان للعربى أن تستمر بالكيفية التى يشاهدها الناس عليها، وهى تمثل تجربة فريدة حيث تمولها الدولة دون أن تتدخل فى موضوعاتها والقضايا التى تطرحها للرأى، كما أنها تتجنب الخوض فى الكثير من الأمور التى تثير الحكومات العربية، وذلك بالميل إلى النزاهة والتجرد والتعبير عن الفكر والأدب والفن وسائر الموضوعات التى تجذب القارئ والذى بدونه تتحول أية مجلة إلى ركام من الورق، ولكل هذه الأمور كانت العربى ولازالت من أكثر المجلات شهرة وانتشاراً فى الوطن العربى، والمقدمة فى نطاق الثقافة والمعرفة وتقنية الطباعة والتصوير٠

(٨) ويتابع القارئ العربى العديد من المجلات الثقافية التى تصدر فى معظم البلدان العربية وبعض الدول الأجنبية فتطبع بمصر هذه المجلات (فصول وهى مجلة للنقد الأدبى – وإبداع – المسرح – القصة – الشعر – أخبار الأدب – أدب ونقد – مجلة مجمع اللغة العربية – مجلة الأزهر – الشباب – حريتى – المصور – آخر ساعة) وغيرها٠

وتطبع فى السعودية هذه المجلات (الفيصل – القافلة – اليمامة – اقرأ – الحرس الوطنى – المجلة العربية) وغيرها٠

كما تطبع فى الكويت (مجلة الكويت – عالم الفكر) وغيرها٠ ومثل مجلة الدوحة التى تصدر فى قطر، وغيرها٠

رابعاً: تأصيل الفكر والأدب من خلال المجلات الثقافية:

تعرض المجلات الثقافية لكثير من القضايا التى يتحاور حولها ويتأثر بها أغلبية المتعلمين من ذوى الاختصاصات الفكرية والثقافية سواء أكان ذلك من خلال المقال أو التحقيق أو الخبر أم من خلال النص الإبداعى المتميز.

ولاشك فى أن الدور المنوط بالمجلات الثقافية قد تأثر إلى حد كبير فى السنوات الأخيرة لأسباب عديدة لعل منها انصراف المتلقى إلى أجهزة (التلفاز والحاسوب) وشبكة المعلومات والاتصالات الدولية (الانترنيت) وابتعاد كثير من المثقفين عن مداومة القراءة التى لم تعد أهم وسيلة للتثقيف فى الوقت الحاضر، وليست الآن بمثل ماكانت عليه فى النصف الأول من القرن العشرين.

ويحرص كثير من الكتاب من خلال المجلات الثقافية على تأكيد أن اللغة العربية «هى وعاد الفكر العربى، وعنصر القربى والتفاهم الروحى والفكرى بين العرب، والقاعدة الصلبة للكيان القومى، فإن دعمها وإغناءها وتحويلها إلى لغة التعبير الشامل جزء أساسى من عروبتنا، ومن تميزنا الحضارى، كما أن التصدى لأية مؤامرة تنال من مكانتها الثقافية واجب على كل مثقف»[1].

وقضية اللغة العربية، من أبرز القضايا الثقافية والفكرية التى عرضت لها المجلات العربية، عبر تاريخها الطويل، ونطالع بعض الأعداد من مجلة أنشأها إبراهيم مصطفى (ناظر دار العلوم) وحسن رفقى (طبيب) وذلك فى سنة ١٨٨٧م باسم (الصحة) .. «للاهتمام بالأخبار الطبية والأنباء والمقالات الأدبية والعلمية، ثم أطلقا عليها اسم (الأزهر)»[2].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٢) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، د. سامى عزيز ص ٢٩١، نشر دار الكتاب العربى، ١٩٦٨م.

وتعجب عندما نقرأ عن انتقال امتياز صحيفة الأزهر إلى المهندس الإنجليزى (ويلكوكس) (المدير العام لإدارة الخزانات) فى ذلك الوقت أما العجب فلأن اسم الصحيفة يدل على أنها لابد أن تتحدث عن الأزهر أو عن الإسلام أو عن اللغة العربية لكن الرجل لم يلبث أن تحول بها إلى هذا المجال الأخير، وجعلها حلقة .. «من حلقات الدعوة إلى استخدام العامية وإحلالها محل الفصحى فى التعليم والأدب»[1].

وقد أثارت دعوة (ويلكوكس) إلى ترك الفصحى والكتابة بالعامية همة الكثيرين، فردّ عليها عبد الله النديم فى مجلة «الأستاذ» ثم تناول القضية بتوسعة فى مجلة «التنكيت والتبكيت»، وتحولت إلى مناظرة طويلة بين كتاب مصر.

وكتب الدكتور أحمد زكى فى الهلال عدد أكتوبر ١٩٤٤م مقالاً بعنوان «بين العامية والفصحى» وكان بحثه عن الألفاظ وأصولها، وأرجع الكثير منها إلى جذوره العربية، وإن انحرفت العامية به إلى غير ما وضع له، ودعا إلى استعمال الألفاظ السهلة الميسرة، قال:

«إننى لا أدعو إلى العامية، ولكن أدعو إلى توسيع الفصحى حتى تشمل أكثر مافى العامية الحاضرة من سلالات عربية أخنى عليها الزمان بضياع أنسابها»[2].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٢.

(٢) الهلال، العدد التذكارى (أكتوبر ١٩٩٢م) ص ٢٩٠.

وتشعب الكلام في هذه القضية – فيما بعد – وإن كان الكثيرون من المثقفين قد فهموا أبعادها ومستوياتها خاصة في أساليب القصة والرواية.

وأذكر أنني كنت واحداً ممن تعرضوا للنقد الجارح بسبب الدعوة إلى ضرورة الإلتزام بالفصحى في الكتابة الأدبية حتى لو كنا نلهج بالعامية أو نستمع إليها في أناشيدنا وأغانينا بسبب ماوقعنا فيه من تفريق بين لغة الأدب واللهجة العامية التي يفهمها جمهور الشعب.

وهذا يكمن دور المجلات الثقافية في تضييق المسافة بين العامية والفصحى والتوفيق بينهما، حتى تنشأ لغة واحدة، تأخذ من الفصحى سلامتها وبلاغتها وسموها، ومن العامية بساطتها وحيويتها، ذلك لأننا لا نرغب في صرف الشباب عن اللغة الفصحى بحجة أن العامية أسهل، ولانود أيضاً (كما يقول أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة) «فصل الأدب عن الدين، وقطع الحاضر عن الماضي، وعزل مصر عن العرب»[١].

كما ناقشت المجلات الثقافية العديد من جوانب الفكر، ولم تغفل عن بحث أصول المعرفة عند ابن سينا وعند غيره من الفلاسفة المسلمين، كما عرضت لاستلهام نظريات أرسطو في الفنون الأدبية والضروب والأشكال الفلسفية، وتعددت جوانب الاختلاف حول المذاهب الفكرية المعاصرة مثل الواقعية والرمزية والوجودية مع الحرص على تأصيل الفكر العربي والفلسفة الإسلامية التي بحثها وكتب عنها الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية، وغيره من الفلاسفة المعاصرين.

---

(١) وحي الرسالة، جـ٤، ص ١٢٢.

كما لم تتوقف المجلات عن الدعوة إلى إثراء الفكر وبحث الثقافة العربية والتفريق بين الدراسات الهادفة لعدد من المستشرقين وما يسمى بالغزو الفكرى الذى يتصل بالعقيدة الإسلامية، واستمر الإختلاف والجدل حول العديد من القضايا الثقافية والفكرية التى شغل الناس بها كثيراً•

خامسا: دور المجلات فى تطور الأدب والنقد:

لاشك فى أن المجلات الأدبية والثقافية كانت ولازالت حريصة على نشر الإبداعات المتميزة من شعر ونثر، بالإضافة لما تخصصه بعض المجلات من أعداد متميزة عن فن أو أكثر من الفنون الأدبية، أما المجلات الخاصة بهذه الفنون فلا تتوقف عن نشر النماذج الجادة لكبار الأدباء والنقاد، وللأقلام الشابة التى لم تنل حظها من الشهرة والذيوع•

لقد قامت المجلات بدور كبير فى الحفاظ على اللغة العربية، والتقريب بين أبنائها، وكانت المجلة نافذة مضيئة يطل منها المثقفون على إخوانهم العرب فى المواطن المختلفة، فكتب فى الهلال والرسالة والثقافة كثير من الرواد وأعلام الفكر من سوريا العراق والسعودية وغيرها• أما المنهل فكانت بداية موفقة للمجلات الثقافية بمنطقة الحجاز، وأسهم بالكتابة الأدبية والنقدية فيها، وفى مجلة العربى (بالكويت) كوكبة من أدباء مصر والشام والعراق•

وظهرت مجلة فصول فكانت نقلة حضارية متقدمة للبحوث والمقالات المتميزة فى مجالات الأدب والنقد غير أن عنايتها بالدراسات المعاصرة والمذاهب الجديدة وسباحتها فى بحار التأثر بالنقد الغربى وإخضاع الأدب للفكر

والمنطق العقلي والدراسات الرياضية قلل من درجة تفاعلها مع الأدباء والنقاد الذين لم يرغبوا في تجاوز ما ارتبطوا به من تراث القدماء وتطوير المحدثين.

ولا يتوقف بحث الإبداع والتجديد في الأدب والنقد على المجلات الثقافية المتخصصة بالفنون الأدبية، أو التي تجمع بينها وبين المعارف العامة مثل العربي (بالكويت) وإنما يأتي بحث ذلك ودرسه أيضاً في المجلات الدينية مثل الأزهر (بمصر) والعسكرية مثل الحرس الوطني (بالسعودية) والعلمية مثل القافلة (بالسعودية).

وتعددت فنون الأدب ونقده التي أبرزتها وطورتها المجلات، ويأتي في مقدمتها (المقال) إذ أن كل مجلة تبدأ بحديث افتتاحي يكون مدخلاً للقارئ يتعرف به على التوجه الذي يمثله رئيس التحرير، وجماعة الكتاب الدائمين، وبيان مايهم الساحة الثقافية في بيئة المجلة وزمن صدورها.

والمقال فن قديم شهد الأدب الحديث تطويراً وتجديداً له من خلال الصحافة، وقد جمع كثير من الأدباء والنقاد مقالاتهم في كتب متداولة مثل أكثر مؤلفات طه حسين وعباس العقاد ومحمد حسين هيكل ومصطفى صادق الرافعي وعبد العزيز البشري وزكي مبارك وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ومحمد مندور وسيد قطب ومحمود شاكر وأحمد زكي وبنت الشاطئ وزكي نجيب محمود وغيرهم.

ومن الكتب التي قدمت في شكل المجلات الثقافية (وحي الرسالة) للزيات (أربعة أجزاء) وهو مقالات قال عنها «فصول في الأدب والنقد والسياسة

والاجتماع والقصص»، وإن كان لا يخفى على القارئ لها مافيها من شمولية أقرب إلى النقد العام الذى لا يتوسع فيه صاحبه فى طرح الأراء، فضلاً عما يغلب عليها من خصائص المقالات الصحفية التى تعالج القضايا الثقافية والإجتماعية العامة.

أما (فيض الخاطر) لأحمد أمين (عشرة أجزاء) فهو مجموعة من المقالات الأدبية والإجتماعية التى نشرت فى الرسالة والثقافة، وإن كانت هذه تختلف عن تلك (السابقة) من وجوه كثيرة فى مقدمتها ميل هذه إلى التوسع، واتباع المنهج العلمى والعناية بالأفكار، والإرتكاز على التراث ونقده وتمحيصه وبحث القضايا الإجاعية والعقلية والبساطة اللغوية، وفى هذه المناسبة لا أنسى – ما حييت ماكان يوصينى به الدكتور/ محمد رجب البيومى حول ضرورة القراءة الفاحصة لهذا السفر المتميز لأحمد أمين.

أما المقالة النقدية للفنون الأدبية فكانت قاسماً مشتركاً بين غالبية الرواد فى مصر وخارجها، وقد طالعنا كثيراً مما نشر فى الهلال والسياسة والثقافة والمنهل وغيرها عن نقد الشعر والنثر وما أثير على مئات الصحفات من معارك نقدية لازال الناس يتحدثون عنها بكل تقدير وإجلال، فكتاب (على السفود) يشهد بعض مظاهر الصراع بين الرافعى والعقاد من خلال المقالات التى نشرها الرافعى أولاً فى مجلة العصور الغراء.

ومن كتب النقد التى كانت ثماراً يانعة لما نشر فى المجلات الثقافية (حديث الأربعاء) لطه حسين، وقد نقل جزاءه الثانى والثالث بعض ما أثير من عراك نقدى بين عميد الأدب ومعاصريه.

أما زكي مبارك فقد انتفض لما كتبه أحمد أمين ناقدا الأدب العربى والتراث بعامة، فرد عليه باثنتين وعشرين مقالة بعنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربى) طبعت فى كتاب بالعنوان نفسه مع عرض ودراسة لحسين خريس (المستشار الثقافى فى جامعة الدول العربية) وشارك فى هذه المعركة الشرسة كثير من الكتاب والأدباء فى مصر والبلاد العربية.

أما (الميزان الجديد) فهو حصيلة لبعض مانشره محمد مندور عن النقد والنقاد فى مجلتى الرسالة والثقافة، وقد شمل العقاد وسيد قطب ببعض هذا النقد الذى دار جزء منه حول الشعر المهموس والهمس فى الأدب.

وشارك الكثيرون فى المعارك التى دارت رحاها على رؤية العقاد عن الأدب والحياة والمجتمع، وعما ماكتبه طه حسين عن الأدباء المعاصرين وعن دعوة محمد مندور إلى التزام المناهج فى النقد والفكر، وما دعا إليه الآخرون من الحرص على الصدق فى الأدب، فانتقل النقد من كونه حركة بعث إلى حركة تجديد ثم إلى تيارات واتجاهات مشهورة.

وكتب محمد تيمور عن (النزاع بين الفصحى والعامية فى الأدب المصرى الحديث (الهلال ١٩٣٣م)[1]، كما كتب أحمد زكى (بين العامية والفصحى) (الهلال ١٠/١٩٤٤)[2]، وقد عرض الهلال فى الكثير من أعداده

---

(١) الهلال الماسى (عدد ديسمبر ١٩٦٧م)، ص ١٨٥.

(٢) الهلال (أكتوبر ١٩٩٢م، ص ٢٩٣).

للتجديد في الشعر وملامح القصة القصيرة ذلك الفن الجديد الذي وضحت معالمه على صفحات العديد من المجلات خلال القرن العشرين•

وقد اتجه النقد في بعض جوانبه إلى الحديث عن الكتب وبيان مافيها من جوانب مهمة مثل نقد بنت الشاطئ لكتاب (دفـاع عن البـلاغة) للزيات والذي نشر بمجلة الكتاب عام ١٩٤٦، فغضب الزيات لهذا النقد غضباً شديداً ثم هدأت ثورته•

وكثيراً ماكان يثير هذا اللون من الكتابة النقدية ثورات عارمة تتجاوز الناقد والمنقود، أو تلفت الأنظار إلى كتاب أو رواية لكاتب جديد• وكان سيد قطب واحداً من النقاد الذين شاركوا في الكتابة عن نقد الكتب، واقتفى اثر أستاذه العقاد على عكس ماكان يراه طه حسين وهيكل ومصطفى عبد الرازق ومحمد مندور في الدعوة إلى إثراء الأدب والنقد بالمزج بين الثقافتين العربية القديمة والأوربية الحديثة•

وجمعت المجلات الأدبية بين نشر الشعر ونقده، وظهر كثير من الشعراء على صفحات المجلات مثل محمود حسن إسماعيل (مصر) وعبد الوهاب البياتي (العراق) ومحمد الفيتوري (السودان) وبحثت المجلات قضايا الشعر وتطوره والتحلل من القافية، واستخدام البحور المجزوءة، وشرح ملامح الشعر الحر والشعر المرسل وسائر القضايا التي كتبت فيها نازك الملائكة (العراق)، وصلاح عبد الصبور (مصر) وعبد العزيز المقالح (اليمن) ونزار قباني (سورية) وغيرهم من الذين عرضوا للغة الشعر وأسلوب كتابته ودخوله ميدان الدراما، كما

نشرت مجلة العربى عشرات المقالات عن قديم الشعر وجديده، وجمع بعضها فى كتاب العربى (أكتوبر ١٩٨٦م) وبعضه بأقلام الدكاترة محمد مندور وزكى نجيب محمود وعبد العزيز المقالح وأنيس المقدسى.

واهتمت المجلات بالفنون النثرية الجديدة أو المستحدثة مثل الرواية التى نشر الكثير منها على حلقات مسلسلة، كما كانت بعض المجلات تخصص أعداداً كاملة لرواية واحدة كالمجلة الجديدة التى نشرت رواية (عبث الأقدار) لنجيب محفوظ، وكثر الاهتمام بتعريب الروايات الأجنبية، ولازالت مجلة الهلال تترجم مثل هذه الروايات وتنشرها.

وعرف القراء القصة القصيرة (الحديثة) من خلا إبداعات محمد ومحمود تيمور ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ويحيى حقى ومحمود طاهر لاشين وغيرهم. كما اهتمت مجلة الثقافة التى أنشأها يوسف السباعى فى أوائل السبعينيات بإبداع هذا الفن ونقده، وكذلك مجلة القصة ومجلة إبداع التى تصدرها الهيئة العامة للكتاب.

وعرضت المجلات لألوان أخرى من فنون الأدب مثل التراجم للأعلام، وأسهم طه حسين وهيكل والعقاد وأحمد أمين وعلى أدهم بنتاج متميز فى هذا اللون، كما كتب بعض الرواد تراجم لحيواتهم نشروها فى المجلات أولاً قبل أن يطبع فى كتب متداولة.

واهتمت المجلات أيضا بالمسرحية وهى من الأجناس الأدبية الجديدة فكتبها وانتقدها بعض أعلام الأدب والنقد فى العديد من المجلات ويأتى توفيق

الحكيم في مقدمة من مارسوا هذا اللون من الإبداع* وعرض الدكتور علي شلش للمجلات الأدبية في مصر من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٥٢م وذكر أن (الأجناس الأدبية المعروفة) .. كانت - في مجموعها - قنوات التعبير من الاتجاهات الفكرية والأدبية التي عكستها المجلات الأدبية وكذلك عن القضايا التي شغلت المجلات وكتابها، والمعارك التي أثارتها، أو أثاروها فضلاً عن كونها أداة الكتاب ووسيلتهم في مخاطبة جمهورهم[١]*

فإذا كانت المجلات الثقافية والأدبية قد وثقت العلاقة بين الكاتب والقارئ منذ عرف العرب الطباعة فإنها - الآن - لم تتوان عن مواكبة العصر والتفاعل مع الأحداث والمتغيرات، والتعبير عن القضايا الأدبية والنقدية التي تشغل المثقف العربي في شتى بقاع العالم وقد قرأنا - أخيرا - أن بعض المجلات قد تجاوبت مع التطور والتجديد في مجال نشر الإبداع الثقافي، فانتقلت بسطورها إلى شاشات الحاسوب (الكمبيوتر) وشبكات الاتصال العالمية (الأنترنيت) وإن كانت الكلمة المسطرة والمنشورة في مجلة أو كتاب سيبقى الى سحرها وتأثيرها عند كثير من المثقفين*

(١) المجلات الثقافية في مصر، ص*٢٠، د. علي شلش.

الفصل الثالث

تعليم القراءة للمبتدئين*

(مقدمــــة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. وبعد – قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ «العلق ١–٥».

تشهد هذه الآيات – وهى أول ما نزل من القرآن الكريم – على قيمة القراءة والتعليم (بالقلم) ... «لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا فى حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذى نلمسه الآن ونعرفه فى حياة البشرية، ولكن الله – سبحانه – كان يعلم قيمة القلم فيشير إليه هذه الإشارة فى أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية»[1] ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولكن الله سبحانه وتعالى أعلى شأن القراءة، وبين أنه مصدرها الذى ليس هناك سواه.

ولقد عرف الإنسان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين، وتعددت الخطوط التى دونت بها الحضارات المختلفة، وعرف العرب الكتابة فى الجاهلية وسجلوا

---

* تم إعداد هذا البحث مساء يوم الثلاثاء الحادى عشر من شوال سنة ١٤٠٩هـ الموافق للسادس عشر من مايو سنة ١٩٨٩م.

(١) فى ظلال القرآن: سيد قطب جـ٦ ص ٣٩٣٩، دار الشروق.

ـبها بعض أشعارهم، إلى أن جاء القرن الثانى الهجرى، فانتقلت العلوم والآداب العربية من القلوب والشفاة عبر رحلة طويلة مع الرواية إلى الحفظ والتدوين.

«القراءة عملية يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية، وتتألف لغة الكلام من المعانى والألفاظ التى تؤدى هذه المعانى. ويفهم من هنا أن عناصر القراءة ثلاثة، هى:

١ – المعنى الذهنى.

٢ – اللفظ الذى يؤديه.

٣ – الرمز المكتوب»[١].

فالقارىء يحول الرمز المكتوب إلى المعنى الذهنى، وهذه هى القراءة السرية، أو يحول الرمز إلى ألفاظ مسموعة، وهى القراءة الجهرية، وهكذا لابد أن تشمل القراءة على التعرف والنطق والفهم بنسب تختلف من شخص أو من تلميذ إلى آخر.

وقد تطور مفهوم القراءة بتطور الكتابة، وآلات الطبع الحديثة، وصار القارىء لا يكتفى بالرموز المكتوبة وتعرفها، والنطق بها، بل أصبح يهتم بالمعنى والفهم الجيد للنص والتفاعل معه ونقده وتفسيره والحكم عليه بما يفيد الفرد أوالجماعة، وترتب على ذلك أيضا أن تغيرت أساليب الكتابة وأنماط القراءة، فقد عرف الناس فى غمرة التطور العلمى القراءة والكتابة بطريقة (بريل)، وهى خاصة بمن حرموا نعمة البصر، وعرفوا أيضا أساليب متعددة تستعمل فيها الرموز(والشفرات) من خلال الأجهزة الحديثة.

---

(١) الموجه الفنى لمدرسى اللغة العربية: عبد العليم إبراهيم ص ٥٧.

تهدف القراءة إلى معان سامية تنعكس على الفرد والجماعة، وهى نافذة للمعرفة، وأداة للاتصال، ووسيلة لتربية الأذواق، وقناة لربط الماضى بالحاضر، والحاضر بالمستقبل.

والقراءة ذات تأثير كبير في بناء شخصية الإنسان وصنع ثقافته، وتكوين فكره، وهى الأساس فى تحصيل المعارف وترسيخ المعانى وتنمية العقول، لكى يتمكن بها القارىء من الكلام قولا وكتابة، وقد قيل: «اقرأ تقل، إن الكلام من الكلام».

ويحظى الفرد بالاحترام وبالمكانة الرفيعة لمداومته على القراءة، فهو يعرف بها أخبار العالم، ومشكلات الشعوب، ونوادر الأحداث، وتتسع بها دائرة معارفه وخبراته، وهى الأساس في كل عملية تعليمية، ولا يتوقع النجاح فى العلوم المختلفة مع الإخفاق فى القراءة ولا يكفى أن نعلم أبناءنا القراءة بل يجب علينا أن ندفعهم إلى الاستمرار فيها، فهى تزجية للفراغ، واستثمار للوقت، وإحياء للروح، وتنظيم لعلاقة الفرد بالجماعة.

وإذا كان موضوعنا هو «تعليم القراءة للمبتدئين» فلابد من الإشارة إلى أن المتعلمين يحتاجون أيضا إلى من يشرح لهم كيفية القراءة، فكثير من المثقفين يواظبون على القراءة، ولكنهم لا يظفرون من جهودهم إلا بالقليل من الفائدة نتيجة لعدم معرفتهم بالطرق والوسائل الصحيحة للقراءة.

أما المبتدئون فهم الذين يحتاجون إلى من يعلمهم، ويفك لهم عقدة الحروف، وهم ينقسمون فى حدود علمى إلى ثلاثة أقسام، وقد يزيدون عن ذلك.

الأولون: وهم صغار السن، الملتحقون بالمدارس الابتدائية أو رياض الأطفال، وتتراوح أعمارهم بين السادسة والسابعة غالبا، وهؤلاء من سيتركز هذا البحث عليهم؛ لأنهم الأكثرون عددا وأهمية، وتدور حولهم النظريات التربوية المتصلة بطـرق التدريـس، ويشـغلون حيزاً مـن اهتمامات رجال التربية وخبراء التعليم.

والثانون: وهم كبار السن المبتدئون فى القراءة، وأعدادهم قليلة جدا بالنظر إلى الصغار، وأكثرهم ينهض بأعمال ووظائف، ولهم أسر وتبعات اجتماعية. والنجاح فى النتائج القرائية الخاصة بهم ليس كالنجاح الذى يحققه الصغار، فلا يخفى على أحد «أن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر...».

والآخرون: هم المتعلمون للقراءة ممن ينطقون بغير العربية، وهؤلاء قلة قليلة، يتفاوتون فى المستوى والدافع، وتنهض بعض المعاهد العلمية بالإشراف عليهم وتعليمهم القراءة والكتابة.

وقد اعتنت الأبحاث والدراسات المتنوعة بالأطفال الصغار فى السنة الأولى الابتدائية بصفة خاصة، وعندما ينتقلون إلى السنة الثانية فإنهم يسعون إلى تطوير وسائلهم القرائية، ويستمر هذا التطوير من عام إلى آخر إلى أن يحسنوا القراءة. ولا يرتبط هذا بسنة دراسية محددة، كما يختلف من طالب إلى آخر حسب القدرات العقلية والحسية المتفاوتة.

مما هو معلوم سلفا أن الحديث عن طرق تعليم القراءة يتجه إلى أطفال الصف الأول الابتدائى، وأن الخبراء والمختصين يبذلون جهداً كبيرا فى وضع الخطط والمناهج، وشرح الطرق والوسائل التى تسهم فى سرعة التعلم بالنسبة للطفل وبالصورة الصحيحة التى لا تجعله ينسى فى قليل من الوقت ما تعلمه فى سنوات كثيرة بالمدرسة الابتدائية. ولم تعد الطرق التعليمية محتاجة لإضافة طرق أخرى تثقل رؤوس المدرسين الذين ينبغى الأخذ بآرائهم فى كل المتغيرات التى تلحق بكتاب القراءة من جميع النواحى. ولذلك لن أضيف طريقة جديدة أو أكثر، وسوف يقتصر جهدى على بيان الطرق الموجودة. والتى تتخذ من المناهج القائمة أو التى فى حقل التجريب أو التى لازالت فى حيز الاقتراح أساسا وأداة لها، مع نقدها وبيان محاسنها وعيوبها واختيار الطريقة المثالية لتعليم القراءة.. والتمثيل لكل ذلك بما يطبق فعلا فى المدارس الحكومية للبنين والبنات وغيرها من الجهات المشاركة لها فى العملية التعليمية فى سائر البلدان العربية

ويقول أحد الخبراء: «ولعل رجال التعليم، وعلماء التربية، لم يختلفوا فى طريقة التعليم لأية مادة من المواد الدراسية، اختلافهم فى طريقة تعليم القراءة للمبتدئين، فقد وقفوا من الطرق المختلفة موقف التأييد أو المعارضة مع شيء كثير من الجدل والتعصب، ولكنا نستطيع أن نهوّن من هذا الخطب، وأن نحسم شيئا من هذا الخلاف إذا راعينا فى المفاضلة بين الطرق المختلفة، وأن نقيس

مدى نجاح كل منها فى اقتصاد الوقت، وبلوغ الغاية ومدى مسايرتها للطبائع النفسية والذهنية»[١] .

كما أن بعض الخبراء وأولياء الأمور يميزون طريقة على أخرى فيختارون إحداها؛ لأنهم تعلموا بها، وألفوا أسلوبها؛ أو لأن أبنائهم وفقوا فى التعلم من خلالها، ويرفضون لذلك أية طريقة أخرى، وينسون أن النجاح فى القراءة يرجع إلى أمور كثيرة مثل المنهج واستعداد الطفل، وقناعة المدرس بمهنته .. «ومن المسلم به أنه – إلى الآن – لا توجد طريقة سلمت كل السلامة من النقد، أو حققت أغراضها كاملة، ومن المسلم به – كذلك – أن عماد الطريقة إنما هو المدرس، فالطريقة الجيدة سيئة فى يد المدرس غير الصالح، لأنه يشوّه جمالها، ويطمس مزاياها، والطريقة السيئة يستطيع المدرس الماهر تغطية ما بها من عيوب، ولذلك كان من الصعب الموازنة بين طريقتين، والحكم بأفضلية إحداهما على الأخرى، ومن الواجب – إذن – أن ننتفع بمزايا كل طريقة، وألا نعد طريقة بعينها فاسدة كل الفساد، أو صالحة كل الصلاحية»[٢] . كما تتوقف طريقة التعلم على الطفل من حيث درجة استعداده، ومدى تقبله للقراءة وتبرز لذلك ثلاثة أساليب هى:

١ – أسلوب التعجيل:

ويتمثل فى إكراه الأطفال على تعلم القراءة منذ دخولهم المدرسة سواء كانوا مستعدين لها أم غير مستعدين، وهو الأسلوب الذى يسعى إليه الموجه،

(١) المرجع السابق، ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٧ .

ويتوقعه ولى الأمر، وقد كانت المدارس تصطنع طريقة الحروف فى التعلم، وكان ولى الأمر يرى ابنه ينطق بعض الحروف، فيبش له ويسعد بما بدأ طفله ينطق به ويردده.

وعندما بدأت المدرسة تستعمل الطريقة الكلية، والتى لا يبين أثرها عاجلا ارتفعت الأصوات بالشكوى من التأخر فى القراءة... واتهم المدرس بالعجز والفشل، ولذلك يلجأ المعلم إلى كثرة تكرار الدروس، وتدريب التلاميذ تدريبا مستمرا، وربما لا يأتى ذلك بنتائج مثمرة نتيجة لعدم بلوغ الطفل درجة الاستعداد الكافى، والنضج العقلى، وقد يُؤدى إكراه التلاميذ على العلم آنذاك إلى اضطرابات نفسية، وبهذا يصبح التعجيل ذا أثر سيىء ونتيجة غير مرضية.

٢ - أسلوب التمهل:

يأتى هذا الأسلوب على عكس الأسلوب السابق.. «وذلك أن يؤخذ كل طفل بالمعونة الفردية والتشجيع اللذين يحتاج إليهما لتعلم القراءة حسبما يكون مستعدا لعملية التعلم»[1].

ولا يختلف هذا الأسلوب عن الطريقة التى تعلم الطفل الكلام بها فى سنوات عمره الأولى من حيث التدرج فى استقبال الكلمات وترديدها، حيث استعمل الآباء أسلوب التمهل فى تعلم الحديث، وما عليهم إلا أن يرشدونه عندما يخطىء، ويهيئون له الظروف المناسبة لتلقى مفردات اللغة عبر أجهزة السمع والنطق المتوفرة له. ويقول أحد الخبراء عن هذا الأسلوب: «وخلاصة هذا

---

(١) الطفل يستعد للقراءة: محمد محمود رضوان ص ٧٢، دار المعارف بمصر.

الأسلوب أن الطفل يتعلم القراءة بطريقة تلقائية طبيعية من غير إكراه، وكل ما يتطلبه هذا الأسلوب أن يبدى المعلمون وأولياء الأمور شيئا من الصبر والأناة، وأن يدعوا (الطبيعة) تقوم بدورها فى رفق وهوادة»[١] .

٣ – أسلوب التأجيل:

يقوم أسلوب التأجيل على إرجاء تعلم التلاميذ للقراءة بعد دخولهم المدرسة مدة قد تطول إلى ستة أشهر أو عام دراسى..... «والفرق واضح بين أسلوب (التمهيل) وأسلوب (التأجيل)، فالأول قد يؤدى إلى التأجيل بالنسبة لبعض الأطفال دون بعض، أما، الآخر فيعنى التأجيل للجميع، وقد يكون هذا التأجيل مناسبا لبعض التلاميذ، ولكنه قد يؤدى إلى حرمان بعضهم الآخر من خبرة القراءة، مع أنهم بلغوا استعدادهم لها»[٢] . وتنطلق فكرة هذا الأسلوب من الاعتقاد السائد بأن الأطفال يكونون أكثر استعدادا عندما يكبرون، فى السن، وليس هذا صحيحا إذ أننا نشاهد فى حياتنا بعض التلاميذ وقد قطعوا شوطا كبيرا فى تعلم القراءة وترديد الجمل مع أن أعمارهم لم تتخط السادسة بعد، فليس العمر الزمنى للطفل هو الفيصل الوحيد لنجاحه فى القراء؛ إذ أن هناك عوامل أخرى تسهم فى سرعة تعلمه للقراءة غير ما ذكرنا، منها الذكاء والنضج الجسمى والنضج الاجتماعى والبيئة المحيطة بالطفل، والوسائل التى تهيئه للقراءة، وزيادة حصيلته اللغوية. ونؤكد أن هذا الأسلوب يعطل الطاقة عند كثير من الأطفال الذين توفرت لديهم الوسائل المادية والمعنوية سواء فى البيت أم فى

(١) السابق، ص ٧٣.
(٢) السابق، ص ٧٤.

المدرسة . ولكنه ربما يتناسب مع عدد قليل من التلاميذ الذين يستوعبون بصورة أكبر عندما يزيد عمرهم الزمني ستة شهور مثلا عن قرنائهم. إذن: فتعلم القراءة والتقدم فيها عند الأطفال يعود إلى أموركثيرة منها: اختيار الطريقة الملائمة التي تتناسب مع مستوى الذكاء، والنضج العقلي عند التلميذ، والعناية بإعداد الكتاب بحيث يقدم الطريقة المختارة بأسلوب ملائم، ورفع المستوى المهاري للمدرس، وعدم إرغامه على العمل بهذه المهنة إذ لابد أن تكون قناعته بها نابعة من نفسه، وليس لأنها تعطى حوافز أكثر.. وأجازات أطول ولابد أيضا من العناية بالطفل والتعرف على مدى استعداده للتعلم سواء أكان هذا الاستعداد عقليا أم جسمانيا أم غير ذلك.

طـرق تعليـم القـراءة

توجد ثلاث طرق لتعليم القراءة للمبتدئين هي الطريقة التركيبية والطريقة التحليلية والطريقة المزدوجة، وسنتحدث عن كل واحدة بما يكشف عما يندرج تحت كل واحدة منها من طرق فرعية.

أولا: الطريقة التركيبية:

تقوم هذه الطريقة على أساس تعليم الحروف، والانتقال منها إلى الكلمات ثم إلى الجمل، «ففيها يهتم المعلم بتوجيه أنظار الأطفال وأذهانهم أولا إلى الحروف الهجائية وأصوات هذه الحروف، ثم يندرج بهم إلى نطق كلمات تتكون كل منهامن حرفين أو أكثر، ولهذا سميت (الطريقة التركيبية)؛ لأنها تقصد أولا إلى الأجزاء، ثم إلى تركيب هذه الأجزاء، لتكوين الكل وتسمى أيضا (الطريقة

الجزئية)،[1] وقد اتبعت هذه الطريقة منذ القدم، وتعلم عليها كثير من الناس وتندرج تحتها طريقتان فرعيتان هما:

(١) الطريقة الهجائية، أوالطريقة الأبجدية، وتقوم عى تعلم الحروف بأسمائها مستقلة، فيقال: «ألف، باء، تاء، ثاء، جيم... إلى ياء» ويكوّن المعلم منها كلمات لتلاميذه، بحيث تكون هذه الكلمات من حروف منفصلة مثل زرع. ثم ينتقل إلى تقديم كلمات تتشابك بعض حروفها مثل وجد، ثم يقدم كلمات تتشابك كل حروفها مثل كتب، أو أن يلجأ المعلم إلى تحفيظ تلاميذه بعض الحروف الهجائية التى تكون كلمات ذات حروف منفصلة ثم متشابكة مثل الزاى والراء والعين ويكون منها كلمة (زرع) وينتقل إلى تحفيظه مثلا الحروف (الواو والجيم والدال)؛ ليتشكل منها كلمة (وجد)؛ وينتقل المعلم من تقديم الكلمات إلى الجمل، بحيث تكون مأخوذة من الكلمات التى سبق تقديمها. وهكذا ينتقل من تعليم الحرف إلى تعليم الكلمة، ومنها إلى تعليم الجملة، شريطة أن يقدم الحروف مضبوطة بالحركات «الفتحة – الضمة – الكسرة» وينتقل منها إلى السكون، ثم إلى الحروف الممدودة والحروف المشددة.

ويلاحظ على هذه الطريقة:

أ – أنها سهلة على المعلمين؛ لأن أعداد الحروف محددة، ورسمها بسيط، ويسهل على المتعلم معرفتها وحفظ أشكالها.

ب – أنها لقيت قبولا لدى أولياء الأمور وأكثر المعلمين؛ لأنهم تعلموا بها، خاصة أنها تعطى نتائج سريعة، وهذا يشجع الآباء على التعاون مع المدرسة، كما تساعد على زيادة ثقة المعلمين بأنفسهم.

---

(١) الموجه الفنى لعبد العليم إبراهيم ص ٧٨.

جـ - أنها تزود الأطفال بمفاتيح القراءة، وتنتقل بهم من الحروف إلى الكلمات، ثم إلى الجمل. وهذا التدرج سهل وطبيعي، ولكنها لم تلبث أن لقيت الهجوم والمعارضة من الخبراء والمختصين، ووجهت إليها مجموعة انتقادات من قبل علماء التربية يمكن إجمالها فى النقاط التالية:

أ - تتعارض مع حقائق علم النفس فى إدراك الكل قبل الجزء، خاصة أن الأطفال يتعرفون على الأشياء تعرفا كليا.

ب - تربى فى التلاميذ عادة البطء فى القراءة؛ لأنهم يركزون على الحروف الأولى فى حين أنه يرون الكلمة دفعة واحدة.

جـ - تخالف طبائع الأشياء؛ لأن الأطفال يعبرون عن المعانى لا على الحروف.

(٢) الطريقة الصوتية: تبدأ هذه الطريقة بالحروف، وتقدم إلى الأطفال بأصواتها لا بأسمائها، فلا تنطق القاف مثلا على أنها (قاف)، بل تنطق بصوتها (قَ)، وتنطق الراء (رُ)، وتنطق الهمزة (أ) وتنطق السين (سٌ)، ثم يؤلف المعلم بينها، ويتعلمها الطفل دفعة واحدة (قــرأ) بحيث يركــب بــين حروفهــا تبعــا للحــركات المختلفــة، ويستطيع المعلم أن يتدرج فى تعليمه للقراءة بهذه الطريقة من الحروف التى تكتب منفصلة إلى الحروف التى تكتب مجتمعة كما سبق : فى الطريقة الهجائية. وقد كتب الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم سيد عبد العال عن هذه الطريقة فقال: «ولا شك أن الطريقــة الصوتيــة، أفادت تعليم القراءة، وخلصته من مساوىء كثيرة خلفتها الطريقة الأبجدية (الهجائية)، وشوشت بها مبــادىء تعليــم القراءة، فبعد أن كان يعلم

الحرف باسمه الكامل، أصبح يعلم بصوته، وكذلك أسماء الحروف أصبحت لا تعلم إلا بعد أن يتعلم التلاميذ جميع الحروف، ويتمرن على القراءة تمرينا جيداً، وهى تقرن تعليم مبادىء القراءة بتعليم مبادىء الكتابة بعد أن كانت القراءة فى الطور الهجائى تعلم منفصلة عن الكتابة وسابقة لها»[1].

ولعل هذه الفقرة تشير إلى أكثر المزايا التى تحققها الطريقة الصوتية، والتى نستطيع أن نلخصها فى النقاط التالية:

أ - تتفق مع الطريقة الهجائية من حيث سهولتهاعلى المعلمين وإرضائها لأولياء الأمور، كما أنها مشجعة للأطفال، إذ يتمكنون بها من نطق الكلمات الجديدة التى تعرض عليهم.

ب - إنهاء الطريقة الطبيعية لتعلم القراءة حيث يعتنى فيها بالصوت، ويتم الربط بينه وبين الرمز المكتوب. ومما هو معروف أن الصوت عنصر مهم من عناصر تسهيل القراءة.

جـ - تتعاون فى هذه الطريقة أكثر الحواس لاتمام عملية التعليم، وهى كما يقول الأستاذ/ عبد العليم إبراهيم: خير من الطريقة الأبجدية، ولكنها لا تعالج كل عيوبها.

د - تحدث أحد الباحثين عن بعض مميزاتها فقال: «تمكن....الأطفال من إجادة القراءة بسرعة، فالحروف تدرك بسهولة وتنطق بأصواتها بيسر دون

---

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٩، مكتبة غريب.

اهتمام بمعرفة أسمائها، كما هو متبع في الطريقة الهجائية،[1] . ومن المعلوم أن لكل طريقة مزايا وعيوب، ومن مساوىء الطريقة الصوتية مما يأتي:

أ – أنها مثل الطريقة السابقة تسير في عكس الطريق التي يسير فيها عقل الطفل الصغير من حيث التعرف على الجزء قبل الكل.

ب – يهتم فيها بتعلم أشكال الحروف ونطقهادون أدنى اهتمام بالمعنى.

جـ – تترك في الأطفال عادات قبيحة في النطق، وقد يزداد المد فينطق حرفا (زائدا) في الكلمة. كما أن بعض الحروف تكتب ولا تنطق مثل ألف (مائة)، واللام الشمسية؛ وغيرها.

ولقد تخلت أكثر الدول العربية عن الطريقة التركيبية بقسميها، ولم تعد قاصرة إلا على بعض مشايخ الكتاتيب الذين لم يتخلوا عن الترديد لتلاميذهم (ألف – باء – تاء...) حسب الطريقة الهجائية أو (ب فتحة ب) و (ب كسرة ب) وهكذا.

ثانيا: الطريقة التحليلية

تعتمد هذه الطريقة على تعلم الكلمات قبل الحروف (أي على عكس الطريقة السابقة) فالطفل يتعلم الكل قبل الجزء، على اعتبار أنهذا هو الترتيب الطبيعي في الكلام، فالمعلم يقدم إلى التلميذ أسماء الأشياء التي شاهدها في حياته، وتعرف على معظمها قبل مجيئة للمدرسة. ولذا يقبل على الدروس بشوق وشغف، وبعد أن يتعلم الكلمات (صورة وصوتا) ينتقل تدريجيا إلى النظر

---

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. محمد عبد القادر أحمد، ص ١٢٨، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

فى أجزائها بإرشاد المعلم طبعا... «كى يمكنه معرفتها ثانية، ويقدر على تهجيتها عند مطالبته بكتابتها، ولهذا سميت (الطريقة التحليلية)؛ لأن الطفل يتعلم الكلمة مركبة، ثم يحللها إلى أجزائها وهى الحروف؛ وتسمى كذلك الطريقة الكلية؛ لأنها تبدأ بتعليم الكل، وهو الجملة، أو الكلمة وتنتقل إلى الجزء وهو الحرف، وأشهر مايندرج تحت هذه الطريقة، طريقة (انظر وقل)[1] أى أن هذه الطريقة تقوم على السير من الجملة إلى الكلمة إلى الحرف، وقد قيل إنها: «تعتمد على تعليم الطفل بواسطة الجملة البسيطة المكونة من الكلمات التى يفهمها الطفل، والتى كثيرا ما يتلفظ بها ويسمعها؛ لأنها مأخوذة من المحيط الذى يعيش فيه، واختيار هذه الكلمات يتم بعناية بحيث تتجاوب مع رغبات الطفل وألعابه، وتجعله يرددها بفهم ومرح مثل قرأ، لعب، تطبخ، عصفور، جميل، إلخ. وقد اشتهرت هذه الطريقة باسم (انظر وقل) أى انظر إلى الصورة واقرأ مدلولها»[2].

وإننى كثيرا ما تحدثت عن تعليم القراءة للمبتدئين بهذه الطريقة؛ لأنها تؤدى إلى نتائج ممتازة، ولا نريد أن نهوّن من الطريقة، أو نندفع إلى بيان محاسنها وعيوبها قبل أن أسترجع ما ذكرته فى الصفحات السابقة حول التأكيد على دور المعلم، ومدى قناعته بالطريقة، واستعداده لبذل الجهد فى مهنته، وإخلاصه فى تعليم تلاميذه، ولذلك أؤكد ذلك بقولى: إن الطريقة هى المعلم، ثم يأتى بعد ذلك المستوى العقلى للتلميذ وملائمة المنهج، وتعاون أولياء الأمور، واختيار الوقت المناسب لبدء التعليم.

---

(١) الموجه الفنى، ص٨١، ص ٨٢.

(٢) تعليم القراءة والكتابة: عبد الله العقل وآخرون (المقدمة)، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

ويتفرع على الطريقة التحليلية (الكلية) طريقتان أو أسلوبان:

١ – طريقة الكلمة:

ينظر الطفل في هذه الطريقة إلى الكلمة بصورتها المجملة، ويحلل حروفها، وتهجيتها، حتى تثبت صورتها في ذهنه، ثم ينطق بها، ويعرض عليه المدرس مجموعة من الكلمات بصورتها لعقد الموازنة بينها. ويشترط الأستاذ/ عبد العليم إبراهيم لذلك عدة شروط مثل وضوح الصورة، وتكرار الألفاظ تكرارا كافيا؛ لتثبيت صورتها في الذهن، والقدرة على النطق، وتكرار بعض الحروف في الكلمات، ليسهل بعد ذلك تحليل الكلمة والتدرج في الاستغناء عن الصور، حتى يستطيع الطفل أن يميز الكلمة بمجرد النظر إليها. وللمدرس أن يتبع الأسلوب الملائم لتعريف التلاميذ على الكلمات... «وطريقة الكلمة من أسرع طرق تعليم المفردات الأساسية للقراءة، وهي طريقة مباشرة إذا قورنت بالطرق الأخرى في تعليم التلاميذ عملية القراءة»[1]، ولهذه الطريقة عدة مزايا فضلا عن ذلك منها:

أ – يتعلم الطفل الرمز واللفظ والمعنى معا.

ب – فيها تشويق للطفل؛ لوضوح الكلمات في ذهنه؛ نظرا لارتباطها بالصور الملاصقة لها.

جـ – تمكن الطفل من التعرف على كلمات متعددة، يسهل عليه تكوين جمل منها في وقت قصير.

د – تساعد الطفل على سرعة القراءة – كما ذكرت في السطور السابقة.

(١) تدريس فنون اللغة العربية: د. علي أحمد مدكور، ص ١٤٠ مكتبة الفلاح بالكويت (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) الطبعة الأولى.

هـ - تكتسب هذه الطريقة أهمية كبرى من حرص المعلمين على دمجها مع طرقة تكوين الجمل وأسلوب تقديم القصص، وبذلك يتعود التلميذ على متابعة المعنى في أثناء القراءة.

ويؤخذ على هذه الطرقة عدة أمور منها:

أ - استعمال المدرس (أحيانا) لكلمات بعيدة عن الطفل.

ب - وقوع التلميذ في أخطاء قرائية نتيجة لخلطه بين الكلمات التي تتشابه في رسمها.

جـ - ربما يكون المدرس لتأخيره في تحليل الكلمة إلى حروف أحد الأسباب في عدم معرفة الطفل على التهجي، وهو أمر مهم في إجادته للقراءة والكتابة.

٢ - طريقة الجملة

يعتمد في هذه الطريقة على الجملة ...وطريقتها: أن يعد المعلم جملا قصيرة، مما يألفه الأطفال، أو طائفة من هذه الجملة بينها ارتباط في المعنى، ويكتبها على السبورة ثم ينطق بالجملة ويرددها الأطفال أفرادا وجماعات مرات كافية، ثم يعرض جملة أخرى تشترك مع الأولى في بعض الكلمات وهكذا.. ويرشدهم في كل جملة إلى تحليلها إلى كلمات، ثم إلى أجزاء الكلمات، ويحسن أن تقترن الجمل بصورة توضحها[١].

وتلجأ بعض المؤسسات التعليمية - كما سبق أن قلت - إلى المزج بين طريقتي الكلمة والجملة، ويتم التعرف على ذلك في السنة الأولى الابتدائية.

---

(١) الموجه الفني ص ٨٣، ص ٨٤.

مزايا طريقة الجملة :

أ – تشوق الأطفال إلى القراءة، وتدفعهم إلى الاستمرار والمتابعة.

ب – قدرة التلميذ على فهم معانى الكلمات؛ لمجيئها فى سياق الجمل.

جـ – تساير الجانب النفسى من حيث البدء بقراءة الجملة، ومن ثم الكلمة المفردة. وكما هو معلوم، لم تبرأ أية طريقة من العيوب إذ لوحظ على طريقة الجملة ما يأتى:

١ – صعوبة تفكيك الجملة وتحليل الكلمات إلى حروف بالنسبة لطفل صغير.

٢ – تحتاج هذه الجملة إلى كثير من الوسائل التى ربما لا تتوفر للمدرس فى كثير من المناطق.

٣ – تقلل من أهمية الرسم الإملائى؛ نظرا لانصراف التلميذ إلى العناية بالمعنى، والطفل بهذه الطريقة يكون سريعا فى القراءة ضعيفا فى الإملاء.

ثالثا: الطريقة المزدوجة

وتسمى الطريقة (التوليفية) أو (التوفيقية) أو (الطريقة التركيبية التحليلية) التى تجمع بين التركيب والتحليل، أو التى تجمع الجزء والكل. ويرجع السبب فى اللجوء إليها، إلى أن كل واحدة من الطريقتين السابقتين تشتمل على مزايا وعيوب فكان الباعث على الطريقة المزدوجة الاستفادة من مزايا الطريقتين (الأولى والثانية) والتوليف بينهما فى طريقة واحدة يتجنب فيها أيضا عيوب الطريقتين السابقتين.

وقد تحدث أحد الخبراء عند ذلك فقال: «تخلو كل من الطريقتين التركيبية والتحليلية من مآخذ إذا استعملت كل منها على انفراد، وتجنبا لهذه المآخذ يمكن للمدرس أن يجمع بين الطريقتين في طريقة واحدة، بمعنى أن يبدأ بالطريقة التحليلية (الكلية) ثم يستعين على شرحها باتباع ما جاء في الطريقة التركيبية (الطريقة الصوتية أو الطريقة الأبجدية)؛ ليجمع بين تصور التلاميذ لرسم الكلمة؛ وإدراك ما تدل عليه من معنى، وبين أجزاء (الحروف) المكونة لهذه الكلمة، ويعرف هذا الاتجاه بالطريقة المزدوجة»[1] .

وتأخذ غالبية الدول العربية بهذه الطريقة[2]، سواء في المنهج القائم أم في المنهج الذي تحت التجريب أو في المنهج المقترح. وإن لوحظت مجموعة من الفوارق بين كتاب وآخر.. حتى هذه الطريقة التي أشاد بها الخبراء لم تعجب بعض المعلمين وأولياء الأمور؛ إذ لا زالوا ينظرون بشغف إلى الطريقة التركيبية بقسميها (الهجائية والصوتية) التي تعلموا القراءة بها، كما لازالوا ينظرون بإعجاب إلى الطريقة التحليلية، والتي يعبر عنها بـ (انظر وقل) .

ويشرح بعض الخبراء الأسلوب التطبيقي لتعليم القراءة بهذه الطريقة فيقول: «وفي هذه الطريقة يقدم المعلم إلى الأطفال كلمات أو جملا من خبرة التلاميذ، وفي ذلك إفادة من طريقة الكلمة والجملة، ثم تكرر الكلمات والجمل بأصواتها وأشكالها العامة حتى تترسخ صورها في ذهن الأطفال، وترتبط

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٦٧.

(٢) نجدها ممثلة في كتب وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.

الحروف برموزها، وفي ذلك إفادة من الطريقة الصوتية، ثم تحلل الجمل إلى كلماتها، والكلمات إلى مقاطعها، والمقاطع إلى حروفها، بحيث يتم التعرف على الحروف اسما أسما، وفي ذلك إفادة من مزايا الطريقة الهجائية.. ولا تقف الطريقة عند هذه المرحلة، ولكن يستخدم فيها المتعلم الحروف التي توصل إليها في الخطوة السابقة في تركيب كلمات جديدة»[١] .

وقد أفاضت كتب التربية وطرق التدريس في الحديث عن الطريقة المزدوجة حتى باتت أحاديثها صورة طبق الأصل لا تختلف إلا في الصياغة والرؤية البسيطة، ولكنها تتلاقى حول الإشادة بهذه الطريقة التي تجمع بين العديد من الطرق والأساليب. وامتدح الخبراء قدرتهاعلى إفادة التلاميذ ومعاونتهم في سرعة القراءة والكتابة وتخلصها من عيوب الطرق السابقة، وعلى المدرس أن يقتنع بها، ويوفر بعض الوسائل الميسرة لها؛ وأن تكون الكتب المقررة واضحة الإخراج، وذات حروف كبيرة، وأن تكون الصورة متلائمة مع الكلمة، وأن يحرص المعلم على عدم التفريق بين القراءة والكتابة. ويرى الأستاذ/ عبد العليم إبراهيم أن الطريقة المزدوجة تمر بأربعة مراحل هي:

أ – مرحلة التهيئة.. ويقصد بها أن يتجه العمل في هذه الطريقة إلى تعهد الأطفال وتنمية استعدادهم للمواقف التعليمية التي سيمارسون فيها أعمالا جديدة، وعقد الصلة بين البيت والمدرسة؛ حتى لا يصدم التلميذ بمواجهة هذا التغير الفجائي في حياته، وتمكن المدرس من الكشف على المستوى العقلي للتلاميذ.

---

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. محمد عبد القادر أحمد، ص ١٣٧.

وأن هذه التهيئة ذات وسائل متعددة سواء ما تعاون فيها الآباء مع إدارة المدرسة، أو ما تعهد فيها المدرس بمعاونة التلاميذ على التعرف على الأشياء ومعرفة ما يدور في حواسهم وأعضائهم التي يستخدمونها في القراءة والكتابة.

ب – مرحلة التعريف بالكلمات والجمل.. «وهي تعد أول محاولة لأخذ الأطفال برموز الحروف المكتوبة. والربط بينها وبين الأصوات والألفاظ المنطوقة»[1].

ومن أهم الأعمال التي يقوم المدرس بها لذلك:

١ – عرض كلمات سهلة على الأطفال.

٢ – تدريبهم على النطق بها محاكاة للمدرس، أو منفردين.

٣ – إضافة كلمة جديدة أو أكثر في كل درس جديد.

٤ – تكوين جمل من الكلمات السابقة مع التدريب عليها.

٥ – استخدام البطاقات واللوحات ونحوها من الوسائل الحسية المعينة.

٦ – تدريب الأطفال تدريبا كافيا لتثبيت ما عرفوه»[2].

جـ – مرحلة التحليل والتجريد.. وتهدف إلى تثبيت الكلمة أو الجملة تثبيتا تاما في أذهان التلاميذ بطريقة التكرار. ويستطيع المدرس أن يبدأ ذلك مع التلاميذ قبل انتصاف العام الدراسي بحيث يتمكنون من تحليل الجملة إلى كلمات، وتجريد أصوات الحروف، وتحليل الكلمة إلى أصوات.

---

(١) الموجه الفني: ص ٩٩.

(٢) المرجع السابق: ص ٩٩.

د - مرحلة التركيب... وتهدف إلى «تدريب الأطفال على استخدام ما عرفوه من كلمات وأصوات وحروف فى بناء جُمل»[١] . وأن هذاالبناء يشمل بناء الجمل وبناء الكلمات.. وعموما فهذه المراحل تكمل بعضها، وتؤدى إلى غاية واحدة؛ وهى عناصر مهمة فى الطريقة المزدوجة تلك الطريقة التى انحاز إليها أكثر العلماء والمختصين، وأثبتت صلاحيتها فى ميدان التعليم، ولكن المشكلة أن كثيرا من المعلمين وأولياء الأمور لا يرضون عنها، وتسعفهم النماذج العديدة من التلاميذ لإثبات فشلها، وذلك لعدم قدرتهم على القراءة، وهم على أعتاب نهاية المرحلة الابتدائية وتحدث عبد العليم إبراهيم عن الظروف المواكبة لهذه الطريقة فقال: «ولكننا نقرر - منصفين أن هذا كله لا يرجع إلى عيب فى جوهرها، أو نقص فى أصولها الفنية والنفسية، وإنما هى سيارة فقدت السائق المدرب الخبير، أو احتاجت أجهزتها فى بعض مراحل الطريق إلى شىء من الإصلاح، أواستكمال بعض الأجزاء، ولو تهيأت لها كل المقومات لوصلت بأربابها إلى الغاية المنشودة فى يسر وسرعة»[٢] ورأى أن هذه الطريقة قد لازمها سوء الحظ وسوء الفهم وسوء الحكم، حيث لم يألفها المدرسون فتنكروا لها، وهى تكلفهم شيئا غير قليل من الجهد والتفكير؛ وتحتاج إلى فهم أصولها فهما صحيحا واعيا. وأسهم فى سوء فهمها تنكر أولياء الأمور لها، كما أن الوزارات المختصة فى بعض البلدان المطبقة لها فرضت هذه الطريقة على المدرسين، وقدمت الكتب للأطفال بدون أن تشفعها بكتب ووسائل أخرى تكون معاونة لهم على فهم هذه

(١) المرجع السابق: ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٨.

الطريقة الجديدة، ثم إنها تحتاج إلى وسائل متعددة سوى الكتب.. وهذه لا تكون متوفرة فى مدارس القرى الصغيرة.

ضعف التلاميذ فى القراءة :

القراءة عملية معقدة، ويختلف تعليمها من معلم إلى آخر، ومن طريقة إلى أخرى، كما يكون هذا الضعف راجعا إلى ضعف قدرات التلميذ، وعدم استقباله لكل ما يوجه له ويلقى عليه، وقد وضع علماء النفس عدة مقاييس للتعرف على قدرات التلاميذ، وأرجعوها إلى مجموعة من العوامل، وهى إما أن تكون عوامل عضوية أو عقلية أو اجتماعية أو عوامل ترجع إلى طريقة تعليم القراءة نفسها، فلا يخفى على أحد أن بعض التلاميذ يمكن أن يوفقوا فى القراءة نتيجة تعلمهم بطريقة معينة، وما كان لذلك أن يتحقق لو استعملت معهم طريقة أخرى مثلا، على أن هذه العوامل السابقة لها تأثير على ضعف التلاميذ فى القراءة، وأن تلاشيها يمكن أن يحقق نتائج غير متوقعة، وأن القضاء على هذه العوامل واتباع عدة وسائل أخرى يرفع من مستوى القدرة القرائية عند التلاميذ، ويقضى على ما يستجد من مشكلات فى التعلم تعود بالدرجة الأولى إلى بعض الخصائص اللغوية، والتى لا يستطيع الطفل فى مرحل عمره الأولى أن يتعرف عليها بسهولة مثل الحروف التى تزاد فى الكتابة أو تحذف منها، فهذه وغيرها تسبب عسرا للتلميذ فى الصفين الأول والثانى الابتدائيين بصفة خاصة.

أنــواع القــــراءة :

للقراءة أنواع كثيرة باعتبارات متعددة، ولا يعنينا هنا إلا أن نشير إلى نوعى القراءة من حث الشكل وطريقة الأداء لدورهما فى تحسين المستوى

القرائى عند تلاميذ الصفوف الأولى فى المرحلة الابتدائية وهذان النوعان هما:

١ – القــراءة الصامتة:

وهى عملية ذهنية لادخل للنطق فيها، وتستند إلى مجموعة من الأسس النفسية والاجتماعية، ولها مزايا عديدة، وتستعمل فى مواقف كثيرة، ولا تتناسب مع السنة الدراسية الأولى في حياة التلميذ، وكلمازاد عمره زاد تعوده على القراءة الجهرية. ويستعمل هذا النوع فى مواقف كثيرة خاصة فى حصص المطالعة، وداخل مكتبة المدرسة، وفى قراءة بعض الوسائل التعليمية مثل البطاقات. .

٢ – القــراءة الجهرية:

« هى قراءة تشمل على ما تتطلبه القراءة الصامتة من تعرف بصرى للرموز الكتابية وإدراك عقلىّ لمدلولاتها ومعانيها، وتزيد عليها التعبير الشفوى عن هذه المدلولات والمعانى، بنطق الكلمات والجهر بها وبذلك كانت القراءة الجهرية أصعب من القراءة الصامتة»[١] . ومن مزاياها أنها تعّود التلميذ على إتقان اللغة وإجادة النطق؛ وتتناسب مع نمو جسمه، وزيادة معارفه وتقدمه فى القراءة، ومن المستحسن أن يدرب المعلم تلاميذه عليها فى حصص المطالعة؛ ليصحح أخطاءهم، ويقوّم ألسنتهم، ويجعل أساس القراءة لديهم الجمل التامة لا الكلمات المتقطعة مع العناية بجودة النطق ووضوح الكلمات وإخراج الحروف من مخارجها فى يسر وسهولة.

---

(١) المرجع السابق: ص ٦٩.

خاتمـــة

١ – نؤكد أن عماد تعيم القراءة للمبتدئين الصغار في المدارس الابتدائية إنمايتشكل من المدرس والمنهج والطريقة.

٢ – نوصى أبناءنا وزملاءنا من المدرسين وخبراء المناهج وطرق التدريس باتباع أسلوب (التمهيل) فى تعليم التلاميذ، لأنه أثبت جدواه، فى تقدم مستواهم القرائى بصفة خاصة.

٣ – يؤدى تعاون ولى الأمر مع إدارة المدرسة إلى نتائج ملموسة بالنسبة للطفل وبخاصة فيما يتصل بمستوى تحصيلهم للقراءة.

٤ – يقترن نجاح الطريقة إلى التلميذ بما يملك من استعدادات، مختلفة سبق الحديث عنها.

٥ – ينبغى اختيار الطريقة الملائمة فى تعليم التلاميذ للقراءة، ونؤكد أن المدرس هو الطريقة.

٦ – تحتاج الطريقة المزدوجة إلى قناعة من المدرسين وأولياء الأمور ويجب على الجهات المختصة أن تعاون المدارس فى تنفيذ الخطط والبرامج، والتى تسهم بصورة أو بأخرى فى تقدم مستوى القراءة عند التلاميذ.

الفصل الرابع

دور المدرسة في تنمية الجانب الخلقي للتلميذ

(مقدمة)

أحمد الله تبارك وتعالى، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله الذي خاطبه المولى سبحانه وتعالى فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ «القصص ٥٦».

أشكر الله سبحانه وتعالى على أن يسر لنا سبل هذا اللقاء، كما أشكر كل من أسهم في عقد مثل هذه اللقاءات التي تثرى الفكر، وتسهم في إيضاح الرؤية حول تنمية الجوانب الخلقية عند أبنائنا التلاميذ في شتى المراحل التعليمية.

أما موضوع هذه المحاضرة فهو: «دور المدرسة في تنمية الجانب الخلقي للتلميذ». وهو موضوع وثيق الصلة بدراسة سبق أن أعددتها عن الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الابتدائية، ومدى الاستفادة من برامج العلوم الدينية في التعامل والسلوك اليومي بالمدرسة. إذ أن التربية الخلقية جانب مهم من الجوانب المتعددة التي يشملها المنهج المتكامل للإسلام، ذلك التكامل الذي صار الالتزام به والحث عليه هدفا لكل مخلص غيور، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق». (رواه مالك).

* قدم هذا البحث في صورة محاضرة بإدارة التعليم بالطائف يوم الثلاثاء الثامن من رجب ١٤٠٩هـ الرابع عشر من فبراير عام ١٩٨٩م.

ونعتقد أن العناية بالروح هدف سام وغرض، نبيل فى الإطار العام لهذا المنهج، ذلك لأن الروح طاقة مجهولة لم نتعرف على حقيقتها وكنهها، وليس لدينا إلا ما ذكرته الشريعة فى ذلك، ولكنها على كل حال وسيلتنا إلى الاتصال بالله، وتبصير التلاميذ ببعض ما قيل عنها؛ لتقوية الجانب الخلقى لديهم، والتأكيد على طبيعة الصلة الكائنة بين الله والأرواح.

وإذا أردنا أن نربى أبناءنا تربية إسلامية قويمة، وأن تنمى الجانب الخلقى لديهم، فلابد من أن نلتزم بالتعاليم الإسلامية فى البيت والمدرسة والشارع والمجتمع كله، ونحن ولله الحمد فى دولة مسلمة، ولذا من الممكن والمتيسر أن تكوّن آمالنافى تربية الأطفال وفق المنهج الإسلامى محققة، أو قريبة من الهدف المنشود، علما بأن بعض التلاميذ لا يستجيبون لتنمية الجوانب الخلقية عندهم بالصورة المرغوبة، ربما لعدم تعاون البيت مع المدرسة فى ذلك، أو لانشغال الأب أو ولـى الأمر عن أبنائه، أو تركهم للخادمة والسائق إلى غير ذلك من صـور الإهمـال، ومع التطـور الحديث فى العلوم والتقنية صار التلاميذ نهبا لمؤثرات كثيرة يأتى فى مقدمتها وسائل الإعلام المرئية التى تحرك أبناءنا – فـى مراحل معينـة – إلى أمـور كثيـرة جدا، ومن هنا يأتى دور الأسـرة والمدرسـة ليكتمل بدور المجتمع كل تأثير على التلاميذ إيجابا أو سلبا.

إن تربية الأبناء والإشراف عليهم مسئولية أمام الله سبحانه وتعالى، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «..... فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» «أخرجه البخارى ومسلم».

وعندما يترك الآباء والأمهات تربية أبنائهم إلى من لايثقون فيهم، أو ينشغلون عنهم بأعمالهم الخاصة، أو يقع الأبناء ضحية للصراع بين أفراد الأسرة عند ذلك يعم التشتت كيان البيت ويفتقد الأبناء قدرا كبيرا من الحنان والمودة والشعور بالعطف، وينعكس هذا بالتالى على أخلاقهم وسلوكياتهم، ويفتقدون الوعى الدينى الذى يهذب من تصرفاتهم، ويؤثر أيضا على نتائجهم فى الامتحانات، وتخسر الأسرة بهذا أشياء كثيرة.

ويمتد دور الأبوين ليشمل مسئوليتهم فيما يختارونه للأبناء من برامج «التليفزيون» أو الأجهزة الأخرى، فلا يليق بالأبوين وبقية أفراد الأسرة الكبار أن يتركوا الأبناء – والصغار خاصة – نهبا لكل ما ينشر ويذاع، والذى يصلح للكبار لا يصلح بالضرورة للناشئة كما تنهض الدولة بدور كبير فى ترشيد هذه الوسائل، لما فى التعامل معها بإسراف من خطورة على الأبناء.

وعندما يخرج الطفل من المنزل إلى المدرسة فإنه يبدأ فى الاحتكاك بالمجتمع سواء فى ذهابه إلى المسجد، أم فى تعرفه على الأقارب والأصدقاء، أم فى زيارته للجيران. إذن فالمجتمع دائرة أكبر وأوسع من محيط الأسرة. يبدأ الصغير فى مشاهدة أنماط من السلوك ربما تختلف عما شاهده وتعرف عليه فى نطاق أسرته. ومن الأفضل أن يحدث التقارب بين الذى يشاهده ويتعرف عليه فى الشارع أو غيره من جوانب البيئة، وبين الذى تعلمه، وتعود عليه فى نطاق أسرته حتى لا يحدث التناقض فى مرئيات الطفل فيرتد عليه بانتكاسات كبيرة فى تصرفاته السلوكية.

لقد حرصت على أن أنبه – فى البداية – إلى خطورة دور البيت وتأثير الآباء على أبنائهم، ولأن التلميذ يواجه نماذج من المجتمع قبل مجيئه إلى المدرسة، وكذا تكرر المقولة: «البيت قبل المدرسة، والتربية قبل التعليم». على أن دور المدرسة – مع أهميته – لا ينبغى أن يكون بمعزل عن تعاون البيت، وكلاهما يكمل الآخر، ولذا قال الأستاذ/ محمد قطب: «والمفروض فى المجتمع المسلم الذى يتحاكم إلى شريعة الله، ويطبق منهج الله أن تكون المدرسة إسلامية بمعنى أنها تربى تلاميذها ليكونوا صالحين، وتتمشى مع التربية الإسلامية التى بدأها الطفل فى المنزل، وتسير بها خطوات جديدة نحو الاكتمال، بل المفروض – وفيها مدرسون متخصصون فى التربية – أن تصحح وتقوم ما عسى أن يكون البيت المسلم قد نسيه، أو لم يحسن التوجيه فيه، فليس كل الآباء موهوبين فى فن التربية، وليس كلهم على المستوى المطلوب من حيث التصرف وسعة الإدراك، والمرونة اللازمة لعملية التربية»[1]

وهكذا تتأكد الصلة بين البيت والمدرسة، إذ أن كليهما يكمل الآخر، ثم تأتى بعد ذلك العوامل الأخرى التى أشرنا إليها، ليظهر أثرها جميعا على الجانب الخلقى عند التلميذ.

الجانب الخلقى:

الأخلاق هى الأعمال والسلوكيات التى توصف بالحسن أو القبح، فالصدق والأمانة خلق، والكذب والخيانة خلق، وعندما نتحدث عن تنمية الجانب الخلقى فإنما نقصد الأخلاق الإيجابية الحميدة.

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب جـ٢ ص ١٧٣، دار الشروق.

«إذا قلنا إن التربية هى توجيه سلوك الفرد، فإن الجانب الخلقى من غير شك يحتل مكاناً هاما فى عملية التربية، وذلك لأهمية الجانب الخلقى فى حياة الفرد وحياة الجماعة، وهذه الأهمية تتضح مما يلاحظ من أن معظم أسباب الفشل فى الحياة راجع إلى هفوات خلقية وتوجيه سيء».

وغايتنا من التربية الخلقية إعطاء الأقيسة الخلقية للسلوك الإنسانى، وبعث الوجدان الراقى، وحثه على القيام بما هو حق وخير وجمال»[١] .

فالأخلاق هى أيضا مجموعة الصفات التى يجب أن يتحلى بها الإنسان؛ ليكون مؤمنا تقيا ومواطنا صالحا، وبذلك نتأكد العلاقة بين الخلق والدين وبالأعراف الاجتماعية التى تخضع للقرآن والكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومن هنا وجبت العناية بالأخلاق الإيجابية عند التلاميذ، حيث توجيههم إلى القيام بالفضائل قبل دعوتهم إلى تجنب الرذائل.

وإنمـا الأمم الأخـلاق مـا بـقـيـت . . فـإن هـم ذهـبـت أخـلاقـهـم ذهـبـوا

كان القدماء من التربويين يعتبرون الطفل مجموعة من الشرور يجب القضاء عليها، ولذلك كانوا يميلون إلى القسوة فى التربية، ثم جاءت مجموعة أخرى من أمثال «جان جاك روسو»، واعتبروا الطفل خيرا بالفطرة، وأن الفضيلة استعداد فطرى، حيث يأتى الطفل إلى الحياة، وهو مزود بها، لكن الفساد يأتى من البيئة والظروف التى يعيش فيها.

---

(١) كيف نربى أبناءنا؟ – معروف زريق ص ٨١، دار الفكر بدمشق.

ثم جاءت الدراسات النفسية الحديثة، وأقرت أن الطفل يأتى إلى الحياة غير خير ولا شرير، ثم يكتسب الاتجاه الخلقى بالتقليد والمحاكاة، ويظهر لديه على نحو تدريجى، ويمر بمرحلة طويلة معقدة تندمج مع التطور الشامل لنفسية الإنسان الذى تجاوز مرحلة الطفولة، وانتقل إلى أطوار أخرى.

والذى ينظر إلى هذه الرؤية لا يراها تختلف كثيرا عن حديث للرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» متفق عليه.

لقد اعتنى الإسلام بتربية الأبناء، ووضع الأسس التى ينطلق منها المسئولون على التربية فى عنايتهم بالتلاميذ، وأن هذه الأسس متعددة ومتنوعة، فمنها الجسمية والعقلية والروحية والخلقية، وأن التنوع يأتى ملائما لعمر الطفل، إذ أن لكل مرحلة سنيّة ما يلائمها فالذى يتعلمه ذو السنوات السبع يختلف بالقطع عما يتعلمه الطفل الذى يتجاوز المرحلة الابتدائية، وحول ذلك أيضا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وقرقوا بينهم فى المضاجع» رواه أحمد..

ويجب أن يكون تبصير الأبناء بالقيم الدينية، والخلقية متماشيا مع قدراتهم العقلية، وذلك لأن الدين عند الطفولة «دين فطرى محدود بعقلية

الطفل وأفكاره المحدودة، وعجزه عن تقدير المشكلات التى يقدرها عقل الشباب»[١] .

وأريد أن أنبه هنا إلى شيىء مهم وهو القدوة، فالطفل قابل فى سنواته الأولى بخاصة للتأثر بمن حوله، والبعض يفعل أحيانا بعض التصرفات أمام الأطفال ظانا أنهم لا يفهمون ما يفعله، ولكن هذا خطأ كبير؛ لأن الطفل يبدأ فى التقليد منذ مراحله الأولى.. أليست الألفاظ التى يتعلمونها فى السنتين الأولى والثانية من أعمارهم إلا تقليدا لمن حولهم؟.

«وتعتمد التربية الخلقية – أساسا – على كسب الفضائل، وكسب العادات السليمة، وسلوك الطريق الذى يرتقى بالناشىء إلى ما يحقق له الخير، والفائدة، والمنفعة. كذلك يحقق له مجانبة الطريق الذى يؤدى إلى الضرر.. أى الذى يؤذى الناس أو يضر بغيره، ممن يعيش معه فى جماعة واحدة»[٢] .

مادامت الأخلاق لا تنفصل عن الدين، فالواجب أن تزيد وتتضاعف عناية التربويين بالتربية الدينية الإسلامية، فهى تقدم للإنسان قيما ومثلا عليا تهذب سلوكه، وتحثه على الصدق، وتدفعه إلى عمل الخير، وتأمره بالعفو والمعروف، وتشجعه على الصبر، وتحضه على الأمانة، وتكلفه بالسعى فى الحياة، والبحث عن الرزق، وتحبب إليه العطف والإيثار.

---

(١) الطرق الخاصة فى التربية لتدريس اللغة العربية والدين – محمد عطية الإبراشى، ص ٢٤٧ – مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) كيف نربى نشئنا؟ أحمد بن محمد طاحون، ص ١٥، دار المطبوعات الحديثة – جدة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

فالتربية الإسلامية تحفظ أبناءنا، وتسلحهم بما يقيهم من طغيان الاتجاهات المادية الزائفة التى أخذت تكتسح العالم فى السنوات الأخيرة.

ويلاحظ أن مجال الأخلاق التى تنطلق من ديننا متعددة مثل: الصدق فى القول والعمل، وحب الآخرين حبا نقيا صالحا، والأمانة وهى ضرورية جدا فى البيئة المدرسية، والالتزام بما فيه من طاعة وتنفيذ للأوامر المدرسية، والنظافة داخل المدرسة وخارجها، والحلم فهو سيد الأخلاق، والوفاء بالعهد والالتزام بالوعد، والرفق فى الأمور كلها، إذ لا يكون فى شيىء إلا زانه، ولا ينزع من شيىء إلا شانه، واحترام الآخرين، وزيارة المرضى، والعطف على الفقراء والمحتاجين، ومساعدة الضعفاء والمرضى، والاستئذان عند الدخول على الناس، والعناية بالمظهر وغيرها. والواجب على الأسرة والمدرسة أن تتابع كل هذه الأخلاق وتنميها عند التلاميذ فى شتى المراحل التعليمية.

قال الأستاذ/ عبد الفتاح أبو مدين: إننا البقية الباقية فى الأراضى حفاظا على مكارم الأخلاق والتمسك بالإسلام، وتطبيقه شرعة وسلوكا، فلايليق بنا أن نفرط فى شيء منه؛ لأنه وحدة متكاملة نصا وروحا، وينبغى أن يكون التطبيق.. وفق روح المنهاج، لأنه لا يليق بنا.. أن نأخذ ما يصلح لغيرنا.. على علاته، ونشيعه، وننشره فنتحمل تبعته وردود فعله، ومضاره، ونحن مسئولون أمام الله عن أى تفريط أو تقصير، إنها مسئولية جسيمة، وتبعة كبرى».

وقال : «ما أكثر ما تحمل السلعة المستوردة، من صحافة، وأغان، ومسلسلات وأفلام، من هذه الأدوار والأسقام، باسم الفن، والرأى والحرية الزائفة وعين الرقيب، وحس المسؤولية. أرجو أن يحولا بين هذا المجتمع الخير. وبين هذه الأوضار»[١] .

دور المدرسة :

إن للمدرسة دورا كبيرا فى تنمية الجانب الخلقى عند التلميذ. إذ أنها تستطيع أن تقدم ما يعجز عنه البيت، كما أن لديها من الأساليب، والأجهزة والمناهج مالا يتوفر لأكثر الأباء، وهى تملك طاقة مؤثرة ينهض بها المدير والوكيل والمراقب والمدرس والمشرف الاجتماعى وأمين المكتبة بالإضافة إلى عمال المدرسة، والذين يتوخى فيهم أن يعاملوا التلاميذ معاملة أخلاقية طيبة تنطلق من شعورهم بالأبوة نحوهم.

وتزكد أن هذه الطاقات والإمكانات – فى حالة قيامها بواجبها – يمكن أن تؤثر تأثيرا إيجابيا فعالا فى أبنائنا التلاميذ من خلال البرنامج اليومى، كما ينبغى أن تؤدى دورها بروح الفريق كما يقولون، ويجب أن يكون أداؤها متلاحما ومكملا لبعضه، ومواكبا لكل ما فى المقررات الدراسية من أخلاق ومثل ومبادىء».

(١) فى محـ ... الحـياة: عبد الفتاح أبو مدين، ص ٤١١، نشر نادى جدة الأدبى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الإدارة المدرسية :

نُقصد بالإدارة المدرسية المدير والوكيل، ومن ينهض بالتبعة معهم مثل الموجهين ومديرى المناطق التعليمية وغيرهم. وهؤلاء جميعا عليهم دور كبير فى تنمية الجوانب الخلقية عند التلاميذ سواء عن طريق المدرس أم عن طريق المواد الدراسية، أو من خلال البرنامج اليومى فى المدرسة، وما يحدث فيه من أنظمة وأنشطة مثل طابور الصباح والتنشيط البدنى والمحافظة على نظافة المدرسة والاستفادة من المكتبة وأداء الصلاة وعقد اللقاءات الدينية والتربوية ومتابعة مجالس الآباء والمدرسين ومراقبة الطلاب خلقيا داخل المدرسة، والتنبيه على الأخطاء القولية والسلوكية، والتحذير منها، إذ أن بعض التلاميذ قد يفعلونها عن جهل، أو يقومون بها بقصد التظاهر أمام زملائهم الأصغر منهم، والاهتمام بالنشاط الثقافي والرياضى والاجتماعى والفني، وتوجيهه بما يخدم الجوانب الخلقية، وتكوين جماعات عمل داخل المدرسة من ذوى الأخلاق الحسنة؛ لإقامة نشاطات دينية متعددة تتناسب مع أعمار التلاميذ، وتسهم بمتابعة الأنشطة الثقافية كالإذاعة ومجلات الحائط، ومتابعة الطلاب خلقيا فى الفصول والساحات المعدة لقضاء أوقات الراحة «الفسح» ويكون ذلك بإشراف بعض مدرسى المواد الدينية.

ويحسن أن تعمل الإدارة المدرسية على أن يكون جو المدرسة جوا علميا هادئا قائما على التسامح والتعاون، مبنيا على الأخلاق الحميدة، فهذا الجو له أثر كبير فى غرس الأخلاق الفاضلة فى نفوس الطلاب وطبعهم عليه.

ويمكن للإدارة أن تنهض بإقامة معسكرات صيفية للطلاب، إذ أنها تنمي الحب بينهم، وتبعث الألفة في نفوسهم مع التركيز فيها على الجوانب الدينية والاجتماعية والرياضية والتربوية.

وتؤكد أن الإشراف الإدارى والتربوى مهم جدا؛ لأن النفس الإنسانية تأمر – أحيانا – بالسوء، ولذلك من الضرورى أن تنهض الإدارة بمتابعة المدرس من حيث الحضور والأداء وتنفيذ التعليمات، وأن تحرص أيضا على حل مشكلاته، وأن تشاركه فى أفراحه وأتراحه، وحتى يدرك ويتأكد أنه ليس منعزلا، وأنه فرد ذو قيمة فى المجتمع، وبذلك يندفع إلى التفانى فى عمله والإيمان برسالته، واتقاء الله فى الأمانة التى يقوم بها.

يجب على المدرسة أن تؤدى دورها كاملا، لكى نصل إلى غرس القيم الروحية والخلقية، وتمكين العقيدة من نفوس التلاميذ، كما يجب أن تكون أول مجتمع يوجه الإشعاع نحو تعاليم ديننا الحنيف، وذلك عن طريق المناهج التى تقدمها، وعن طريق أدائها من قبل مدرسين أكفاء متمسكين بتعاليم الدين الإسلامى الذى يدعوا إلى الأخلاق الحميدة، وتحت قيادة مديرين ملتزمين بالآداب الإسلامية، ضاربين المثل الأعلى والقدوة الحسنة للمدرسين والتلاميذ، متعاونين مع البيت فى تهيئة الجو الملائم للنمو الخلقى والروحى والدينى عند الطلاب[١].

---

(١) مجموعة آراء مقتبسة عن عدد من استطلاعات الرأى التى وصلتنى من الدكتور خالد المسعود والأستاذ محمد الداود، والدكتور/ محمد عسيرى، والأستاذ عبد الله الأنسى، وكلهم من منسوبى الكلية المتوسطة بالطائف (كلية إعداد المعلمين).

ومن الأخطاء التى انتشرت أخيرا تلك الرؤية التى يرددها البعض، وهى أن سلطة المدرسة لا تتجاوز أسوارها، ولقد كانت هيبة المدرسة - إلى زمن قريب - ذات تأثير على الطلاب، حتى إن الواحد منهم كان يتحاشى أن يواجه أستاذه فى محل أو شارع، هيبة منه، وتقديرا له. ونتيجة لضعف هيبة المدرسة أحيانا صار التلاميذ لا يأبهون لها، ويعتدون على بعضهم أمام بوابتها. وأعتقد أن هذه السلوكيات السلبية يمكن القضاء عليها بحسن المتابعة، وتنمية الشعور الدينى، والعناية بالنشاط الرياضى، وعقد الحلقات لتحفيظ القرآن الكريم. والعمل على خلق جو تسوده المحبة والتعاون، والتسوية بين التلاميذ فى العمل والاهتمام بهم، وإشعارهم بكيانهم ودورهم فى المجتمع وظهور أعضاء الإدارة بالمظهر الحسن، وحرصهم على القدوة الحسنة ودراسة مشاكل التلاميذ، وإبلاغ أولياء الأمور بكل ما يطرأ عليهم من متغيرات. وعلى كل فالدور المنوط بمدير المدرسة دور كبير وخطير إذ بإمكانه أن يسهم فى تنمية الجانب الخلقى عند تلاميذ مدرسته متى كان قدوة حسنة فى كل ما تقدم، فلا يمكن له أن يتوقع منهم التحلى بالإخلاق إذا لم يكن هو نفسه متحليا بها أمام كل الصغار والكبار بالمدرسة.

تستطيع المدرسة - من خلال إدارتها - أن تدعم كثيرا من المعتقدات والاتجاهات الحميدة التى تكونت فى البيت، كما يمكن لها أن تمحو أثر بعض العادات والقيم غير السليمة التى اكتسبها الطفل من أسرته. وليس من العسير عليها أن تزيل بعض ما يعلق بنفس التلميذ من صراعات منزلية ترسبت فى ذاكرته، وأن تدربه على ممارسة العلاقات الإنسانية القائمة على أسس إسلامية بطريقة منظمة مخططة. ولا يخفى علينا أثر المناهج والمقررات، وبخاصة المواد الدينية فى التأثير الإيجابى على الجوانب الخلقية عند التلاميذ.

دور المدرس:

يعتبر المدرس حجر الزاوية فى العملية التعليمية والتربوية، فهو يؤثر بأقواله وأفعاله ومظهره وسائر تصرفاته فى التلميذ، وفى تنمية الجوانب الخلقية لديه، ويستطيع أن ينجح فى رسالته ما دام خلوقا مهذبا متمسكا بالسلوك الإسلامى الحميد، ولايمكن أن يؤدى دوره فى إرساء القواعد الأخلاقية إذا افتقد لما يجب عليه أن ينهض به.

«ولكى ينجح المدرس في دروسه يجب أن يكون متدينا، واثقا بالله كل الثقة، معتقدا في دينه بقلبه ولسانه، يثق بالله ووحدانيته وقدرته»[١].

ويجب عليه أن يكون قدوة لتلاميذه حتى لا ينطبق عليه قول الشاعر:

لا تنـه عـن خـلـق وتـأتـي مـثـلـه ... عـار عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـم

ولا يليق بالمدرس أن يكون تدينه ظاهراً إذ أنه لا يلبث أن ينكشف على حقيقته، وهنا تكون النتيجة سيئة للغاية؛ لأن التلاميذ سيصدمون صدمة عنيفة عند كشف هذا الزيف، ولهذا يجب أن يكون مدرس الدين عظيم التدين، قوى الإيمان، متمكنا من دينه في نصوصه وأحكامه وفقهه مقتنعا بما جاء فيه، عاملا طبق أوامره ونواهيه، قادراعلى تقريب دروسه إلى أذهان تلاميذه حتى يحسنوا فهمها والعمل بها[٢].

(١) الطرق الخاصة فى التربية: محمد عطية الإبراشى، ص ٢٥١.

(٢) انظر: الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية والدين: حسن حريرى وآخرون، مكتبة دار مصر للطباعة.

كما لا يكفى من المدرس أن يكون متدينا من غير أن يحول تدينه إلى سلوك حسن يبدو به أمام تلاميذه . وهنا تؤكد أن: «لخلق المدرس أثر كبير فى أخلاق تلاميذه، فهو قدوة لهم يحاكونه فى أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته فيجب أن يكون متمسكا بدينه متحليا بالفضيلة متجنبا كل رذيلة»[١] .

ولابد أن يكون ملما بفنون التربية – إلى جانب الدين والعلم، وذلك؛ «ليتمكن... من دراسة نفسية الطفل والنزول إلى مستواه، والاتصال العاطفى به»[٢]

ويجب أن يحرص المدرس على ربط الدين بمواقف الحياة المختلفة وتقديم الجوانب الخلقية من خلال الدروس وبصورة متفرقة وغير مباشرة، أما حكاية الوعظ والإرشاد التى يكتفى بها بعض المدرسين دون التنوع فى الأساليب فلا يخالجنا شك فى التأكيد على عدم جدواها، أو أن يكون الأثر ضعيفا جدا ولا يعدل ما بذل فيه من جهد.

ونؤكد على أهمية القدوة الحسنة داخل المدرسة وخارجها خاصة أن التلميذ يتأثر بمدرسه أكثر من تأثره بوالديه . ويجب عليه أن يتصف بالعدالة وعدم التفريق بين التلاميذ، وأن يكون تعامله معهم انطلاقا من الإسلام وأخلاقه الحسنة، وأن يكون حريصا على أن يجعل تعامله معهم كما يتعامل القاضى مع المتخاصمين، وأن يجرى الحوار بطريقة أخوية أو أبوية بعيدة عن القسوة والعنف، وألا «يتبسط» معهم جدا للدرجة التى يذوب فيها احترامهم له . وكثيرا

(١) الطرق الخاصة: محمد عطية الإبراشى، ص ٣٥ .

(٢) تاريخ التربية الإسلامية: د/ أحمد شلبى، ص ٢١٠، النهضة المصرية .

ما يفتقد الطفل ما تعلمه من مثاليات بسهولة – سواء أخذها من الكتب المقررة مباشرة أو تلقاها عن مدرسه،وذلك عندما يخرج إلى الحياة العامة ويجد الواقع ممضا، وعلى خلاف الصورة التى رسمها له مدرسوه.

ويجب أن يترفع المدرس عن الإهانة والشتائم التى يوجهها إلى الطلاب داخل الفصل أو فى طابور الصباح؛ لأنهم يستمعون إلى هذه الألفاظ، ثم تعلق بذاكرتهم، ويرددونها فيما بينهم، ويصبح من العسير عليهم أن يتخلوا عنها. ومن الأخطاء التربوية الشائعة عدم انتظام المدرس فى الحضور إلى الفصل والخروج منه، وربما يلجأ إلى وسيلة يحفظ بها للفصل هدوءه عندما يكلف أحد التلاميذ بحفظ النظام فى الفصل، ونتيجة لذلك، يحدث الخصام بين الطلاب، وتتولد الكراهية فى صدورهم، وربما يترصد بعضهم للآخر نتيجة لغياب المدرس، أو تركه للفصل. ومن صور الزيف التى ينهض بها بعض المدرسين، وتترك أثرا سيئا على نفوس الطلاب قيامه بإعداد مجموعة من الكراسات وعدد من الطلاب؛ ليكونوا الواجهة له أمام المديرين والموجهين، ولا شك فى أن أكثر التلاميذ يستنكرون ذلك من المدرس ويسقطونه من أنظارهم، وتصبح سلوكياته أمامهم عديمة الجدوى، وهذا الأمر – للأسف – معروف للكثيرين. وهى صورة مرفوضة من صور الغش، ولا يقف الأمر عند ذلك بل ظهرت صور أخرى أشد خطورة منها قيام بعض الطلاب بشراء بعض الوسائل التى لم يبذل فيها جهدا ذهنيا، واقتصر على دفعه لثمنها، ثم يأتى بها إلى المدرس ليعلقها على جدران الفصل، أو ليحفظها فى مكتبه، ويتكرم على التلميذ بمنحه بعض الدرجات على عمل لم ينهض فيه بأى جهد.

إن هذا الغش الذى يرتكب من خلال «الوسائل التعليمية» منتشر، ويحتاج إلى تدخل من قبل إدارات التعليم، وإلى وقفة حازمة من قبل المديرين والموجهين. إن الوسيلة ذات هدف نبيل، ولها مردود إيجابى على طريقة التحصيل، ولكن يجب أن تكون نابعة من الطالب، معبرة عن مستواه، وليست مشتراة من محترف يكتسب منها الأموال .

ومن الصور السلبية التى تنعكس على أخلاق التلاميذ أن يتحدث إليهم المدرس عن أسرار بيته، أو ينقل إليهم ما يجرى من خلاف بينه وبين زملائه، أو يكلفهم بشراء أشياء يستثمرها لمصلحته الخاصة، أو أن يهمل مظهره. وكثيرا ما نشاهد بعض المدرسين وهو لا تفارق العصا يده، أو أن يبادر بالضرب والإهانة قبل الاستماع لأقوال المتخاصمين، ويجب على المدرس أن يتحول بسلوكه إلى النواحى الإيجابية، وأن يوقن أن ما يقوم به رسالة سامية، وليست مهنة قاصرة على الارتزاق. وأن يحاول الربط دائما بين الدين والأخلاق من حيث أنهما يهدفان لغاية واحدة.

«إن الطفل فى سنى حياته الأولى يفكر على مستوى حسى، فهو لا يدرك المجردات والمعانى الفلسفية، ولذا يجب تقريب هذه الأمور له بشكل حسى وربطها بواقعه وحياته، فاليوم الآخر من المواضيع البعيدة عن حياة الطفل، ولذا يمكن تقريبه لذهن الطفل عن طريق مقارنته بالفحص الذى تجريه المدرسة فى نهاية العام»[١] .

---

(١) كيف نربى أبناءنا: معروف زريق، ص ٨٧.

إن التعليم مهمة خطيرة يتحمل المدرس تبعتها بالدرجة الأولى، وعليه تقع هذه المسئولية، فالموجه يأتي ثم ينصرف، والمدير يجلس للمتابعة في مكتبه أو بالمرور المتقطع والمتابعة غير المستمرة؛ أما المدرس فإنه المؤثر الأول والمتحدث المباشر، وهو الشخص الوحيد الذي يفهم التلميذ فهما صحيحا، وربما أكثر من أبيه وأمه، ولذلك ينهض التلميذ كثيرا بمحاكاة أستاذه .. «إن الطفل ميال إلى التقليد، وخاصة تقليد أبيه أو معلمه فهو مثل أعلى بالنسبة له وكذلك فعل المربي أن يكون قدوة صالحة لطفله، فنظافة المعلم واحترامه لنفسه وقيامه بواجباته، وحفظه للمواعيد ومعاملته للآخرين كل ذلك يلعب دورا هاما في غرس الاتجاهات الخلقية الصحيحة عند الأطفال»[1] على أن الجانب المهم في إنماء العناصر الأخلاقية عند التلاميذ هو التطبيق، وتحاشي الهوة السحيقة التي تتولد أحيانا كانفصام بين النظريات التربوية والواقع المعاش سواء على مستوى المدرسة أم البيت. وتعتبر الصلاة نموذجا فعالا للجانب التطبيقي إذ أن لها أثرا نفسيا عميقا يستقر في وجدان التلاميذ، وينعكس بالإيجاب على تصرفاتهم. خاصة أنها تقترن بالكثير من الأخلاق مثل الصبر والهدوء والنظام وغيرها، فضلا عن دورها الكبير في ترسيخ العقيدة الدينية عند الأطفال.

المشرف الاجتماعي:

لا تنفصل دور المشرف الاجتماعي عن دور المدرس كثيرا فكلاهما يكمل الآخر، غاية أن المشرف يتوفر له من الوقت والهدوء والمتابعة ما يستطيع به التعرف على الظروف المحيطة بالتلاميذ، ويتمكن بذلك من الإسهام في حلها

---

(١) السابق: ص ٨٥.

وإعادة السفينة إلى متابعة السير. ويأتي دوره من نهوضه بالربط بين المدرسة والبيت، حتى لا يضيع الطالب بين الاثنين. كما يجب أن يلحق بكل مدرسة إخصائي اجتماعي نفسي مدرب قادرعلى اكتشاف الحالات الانحرافية بين الطلبة مبكرا «كالتخلف الدراسي، أو الانطواء، أو سوء العلاقات مع الغير أو العدوان أو الانحرافاتالجنسية ... إلخ»، ومحاولة علاجها مبكرا والاستعانة بالمعالجين النفسيين إذا اقتضى الأمر(١) .

وينبغي كما ذكرت ألا ينفصل دور الإخصائي أو المشرف عن دور المدرس والإدارة المدرسية، وهم جميعا حلقات متصلة تعمل لخدمة التلميذ وتنمية أخلاقه.

المكتبـــــة :

للمكتبة دور كبير في الإسهام بتنمية الجوانب الخلقية عند التلاميذ بما يتوفر فيها من كتب ومراجع تحكي سيرة الأنبياء وتاريخ العلماء وفضائل الأخلاق. وهي جزء لا يتجزأ من المدرسة، ولها مهمة تعليمية أساسية ويتوفر فيها مالا يتوفر في المكتبات الصغيرة بالفصول، كما أنها تضم العديد من القصص والحكايات التي تستهوي التلاميذ، في جميع الأعمار وينبغي أن يوجد لها «أمين» فاهم لعمله حريص على الإفادة، ومن الخطأ أن يسند الإشراف عليها إلى أحد المدرسين الذي يستخدمها كمجلس خاص له يقضي فيه وقت الفراغ أو أن يفتحها في الوقت الذي يروق له وبذلك لا تتيسر للطلاب سبل الاطلاع أو الإعارة.

---

(١) علم النفس التربوي: د. محمد مصطفى زيدان، د. نبيل السمالوطي، ص٣١، دار الشروق بجدة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

خاتمـــة

١ – لقد وضح مما سبق أن الأخلاق هى السلوكيات الحميدة التى يجب على القائمين بالتعليم أن ينهضوا بتنميتها عند التلاميذ فى المراحل المختلفة، وأن المدرسة تنهض بدور كبير تكمل به رسالتها فى التربية، وتسد ما اعتور حياة التلاميذ من نقص بسبب أى نوع من الممارسات الخاطئة التى ترتكبها الأسرة بقصد أو بدون قصد.

٢ – لابد أن تنبع التربية الأخلاقية من التعاليم الدينية، وأن ننطلق فى تعاملنا مع التلاميذ من واقع الأبوة المخلصة.

٣ – يجب أن نتوجه بالمناهج والمؤلفات المقررة لخدمة العقيدة التى تنهض بإثراء الخلق، وتغذية الروح وإنماء الفكر.

٤ – إن دور المدرسة ليس مقصوراعلى المدير أوالوكيل وإنما يمتد ليشمل كل من فى المدرسة، وتأتى التبعة الأولى على المدرس بما له من دور خطير فى توجيه سلوك التلاميذ. كما ينهض المشرف الاجتماعى وأمين المكتبة بأدوار يتممون بها رسالة المدرس.

٥ – يجب على كل من يشارك فى العملية التعليمية أن يكون قدوة حسنة لغيره؛ وللتلاميذ بصفة خاصة.

٦ – ينبغى أن نحرص على الأمانة والتفانى فى حل مشكلات الطلاب فهى ذات خطر عظيم على أنفسهم إذا لم نفرغ لها بالحل المخلص الأمين.

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

(آل عمران: ٨)

الفصل الخامس

الضعف فى الإملاء، المشكلة والحل

(دراسة تطبيقية)

تمهيد

أحببت أن أسهم بدورى فى التصدى لمشكلة مهمة من مشكلات التعليم، وهى الضعف فى مادة الإملاء. ولم أرغب فى الاستعانة بالمراجع والمؤلفات الكثيرة لثقتى؛ الكاملة فى أن التعايش مع المشكلة من واقع العمل أهم بكثير من عثرات بالمراجع والدوريات.

ولقد كُلّفت بتدريس مادة (التحرير العربى)[1] فى عدة فصول دراسية متتالية، وأحسست بعد هذه المرحلة من التدريس برغبتى الملحة والأكيدة فى وضع تصور كامل لهذه المشكلة من كل النواحى، آملا أن يسفر هذا التصور عن علاج لهذه المشكلة أو تقليل لحجمها وتخفيف لتجاوزاتها. وفى أثناء الفصول الدراسية السابقة كنت أرغب ما استقر لدىّ من آراء حول هذا الضعف، وحاولت أن احتفظ بنماذج كثيرة من الأخطاء الشائعة للطلاب والدارسين من خلال التطبيقات التحريرية والاختبارات الدورية، على أمل الوصول إلى رأى محدد حول أكثر الأخطاء المنتشرة. وأقرر أن وسائل الإعلام، وبخاصة الصحف

---

(١) فى الكلية المتوسطة بالطائف رجب سنة ١٤٠٧هـ مارس ١٩٨٧م.

اليومية لم تغفل عن الضعف العام فى هذه المادة بين الطلاب والطالبات فى كل مراحل التعليم، وقد عرضت لذلك فى حدود المستوى العام للقراء، من غير أن يأخذ هذا العرض – فى مدى علمى – صورة رسمية تتجاوز حدود الصحف إلى الدواوين الحكومية المختلفة.

ومن واقع عملى رأيت أن تكون الدراسة حول ضعف الطلاب والدارسين بالكليات المتوسطة فى الإملاء؛ ليقينى أن ما ينطبق على كلية متوسطة أو جامعية ينطبق على غيرها من الكليات المناظرة.

والمقيدون للدراسة فى الكليات المتوسطة إما أن يكونوا طلابا أو دارسين، والطلاب هم الحاصلون على الثانوية العامة بقسميها العلمى والأدبى، والدارسون هم مدرسون أصلا سبق لهم أن حصلوا أنواعا مختلفة من الدراسة، وقضوا فى حقل التدريس سنوات من العمل والممارسة، ثم رشحوا إلى الكليات المختلفة فتقدموا لها وانخرطوا فى سلك الدراسة بها.

وقد لاحظت أن الضعف فى الإملاء وفى الخط أيضا لا يختلف فيه الدارسون والطلاب اختلافا بينا متميزا، فقد نجد كثيرا ن المتفوقين والمبرزين فى دراسة الإملاء دارسين وطلابا، وقد نجد أيضا من هم دون المستوى (ضعافا) من الطلاب والدارسين (معا) ولو كان الفرق واضحا وبينا للزم الفصل بين المستويين فى المناهج والأساليب وغيرها.

ونعود لنؤكد أن الضعف فى الإملاء وفى بعض المواد المتصلة بها كالخط والتعبير أصبح شبه عام، وقد استشرى بين قطاعات كبيرة من المتعلمين

واستشعره بعض المسئولين فى دور التعليم من واقع التجارب التى قمت بها فى أكثر من مؤسسة تعليمية، وهذا ما يجعل العناية بمادة الإملاء ضرورة ملحة خاصة فى الكليات التى ينهض المتخرجون منها بالعمل فى حقل التدريس، ولذا يعد الخطأ الإملائى منهم أثناء العمل خطيرا، إذ أنهم يعلمون صغار التلاميذ الذين ترتسم الكلمات بصوابها وخطئها فى مخيلاتهم، ويبقون عليها كما رسمت وقدمت لهم ولذا كانت العناية بهذه النوعة من المتعلمين ضرورة ملحة وواجبا تربويا رائعا، وليس التعديل الأخير الذى تمت الموافقة عليه لنظام الدراسات فى الكليات المتوسطة[1] إلا ترجمة حقيقية، لأهمية هذه الفئة فئة المدرسين فى الصفوف الابتدائية.

أهداف دراسة الإملاء:

١ - للإملاء أهمية كبيرة فى دراسة الطلاب[2]؛ لأنها تتصل بجميع فروع دراستهم وبجميع أعمالهم الكتابية فى أثناء الدراسة وبعدها حيث نرى الضعف فى الإملاء ينعكس على بقية المواد، فيرسب كثير من الطلاب فى بعض المواد الأخرى نظرا لضعفهم فى الإملاء وبسبب رداءة الخط أيضا. إذ لا يستطيع المصححون الوصول إلى الإجابة الصحيحة للأسئلة.

٢ - الإملاء وسيلة رئيسية لتعليم الرسم الصحيح للحروف والكلمات مع مطابقة هذا الرسم للأصول الفنية المعروفة، وتحاشى نقاط الضعف فى التحرير

---

(١) بتحويلها إلى كليات إعداد المعلمين زادت فيها السنوات الدراسية والساعات المعتمدة لها.

(٢) انظر كتاب (الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية والدين: لحسن الحريرى وآخرين ص ٧٥).

الكتابى، وعلى ضوء هذا التحرير يكتمل المعنى، ويتضح فى نظر القارىء، فالسين والهمزة واللام (مثلا) يمكن أن يتألف منها كلمة (سأل) وهذه تؤدى معنى لا تؤديه الكلمة إذا رسمت على هيئة أخرى مثل (سئل).

٣ – تسهم مادة الإملاء فى إكساب الدارسين والطلاب قدرا كبيرا من الخبرات والمعلومات والمهارات، وتساعدهم فى تنمية معارفهم اللغوية التى تعاونهم فى كتابة التعبير (الإنشاء) وأيضاً فى تحسين خطوطهم (مادة الخط).

فالطالب أو الدارس الذى يملك قدرا كبيرا من الألفاظ يستطيع أن ينوع فى أنماط أسلوبه، فلا يكرر ألفاظه مادامت ذاكرته تسع قدراكبيرا من الكلمات المترادفة التى يمكن أن تنوب إحداها عن الأخرى. وتتيح له أيضا هذه المادة أن يتحرى الدقة فى استعمال اللفظة، وأن يختار منها ما يتلاءم مع المعنى. ولعلنا ندرك مثلا الفرق بين قولك لإنسان: (أنت كاذب) وقولك له (أنت غير صادق). ولهذا وجب فى التعبير الكتابى أن يعتنى باللفظة عناية كبيرة مع متابعة أوجه استعمالها من ترادف أو تضاد أو غيرهما[1] ويعد هذا الهدف مقدمة لما يأتى بعده وهو:

٤ – الإملاء من فروع اللغة العربية المتعددة. حيث نرى ارتباط القواعد الإملائية بالقواعد النحوية والصرفية وغيرها. والمادة (الخام) فى علوم اللغة واحدة. حيث تتكون الكلمة من عدة حروف، وتتشكل الجملة من عدة كلمات، ومن مجموع الجمل ينسبك المقال أو الخطبة أو القصيدة أو الرسالة أو غيرها،

---

(١) راجع الفصل الثانى من كتاب (التحرير العربى) للدكتورين أحمد شوقى وعثمان صالح، نشر جامعة الملك سعود.

ولابد من معرفة ما بين علوم اللغة من ترابط وتشابك. فالخطأ فى الرسم الكتابى قد يرجع إلى الإملاء كالأخطاء المنتشرة فى كتابة الهمزة مثلا، وقد يرجع إلى الصرف كالخطأ فى كتابة الألف اللينة، وقد يرجع إلى النحو كالخطأ فى وضع الألف أمام واو الجماعة عند الإضافة تشبيها للاسم بالفعل، فترى من يكتب خطأ (منسوبو الكلية)، والصواب أن النون تحذف مع جمع المذكر السالم عند الإضافة ولا ترسم ألف بدل النون فى حالة الرفع أمام الواو، كما تتصل الإملاء بمادة القراءة، حيث تكون الإملاء فى بعض الصفوف الابتدائية منقولة إذ ينقل التلميذ ما قرأه وتعرف عليه ثم تكون منظورة (مقروءة) ومسموعة. كما لا يخفى اتصال الإملاء بمادة الخط، وغالبا ما تكون دراسة الإملاء تمرينا على الخط الجيد والرسم المتمق للحروف والكلمات.

نماذج من الأخطاء الشائعة:

ذكرت فيما سبق بعض الأهداف لدراسة الإملاء، ومنها تتضح أهمية هذه المادة؛ وضرورة العناية بمناهجها وخططها فى مؤسسات التعليم المختلفة وبخاصة فى الكليات الخاصة بإعداد المعلمين. ويحسن هنا أن أذكر بعض الأخطاء الشائعة التى تابعتها بنفسى(١)، علما بأن هذه الأخطاء وغيرها ليست خاصة بطلاب معينين، فهى تتكرر فى كتابات غيرهم ممن يشتغلون فى أعمال تتصل باللغة اتصالا وثيقا كالإعلام والتدريس والكتابة الأدبية. ومن هذه الأخطاء:

---

(١) جمعت نماذج لهذه الأخطاء من خلال كتابات الدارسين والطلاب فى المجموعة الأولى فى الفصل الدراسى الأول لعام ١٤٠٧هـ بالكلية المتوسطة بالطائف.

١ – إضافة ألف بعد الفعل المضارع الناقص (الواوى) فى حالة الإفراد مثل تعلو الشمس، وتسمو الكلمة فتكتب خطأ هكذا (تعلوا الشمس وتسموا الكلمة).

٢ – عدم كتابة ألف بعد إسناد الفعل إلى واو الجماعة فتكتب (قالوا، أرادوا، باعوا) خطأ هكذا: (قالو، أرادو، باعو).

٣ – إثبات ألف أمام واو جمع المذكر السالم فى حالة الإضافة فيكتبون هذه الجمل (مثلا) «مدرسو الكلية متواجدون» على النحو التالى مدرسوا الكلية متواجدون، ولعل هذا الخطأ إلى الخلط بين أمور متشابهة إذ لا يفرقون بين الاسم والفعل فى هذه الناحية، وينتشر هذا الخطأ (بالذات) انتشارا واسعا – وقد سبق أن أشرت إليه.

٤ – عدم التزام القواعد المعروفة فى حذف بعض الحروف من الكلمة مثل هذا ولكن وغيرها فيكتبونها هكذا/ «هاذا، لاكن».

٥ – إشباع الضمة فى آخر بعض الكلمات إلى الدرجة التى يضيفون بعدها واوا فيكتبون كلمة (نحن) على هذا الشكل (نحنو).

٦ – كتابة بعض الحروف بدلا عن أخرى متقاربة معها فيقلبون الظاء ضادا مثل (يضن) والصواب (يظـن) ومثل قلب الضاد ظاء كقولهم «ظابط» فى «ضابط».

٧ – وصل بعض الكلمات ببعضها وأشهرها وصل (إنْ) الشرطية بالفعل (شاء) فتكتب الكلمتان خطأ هكذا (إنشاء).. الله تعالى. والصواب: إن شاء الله تعالى. والمؤسف أن هذا الخطأ منتشر فى كتابات كثير من المتعلمين، ولا تنتبه له بعض الصحف.

٨ – هناك أخطاء أخرى كثيرة يعود معظمها إلى الهمزتين المتوسطة والمتطرفة وإلى تاء التأنيث المفتوحة والمربوطة، وإلى همزتي الوصل والقطع وإلى الألف المتطرفة فتكتب كلمة (مبتدأ) خطأ هكذا: (مبتداء) وتكتب الكلمات الآتية: الزنى، والهدى، والربا على غير الصورة المذكورة ولا يقتصر الخطأ في الألف اللينة على الاسم، بل يشمل الفعل أيضا إذ يكتبون الأفعال: رمى وقضى وسما ودعا وما يشبهها على غير صورتها الصحيحة.

٩ – عدم العناية بعلامات الترقيم مع أنها تسهم بدور كبير في تحديد (المعنى) وبيان الغرض منه، والفصل بين أجزاء الكلام، كما توضع بعض العلامات في موضع الآخر إظهاراً، أو ادعاء للمعرفة في بعض الأحيان. وأعتقد أن هذه الأمثلة المذكورة كافية للتدليل على مظاهر الضعف في الإملاء.

أسباب الضعف في الإملاء.

مادمنا قد تأكدنا من وجود الضعف في هذه المادة بمراحل التعليم المختلفة وبخاصة بين طلاب الكليات، فلابد من تحديد أهم الأسباب التي نشأ عنها هذا الضعف بالنظر طبعا إلى سنوات، عديدة سابقة كانت فيها برامج التعليم تختلف عما هي عليه الآن، ولذلك سوف أعرض فيما يأتي لأهم الأسباب:

١ – مناهج الإملاء في الكليات المختصة متغيرة وغير كافية، فقد كانت المادة منذ عدة سنوات ذات منهج إملائي محدد كالموضوعات التي عالجتها

بعض الكتب المتداولة[١] ثم تغير اسم المادة إلى (التحرير العربي) وصار المنهج إلى التعبير أقرب منه إلى الإملاء، علما بأن هذا المنهج تسير عليه – في حدود علمي – جامعة الملك سعود من خلال كتاب مطبوع في هذه الجامعة[٢]، وليس في هذا الكتاب على أهميته قاعدة إملائية واحدة مما يخطيء فيه الطلاب والدارسون، مع الإقرار بتقارب هذا الكتاب من حيث موضوعاته مع مقررات مادة التحرير العربي في الكليات المتوسطة وكنت مع زملائي نقع في إشكالية كبيرة أمام هذه المقررات، إذ أن ما فيها لا يتجاوز بعض الموضوعات التعبيرية كالمقال والتلخيص والتقرير والرسالة الإدارية.. ودراسة هذه الموضوعات وغيرها لا يقدم ولا يؤخر في دراسة القواعد الإملائية، لذلك كنا نقدم هذه الموضوعات للطلاب والدارسين ثم نضيف إليها أهم القواعد الإملائية الأخرى – في حدود الزمن المتاح – كعلامات الترقيم، وهمزتي الوصل القطع والهمزتين المتوسطة والمتطرفة والألف اللينة وغيرها، ثم زاد المقرر الزمني للمادة بعد بداية الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٠٧هـ فأصبح ساعتين أسبوعيا على مدى فصل دراسي واحد. وهذه الزيادة الزمنية التي لم يصحبها زيادة في المقرر جزء بسيط من الحل، وليست علاجا ناجحا ومفيدا لكل أجزاء المشكلة وإن كانت تكشف – حسب رؤيتي – عن خطورة هذه المشكلة وأهميتها ولذلك قرر قسم اللغة العربية [٣] اختيار منهج ملائم لمفردات هذه المادة اعتبارا من الفصل

---

(١) مثل كتاب الإملاء والترقيم للأستاذ عبد العليم إبراهيم، أو كتاب المفرد العلم في رسم القلم للسيد أحمد الهاشمي.

(٢) هو كتاب التحرير العربي من إعداد الدكتورين أحمد شوقي رضوان وعثمان صالح الفريح.

(٣) في الكلية المتوسطة بالطائف يوم الأربعاء ١/٧/١٤٠٧هـ (١١/٣/١٩٨٧م).

الدراسى القادم[١] يجمع بين المقررات الرسمية التى نصت عيها الإدارة العامة لإعداد المعلمين عندما كان الزمن ساعة واحدة أسبوعيا وبعض الموضوعات الإملائية؛ ليتلاءم هذا الاختيار مع الزمن الجديد للمادة؛ وأعتقد أن هذا التغيير والتبديل فى المقررات والأزمنة وفى هذه المادة بخاصة يؤكد الحرص على استقلالية المادة وأهميتها.

٢ - المعروف أن الطلاب والدارسين فى الكليات المتوسطة قد سبق لهم تجاوز المرحلة الابتدائية، وتجاوز أكثرهم المرحلة المتوسطة وفى هاتين المرحلتين يتم التركيز على القواعد الإملائية أما من درس منهم فى المرحلة الثانوية، فلم يكلف بدراسة الإملاء أو بمتابعة قواعدها على الوجه الكامل. ونعود إلى برامج دراسة الإملاء فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (الاعدادية)، فنرى أنها لا تكفى لتأصيل القواعد الإملائية عند التلاميذ، فليس للإملاء كتاب مستقل تُبسط به القواعد والتطبيقات، وإنما تقدم القواعد الإملائية إذا وجدت - فى قسم من كتاب القراءة، ويوكل تدريسها إلى مدرس فروع اللغة الأخرى من نحو وصرف وقراءة وغيرها، ولهذا يخضع المنهج فى المرحلتين المذكورتين إلى اجتهاد المدرس أحيانا.

وربما عمد المدرس إلى إملاء تلاميذه قطعة إملائية كل أسبوع أو أسبوعين معتمدا على الجانب التطبيقى من غير أن يعتنى بالجانب النظرى كشرح القواعد الإملائية، وبيانٍ أوجه الصواب فى الكلمات التى تكثر فيها

---

(١) الفصل الأول من عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

الأخطاء. ولهذا نؤكد أن عدم استقلال الإملاء بكتاب مستقل يجمع مفردات المنهج مع التركيز على الجانبين، النظرى والتطبيقى من أهم الأسباب فى ضعف التلاميذ فى هذه المادة فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة.. ثم ينقطع الطلاب عن دراسة الإملاء ومتابعة قواعدها فى المرحلة الثانوية.. وعند ذلك تذوب أو تتبخر بعض القواعد التى حصلوا عليها، وإذا انتظم هؤلاء الطلاب فى الدراسة بالكليات وهم يشكلون نسبة كبيرة من منسوبيها ظهر عليهم الضعف فى هذه المادة الذى لمسناه عندهم كما لمسناه عند كثير من الدارسين أيضا.

وقد ترجع بعض الأخطاء اللغوية فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بالذات إلى المدرس نفسه، نتيجة قصوره فى فهم المادة وضعف محصوله العلمى وكثرة أخطائه، كما أنه لا يبالى (أحيانا) بالتطبيقات التحريرية، وربما اكتفى باثنتين أو ثلاثة، وفى بعض الأحيان يتساهل المدرسون فى المرحلتين المذكورتين وفى المرحلة الثانوية فى المؤاخذة على الأخطاء الإملائية بالفروع الأخرى للغة بحجة شيوع الأخطاء وانتشارها.. وإذا أدرك الطالب ذلك فلا يتوقع منه الحرص على الإملاء، فهى فضلا عما ذكرنا ليست مادة رئيسية تسهم فى نجاحه أو رسوبه.

٣ - عدم عناية الدارسين والطلاب بمادة القراءة فى مراحل التعليم السابقة، وحتى من قبل الدارسين الذين مارسوا العملية التعليمية لسنوات عديدة، فالطالب أو الدارس الذى يواظب على القراءة ويحرص عليها يتعرف على أشكال الكلمات وطريقة رسمها، لذا تقل أخطاؤه كثيرا إن لم تندر تماما، وقد

لاحظت ذلك فيمن درست لهم، فالطالب أو الدارس الذى تتضح من إجاباته كثرة قراءاته تجد أخطاءه قليلة ونادرة.

٤ – ضعف الطلاب والدارسين فى قواعد النحو والصرف، ولهذا نجد نسبة كبيرة من الأخطاء الإملائية ترجع إلى هاتين المادتين فلا يفرق الطالب أحيانا فى الكتابة بين الألف اللينة فى كلمتى (دعا ورمى) حيث يرجع أصل الألف فى الكلمة الأولى فترسم ألفا، ويرجع أصل الألف فى الكلمة الثانية إلى الياء فترسم ياء، وكذلك يتكرر الخطأ فيما شابه ذلك، كما لا يفرق البعض أحيانا بين الواو والنون فى جمع المذكر السالم والواو والنون فى الفعل المضارع المرفوع كما ذكرنا سابقاً.

٥ – ترجع بعض الأخطاء الإملائية إلى طبيعة اللغة العربية نفسها وإن كان من الممكن تلاشى ذلك بالقراءة المستمرة، والحرص على التعليم والفهم، فليس كل ما ينطق فى اللغة يكتب، وليس كل ما يكتب من أحرف الكلمة قد نطق به.

فكلمة (أولئك) مثلا تجد فيها إشكاليتين. الأولى أن الواو لا تنطق مع كتابتها، والثانية أننا ننطق ألفا بعد اللام ولا نكتبها ونجد كثيرا من الكلمات تخضع لهذا الاضطراب، فالكلمات الآتية تختلف كتابتها عن نطقها (هذا، هؤلاء، ذلك، طه، صباحا (وما يشبهها) وأولو وأولى، وبُشْرى (بالياء والنطق بالألف) ولنسفعا، وليكونا).

٦ – الخلاف بين اللغويين فى رسم كثير من الكلمات، ولهذا الخلاف جذور قديمة ترجع إلى أيام العباسيين حيث اشتد الصراع اللغوى بين مدرستى

البصرة والكوفة تبعا لتدخل السياسة فى إذكاء نيران هذه الصراعات اللغوية، وتشاهد مظاهر هذا الخلاف فى عدم الاتفاق على رسم هذه الكلمات وغيرها: (الشجا تكتب بالألف وبالياء، ومثلها الرحا، لأنها تثنى على رحوين ورحيين ومثل المها (جمع مهاة) وهى البقرة الوحشية، لأنها تجمع على مهوات ومهيات، ومثل الرضا وغيرها. وقد نبه على هذه الخاصية بعض العلماء، كالأستاذ عبد العليم إبراهيم الذى قال: «لا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن كثيرا من أحكام هذه القواعد، لم يكن موضع اتفاق بين العلماء، بل تعددت فيه آراؤهم، لتعدد ما ساقوه من العلل والأسباب، ووجد كل رأى أنصارا ومشايعين من الكتاب فظهرت بعض الكلمات بأكثر من صورة خطية فى معارض مختلفة وألف الكتاب هذه الصور المتباينة للكلمة الواحدة، فالتبس الأمر عليهم، ولم تشفهم القواعد المتداولة لأن بها من الخلاف ما يزيد الأمر تعقيدا»[1] بل إن هذا الأمر قد ذهب بالبعض إلى درجة من الضجر فلم يعد يبالى بهذه الخلافات التى ارتدت على اللغة وقواعدها بانعكاس سيىء. وإذا كانت الخلافات النحوية والصرفية قد هدأت منذ أزمان بعيدة فلا زال الخلاف فى قواعد الإملاء قائما، وأعلم من واقع تجاربى أن الخلاف يصل إلى الأخوة المدرسين فى بلدان عربية كثيرة، وبذلك وضح أن الاختلاف على الرسم الإملائى قائم بين العلماء قديما وحديثا. ويقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم مرة أخرى: «الذى أعلمه أن الخلاف فى الإملاء العربى لا يزال قائما بين الدول العربية المختلفة، وبين أبناء الدولة الواحدة بل بين أفراد الطبقة المتجانسة من المتعلمين»[2] .

(١) الإملاء والترقيم ص ٣ و ص٤ مكتبة غريب مصر.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠.

٧ – عدم التفريق بين الكتابة في المصحف التي تخالف القياس الإملائي أحيانا والكتابة الأخرى خارج المصحف التي يلتزم فيها بالقواعد المعروفة. فانظر مثلا إلى مخالفة القياس اللغوي الإملائي في قوله تعالى: **﴿فمال هؤلاء القوم﴾** وقوله: **﴿ومال هذا الرسول﴾** فإن القياس يقتضي عدم فصل الهاء من اللام[1] وقد كتب المصحف بالنظام والطريقة الموجودة فيه في مرحلة متقدمة من عمر الأمة الإسلامية واقتضت قدسية القرآن الكريم أن يبقى على الصورة الأصلية القديمة التي تعرف الناس عليها وحفظوه بها منذ القدم، ولهذا أو لغيره وجب أن يبقى رسم المصحف كما هو بدون تغيير.

ويرى البعض أن تبقى الآية القرآنية على طريقة رسمها في المصحف إذا كتبت خارجه، ويحبذ البعض أن تكتب الآية أو الآيات القرآنية خارج المصحف بالرسم الإملائي الذي تعلمه الطلاب حتى لا يقعوا في اضطراب وحيرة بين الالتزام بالقواعد، وعدم الالتزام بها.

وأذكر ذلك وأقرره، ولا أود الإطالة فيه مع ميلي إلى الرأي الأول. وإن كانت هذه القضية تحتاج إلى جهد أكبر من جهد الأخوة القائمين على التدريس للتفريق بين النمطين المذكورين.

٨ – من أهم الأسباب للضعف في الإملاء انتشار العامية على ألسنة الكثيرين من الناس حتى شملت قطاعات كبيرة منهم مثل المدرسين ورجال الإعلام وبعض الدعاة – وللأسف الشديد – صار مدرس اللغة العربية الذي

---

(٢) انظر كتاب المفرد العلم في رسم القلم للهاشمي ص ٨.

يلتزم باللغة العربية فى بعض تعاملاته مثالا للتندر والضحك، وعندما شاركت فى برنامج التربية العملية شاهدت المطبقين للبرنامج وهم يستعملون كما كبيرامن الكلمات العامية أمام التلاميذ الصغار. ولما دخلت مطار الملك عبد العزيز الدولى بجدة ذات مرة قال لى موظف الجوازات وهو يبتسم: «هل أنت مدرس لغة عربية؟» قالها بالعامية طبعا، فقلت له: «نعم» وضحكت. وأهدف مـن ذكـر ذلك التأكيد علـى انتشـار العامية وغرابة من يتحدث بالفصحى أمام الناس.

معالجة أسباب الضعف:

لعلنا لاحظنا فى حديثنا عن الأسباب السابقة أن بعضا منها يرجع إلى نظام تدريس الإملاء ومناهجه فى المراحل التعليمية السابقة للدراسة فى الكليات، وبعض الأسباب ترجع إلى مناهج تدريس الإملاء فى الكليات المتوسطة نفسها، والبعض الاخر يرجع إلى ضعف الطلاب فى القراءة والنحو والصرف وفى تتبع قواعد الإملاء ومعرفتها.

ومن الأسباب ما يعود إلى اللغة العربية نفسها سواء من حيث الاختلاف بـين العلماء فى رسم العديد من الكلمـات، أو الاختلاف فى كتابتها بين المصحف وخارجه.

وهناك بعض الأسباب الأخرى التى تخرج عن نطاق اللغة العربية الفصحى؛ لتندرج فى حيز اللهجة العامية أو اللكنة الأعجمية أو إحلال الحروف محل بعضها فى النطق مما يتغير معه رسم الكلمة، كما نلاحظ أن بعض

الأسباب لا يمكن التصرف معها على المدى القريب، علما بأن المستوى ليس سيئا للغاية، وأن عددا كبيرا من الدراسين والطلاب يجيدون الكتابة وينمقون الخطوط، ويتفوقون تفوقا بارزا فى فهم الدروس الإملائية، وبالمقابل تجد أن أعدادا كبيرة لا تجيد رسم الكثير من الكلمات مما يستدعي التحرك لتحسين المستوى تجاه هذا الكم الكبير من الطلاب والدارسين ولا يليق أو نبقى الوضع على ماهو عليه حتى تتخرج هذه الأجيال التى بين أيدينا أو الأجيال المقبلة علينا، وتكبر الأجيال الصغيرة التى يشرف عليها هؤلاء المدرسون أو المقبلون على التدريس بما يحملون من ضعف إملائى، ولذا لزم أن نرفع من مستوياتهم بقدر الإمكان للقضاء على نسبة كبيرة من الأخطاء. وينبغى أن يكون معروفا أن التحرك لإصلاح الأخطاء اللغوية والإملائية يجب أن يخضع لمقاييس وأطر مدروسة ومخطط لها، وليس من الصواب أن نتسرع فى اتخاذ القرارات، ووضع الخطط لمقاومة الضعف فى الإملاء، بل يجب التأنى وعمل الدراسات اللازمة، وأخذ آراء من يقومون بالتدريس سواء فى الكليات أم فى غيرها من دور العلم، لأنهم أدرى بمواطن الداء وأبصر بأدوات العلاج.

معالجة المشكلة:

أرى أن التصدى لهذه الظاهرة يكون على النحو التالى:

١ – يجب الحرص عند معالجة أية ظاهرة لغوية على الرجوع إلى البداية. وهى هنا الصفوف الأولى فى التعليم، وهى ليست الأولى والثانية والثالثة من التعليم الابتدائى، بل أقصد ما بعدها، إذ يكفى التلميذ فى السنوات الثلاث المذكورة أولا أن يتعرف على أحرف الهجاء، وأن يشكل منها الكلمات، وأن يعتمد فى الإملاء على المنقول فقط.

إننا نقصد إلى التنبيه على ضرورة وضع برنامج واضح ومحدد ومتدرج بين الصفوف الثلاثة الأخرى من التعليم الابتدائي، وهي الرابعة والخامسة والسادسة على أن يكون كتاب، الإملاء مستقلا وجامعا بين القواعد البسيطة والقطع الأدبية المختارة والملائمة لمستويات التلاميذ، وأن يزداد هذا البرنامج ويتوسع فيه في المرحلة المتوسطة، ويكون كتاب الإملاء أيضا مستقلا مثل كتاب القراءة وغيرها. وأفضل أن ينهض بتدريس الإملاء في هذه المرحلة (بالذات) مدرس آخر غير الذي يدرس النحو والمحفوظات مثلا مع ضرورة العناية بالتطبيقات، وأن تكون مادة الإملاء تطبيقية في المرحلة الثانوية مع مادة التعبير أو غيرها، وأن تكون لكل منها درجات مستقلة مع العناية بفروع اللغة العربية الأخرى كالقراءة والنحو والصرف (القواعد) والتشجيع عليها وتكوين جماعات للإملاء والخط لكي ينضم إليها ويشارك فيها من يجد في نفسه القدرة على المشاركة والتفوق. ومن الخطأ الفادح أن يترك أمر هذه المادة بما لها من أهمية لاجتهاد المعلم أحيانا مع اعترافنا بجهده وعطائه ودوره في خدمة الأجيال الجديدة. وإذا اكتملت أو كثرت العناية بهذه المادة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية أمكن التغلب على قدر كبير من هذه المشكلة التي تؤرق عددا كبيرا من العاملين في الكليات الجامعية الخاصة بدراسة اللغة العربية.

ونؤكد مرة أخرى على ضرورة أن تسعى وزارة المعارف في طبع منهج الإملاء في كتاب مستقل يجمع بين القاعدة والتطبيق مع ضرورة العناية بالتدريس والمحاكاة والتكرار وتصويب الأخطاء؛ لتثبيت القواعد الإملائية عند التلاميذ.

كما نؤكد على ضرورة تدريس الإملاء في المرحلة الثانوية ولو بجانب مادة أخرى كالنحو أو التعبير، وإلا فكيف ينقطع الطلاب عن دراسة الإملاء ابتداء من الصف الثالث الإعدادي، واستمرارا في الانقطاع أثناء المرحلة الثانوية، ثم نقدم لمن يأتي منهم إلى الكليات دروس الإملاء أو التحرير العربي لمدة فصل دراسي واحد؟!.

٢ - ضرورة العناية بمادة القراءة، لأن: «قراءة الكتب خير وسيلة للتقوية في الكتابة الإملائية»[1] ويجب أن تكون مادة التعبير (الإنشاء) تطبيقا تحريريا لمادة الإملاء خاصة في المرحلة الثانوية، ونرى أن العناية بمواد اللغة العربية الأخرى كالقواعد النحوية والصرفية تسهم في تجاوز مرحلة الخطأ في الإملاء.

٣ - حفظ القرآن الكريم والتعرف على رسمه وطريقة كتابته، مما يساعد الطلاب في التفريق بين الكتابة في المصحف والكتابة خارج المصحف، وبذلك يقل الخلط بين النمطين (الرسمين) في الكتابة.

٤ - وضع برنامج زمني محدد للارتقاء بمستوى الدارسين والطلاب حتى لو وصل الأمر إلى جعل ساعة في كل فصل دراسي يقضيه الدارس أو الطالب بالكلية لمادة التحرير العربي بدلا من أن يكون الحل الجزئي ساعتين في فصل واحد.

٥ - وضع منهج ثابت يتلاءم مع الزمن المحدد للدراسة ويتمشى مع المستوى الحالي ويرتقي بالطلاب والدارسين مع ضرورة التنبيه على أهمية

---

(١) الطرق الخاصة في التربية لتدريس اللغة العربية والدين: محمد عطية الإبراشي مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٤٥.

التطبيقات التحريرية والتنويه على الأخطاء الشائعة والمتكررة ووجوب ضم القواعد الإملائية إلى مفردات مادة التحرير العربي.

٦ - يجب أن يعلم الطلاب والدارسون أهمية هذه المادة* حتى لو رسب فيها العديد منهم، ولو حدث ذلك لزادت العناية بقواعد الإملاء مع إيمانى بعدم جدوى التعليم بالقسر والترهيب، وضرورة الاقتناع من قبل الدارسين والطلاب بأهمية واجبهم وحساسيته وخطورته أيضا.

٧ - وأرى أن يتعاون مدرسو المواد الأخرى فى تصويب الأخطاء الإملائية، إذ لا يليق أن يقدم مدرس اللغة العربية قاعدة إملائية وينبه عليها، ثم يأتى مدرس لمادة أخرى فيهدم ما بناه الأول، على أننا لا نطالب مدرسى المواد الأخرى إلا بما هو فى حدود إمكاناتهم ومعارفهم.

٨ - ونود فى النهاية أن تلتقى الجهات المختصة كمجامع اللغة العربية، ومجمع اللغة العربية فى دورها على منهاج واحد متفق عليه فى الرسم الإملائى، وأن تحرص الصحف والمجلات وكل وسائل الإعلام على مراعاة القواعد المعترف بها والمتفق عليها. ونحن لا نتجاوز، بآمالنا فى الحل دائرة الكليات المتوسطة، ولذا كان الحديث عنها والتركيز عليها، أما ما عداها من الجهات الأخرى فلا نملك حيالها إلا ما قلناه ونبهنا عليه، ونود أن يطلع المسئولون والمختصون فى تلك الجهات على تلك الدراسة، لأن العملية التعليمية متشابكة الأطراف متعددة الأهداف.

كلمــة أخيرة:

إن كل ما ذكرناه لا يعني في حالة الالتزام به وتنفيذه أن يتحول الدارسون والطلاب بين عشية وضحاها إلى متفوقين في الكتابة التحريرية والإملائية إذ لا نتعدى بطموحاتنا حدود التحول والتغير على المدى البعيد الذي قد يصل إلى عدة سنوات وهي ليست – أمام هذه المشكلة – طويلة ومملة، مادمنا قد أخلصنا النية لله وعقدنا العزم على التغيير إلى الأفضل ، وليس ذلك على الله ببعيد.

كتب للمؤلف

١- شعرالحماسة فى العصر العباسى الثانى.	١٩٨٤
٢- ياقوت الحموى أديبا وناقـدا.	١٩٨٨
٣- امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين.	١٩٨٩
٤- الغموض فى شعر أبى تمـام.	١٩٨٩
٥- شعراء الطائف فى الجاهليـة والإسلام.	١٩٨٩
٦- فن الرواية فى المملكة العربية السعودية بين النشـأة والتطـور (الطبعة الأولى).	١٩٨٩
٧- من روائع الأدب العربى فى العصرين العباسى الثانى والأندلسى.	١٩٩٠
٨- من روائع الأدب العربى فى العصرين الأموى والعباسى الأول.	١٩٩١
٩- أوزان الشعر. دراسة فى العروض والقافية.	١٩٩٤
١٠- فن الرواية فى المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور (الطبعة الثانية).	١٩٩٥
١١- دراسات فى الأدب الجاهـلى.	١٩٩٨
١٢- أطوار الأدب العربى فى العصر الإسلامى.	١٩٩٩
١٣- دراسات فى الأدب الأندلسى.	١٩٩٩
١٤- مناهج البحث فى الأدب واللغة والتربية.	٢٠٠٠
١٥- تاريخ الأدب الجاهلى (تحت الطبع)	

تطلب الكتب المذكورة من دور الطبع والنشر الآتية:

١ - المكتبة الأزهـرية للتراث بالقاهرة. ٩ درب الأتراك خلف الأزهـر الشـريف ت ٥١٢٠٨٤٧.

٢ - مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى بالقاهرة ت: ٣٩٥٦٧٧٩.

٣ - مكتبة التراث بمكة المكرمة - العزيزية - عمارة ابن سعيد - خلف بنك القاهرة السعودى - ت: ٥٥٨١٥٩٤.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

والحمد لله أولاً وأخيراً

رقم الإيداع: ٢٠٠٠/٤٦٣٢م

الترقيم الدولي

I.S.B.N.: 977-241-317-5